



الندى الرطيب  
في الغزل والنسيب

سليم سركيس



# الندى الرطيب في الغزل والنسيب

تأليف  
سليم سرقيس



# الندى الرطيب في الغزل والنسيب

سليم سرقيس

## الناشر مؤسسة هنداوي

المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شبيث ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة

تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +

البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org

الموقع الإلكتروني: <https://www.hindawi.org>

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسؤولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٣٥٣٨٧

صدر هذا الكتاب عام ١٨٨٦.

صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٤.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف مُرَّخَّصة بموجب رخصة المشاع الإبداعي: نَسْبُ المُنْصَف، الإصدار ٤.٠. جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي خاضعة للملكية العامة.

## المحتويات

٩

١١

١٧٩

إهداء الكتاب

خطرات أفكار

خاتمة



كِتَابُ فِيهِ رَوْضٌ مِنْ مَعَانٍ  
وَأَيْعَ مِنْ نَدَاهُ كُلُّ زَهْرٍ  
رَوَى آيَاتِ أُبَيَاتِ الْبَدِيعِ  
وَإِنَّ مِنَ النَّدى زَهَرَ الرَّبِيعِ



## إهداء الكتاب

إلى سيدي وملاذي خليل أفندي سركيس

هذا كتابي أصدره بقصيدة برسم فضلك؛ على رجاء أن يحوز القبول، وأن لا يعيد من آيات لطفك وعظيم فضلك ما ينطق لسانه بالحمد. وهي قصيدة ركبت فيها طريقة نقلتها عن ابن اللبانة مخترعها، وأول من نظم على هذا المنوال، وذلك في قصيدته التي منها:

وتبسمت عن جوهرٍ فحسبته      ما قلدته محامدي من جوهرٍ

يمدح بها مبشراً العامري الملقب بالناصر، جعل فيها صدر البيت غزلاً وعجزه مديحاً، فقلتُ معارضاً:

قلْبٌ على عرش الغرام قد استقر	فكأنه فينا الخليلُ إذا أمرُ
وحشاشة ملك الهيام عنانها	ملك الخليل لكل فضلٍ قد بهرُ
فرض الغرام القلب نُقطته كما	فرض الذكا صدر الخليل له مقرُ
لي في الهوى غزلُ أرق من الصبا	فكأنه بلطيف حكمته انتشرُ
في ثغرها نظم الصحاح كأنما	عن جوهرٍ حديثه التقطتُ درُ
لله زينب إذ تبدى غيظها	فكأنها لم تُلِف مَبِسَمَه الأغرُ
حلت مُعقَد شِعْرها فحكّت بِذا	حلَّ الخليل مُعقَد الأمرِ الأمرُ

تَحْكِي سَيْوْفُ لِحَاظِهَا فِي فَتْكَهَا  
وَكِذَاكَ أَبْيَضُ فَرْقِهَا فِي شَعْرِهَا  
وَكَأَنَّهَا مِنْهَا أَحْمَرًا خُدُودِهَا  
وَكَأَنَّ أَسْوَدَ خَالَهَا فِي خَدِّهَا  
جَارَتْ عَلَيَّ وَقَدْ سَهَتْ أَفَمَا تُرَى  
عَلِمْتُ لَهُ فِي الْمَجْدِ بَيْتٌ خِلْتُهُ  
أَفْعَالُهُ تَرُوي لَنَا أَفْضَالَه  
طَلَّقَ بَشُوشِ الْوَجْهِ دَاعِيَةُ النَّدَى  
هَذَا امْتِدَاحِي سَيْدِي قَدْ أَيْنَعَتْ  
مَا لِي بِنَسْكِينِ الْقَوَافِي مَقْصِدٌ  
وَكِذَاكَ قَدْرِكَ لَيْسَ يُخَفِّضُ عِنْدَ مَنْ  
أَهْدِيكَ مَوْلَايَ النَّدَى لَكِنَّمَا

أَفْكَارَهُ لَمَّا تَرَدَّتْ بِالظَّفْرِ  
أَلْطَافُهُ نَحْوِي وَمَنْ يُنَكِّرُ كَفَرُ  
خَجَلِي بِإِقْدَامِي عَلَيْهِ بِمَا خَطَرُ  
بَعْضُ الْقُصُورِ لَدَى تَفْضِيلِهِ الْأَبْرُ  
عَلِمْتُ بِأَنَّ لَدَى الْخَلِيلِ لَنَا مَفْرُ  
بَيْتَ الْقَصِيدِ وَفِي مَعَالِينَا الْقَمْرُ  
وَالْفَعْلُ عِنْدِي عَنِ مَصَادِرِهِ صَدْرُ  
نُورِ الْهَدْيِ مُخْزِي الْعِدَى قَيْدِ النَّظْرِ  
أَزْهَارُهُ بِنَدَى نَدَى فَاقِ الْمَطْرُ  
إِلَّا لَتَعْلَمَ أَنَّ فَضْلَكَ لَا يُجْرُ  
رُفِعَتْ عَوَامِلُهُ بِدَاعِيَةِ الْبَصْرِ  
شَتَّانَ بَيْنَ نَدَاكَ وَالْبَادِي الْأَثْرُ

سليم

## خطرات أفكار

كان من أخص ما جرى على ألسنة العرب الكرام: الشعر ملح الكلام، فهاموا به هيام قيس بليلاه، وأقبلوا عليه إقبال أبي نواس على حميائه، فحاضوا عبابه واستخرجوا دُرر المعاني، ونظّموا عقدًا لجيد الزمان، فأصبح — بعد أن أقفرت منهم الديار، وعفت الآثار، وبعد أن عبثت أيد بكتبهم أيام الأندلس وبغدان — خير ما يُستدلُّ منه على ما لهم من الفضل، بل أصبح مرآة نرى فيها تاريخهم وعوائدهم، علاوة على أن الشعر من أرق ما تصبو إليه النفوس.

قال لسان الدين ابن الخطيب الأندلسي في خطبة كتاب في المحبة: «واستكثر من الشعر؛ لكونه من الشجرة بمنزلة النسيم الذي يحرك عذبات أفنانها، ويؤدي إلى الأنوف روائح بستانها، وهو المزمار الذي ينفخ الشوق في براعته، والعزيمة التي تنطق مجنون الوجد من ساعته، وسلعة ألسنة العشاق، وترجمان ضمير الأشواق، ومجلي صور المعاني الرقاق، ومكامن قنائص الأذواق، به عبّر الواجدون عن وجدهم، ومشى المحبون إلى قصدهم، وهو رسول الاستلطاف، ومنزل الألطاف، اشتمل على الوزن المطرب، والجمال المعجب المغرب، وكان للأوطان مركبًا، ولانفعال النفوس سببًا.»

وعلى هذا وما جرى مجراه، اعتنيت منذ مدة بجمع شوارد شعر العرب بين غزل ونسيب لا غير، وجمعت بين رقيق أبياته دُرر بعض شعراء العصر؛ حرصًا على تخليد آثارهم الحسان، وسأرده — إن شاء الله — بخاتمة تتضمن ذكر إيقاع هارون الرشيد بالبرامكة.

ثم إنني رأيت أن أتحف القرءاء الكرام ببعض ما عرّفته واطلعت عليه من التفاصيل المتعلقة بموضوع الكتاب؛ فأقول: العشق طمع يتولّد في القلب، ثم تجتمع إليه موادّ الحرص، وكلما قوّي زاد صاحبه في اللجاج، وربما نظر العاشق إلى معشوقه، فمات فرحاً، وتراه إذا ذكر من يهوى هرب دمه، واستحال لونه، وزادت شجونه.

وقال أفلاطون: هو قوة غريزية متولّدة من وسواس الطمع وأشباح التخيل، نام بنصال الهيكل الطبيعي، محدث للشجاع جُبناً وللجبان شجاعة، يكسو كل إنسان عكس طباعه. وقال أرسطاطاليس: العشق عمى العاشق عن عيوب المعشوق، والذي مشى عليه الطبيب ابن سينا وغيره من الأطباء أنه مرضٌ وسواسي شبيه بالماليخوليا، يجلبه المرء إلى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والتماثيل، ويسمى العشق الميل المؤقت، وعلاقة بدون ارتباط، وحس بدون قصد. قال فولتير: إنه أميال شهوانية، وزخارف رومانية، ولذة تعقبها مرارة، فإن رُمت معرفة حقيقة العشق، فانظر إلى بلابل الحقائق وحمائمها.

وقال سيد طائفة الجنيد: العشق ألفة رحمانية وإلهام شوقي أوجبهما كرم الإله على كل ذي روح، وهي في الأنفس بقدر مراتبها عند أربابها؛ فما أحد إلا عاشق لأمر يستدلّ به على قدر طبقته من الخلق.

وفي تزيين الأسواق قالت أعرابية: هو تحريك الساكن، وتسكين المتحرك. وسأل المأمون ابن أكتم: ما العشق؟ فقال: سوانح للمرء تُؤثرها النفس ويهيم بها القلب، فقال له ثمامة: إنما شأنك أن تُفتي في مسألة طلاق أو محرم، فقال المأمون: قل يا ثمامة، فقال: العشق جليس ممتع، وأليف مؤنس، وصاحب مالك، وملك قاهر، مسالكة لطيفة، ومذاهبه غامضة، وأحكامه جائزة، ملك الأبدان وأرواحها، والقلوب وخواطرها، والعيون ونواظرها، والعقول وآرائها، وأُعطي عنان طاعتها، وقياد ملكها، وقوى نُصرتها، توارى عن الأبصار مدخله، وعمي عن القلوب مسلكه! فقال له المأمون: أحسنت يا ثمامة، وأمر له بألف دينار.

وعن ابن العباس أن الهوى إله معبود، وقيل لُغزري: أتعدّون موتكم في الحب مزيّة وهو من ضعف البنية وهن العقيدة وضيق الرئة؟ فقال: أما والله لو رأيتم المحاجر البلج ترشق بالعيون الدُّعج من تحت الحواجب الرُّجج، والشفاه السُّمر تبسم عن الثنايا الغر كأنها شذر الدر لجعلتموها آلهتكم.

وعندي أن العشق مُرقيّ النفوس ومُغذيّ الأفكار بلبان الآداب، الساعي بمن علق به إلى رفعة الاجتهاد، فهو أعظم الوسائل لترقية الشاب، لا سيما إذا انتظم في سلك الأدباء، وعرف حقائق المعرفة معرفة الحقائق؛ بدليل ما قيل عن «بهرام جور»: إنه لم يُرزق سوى ولد، فأخذ في ترشيحه للملك وهو ساقط الهمة، إلى أن اتفق المعلمون من الحكماء وغيرهم على أنه لا نافع له غير العشق، فسلبت عليه الجوارِي يَعْبَثُنْ به، إلى أن علق بواحدة منهن، فأمرها الملك بالتجنّي عليه، وأنها لا تطلب إلا رفيع الهمة، ذا رغبة في العلم والملك، فكان بسبب ذلك من أجلّ ملوك الفرس وأحكمها. اهـ.

وهو في عُرْفِي رأيي حميد، إن لم تُعارضه مُماحكات الأقارب، وتَحْكُمُ الأهل، وعَدْلُ المعارف، وشماتة الأعداء، فلا يَقْطَعِ مِنْ ثم سيفُ اللَّحْظِ في دِرْعِ نَسِجٍ مما ذُكِرَ، إلا إن كان من جاذِبٍ طبيعِي بين القلوب يُقَوِّي فيها الشعائر رَغْمًا.

وقال بعض حكماء الهند: ما علق العشق عندنا بأحد إلا وعزينا أهله فيه.

وقال أعرابي: العشق نبت؛ بذره النظر، وماؤه الزيارة، ونماؤه الوصل، وقتله الهجر، ومصادره التجني. وفي ديوان الصبابة كان يُقال: النظر من المحب موتٌ عاجل، ومن المحبوب سهمٌ قاتل، وقيل: رَبُّ عَشِقٍ غُرَسَ من لحظة، وحربٌ جُنِيَ من لَفْظَةٍ! مَنْ أَطْلَقَ طَرْفَهُ كَثُرَ أَسْفَهُ. مَنْ كَثُرَتْ لَحْظَاتُهُ دَامَتْ حَسْرَاتُهُ.

ونقل ابن خلكان في ترجمة العلاف أن العشق لا يكون إلا عن أريحية في الطبع، ولطافة في الشمائل، وجودٍ لا يتفق معه منع، وميلٌ لا ينفع فيه عدل. ووُجِدَ على صخر: العِشْقُ مَلِكٌ غَشُومٌ وَمَسْلُطٌ ظَلُومٌ، دانت له القلوب، وانقادت إليه الألباب، وخضعت له النفوس، فالعقل أسيره، والنظر رسوله، واللحظ عامله، والتفكر جاسوسه، والشغف حاجبه، والهيمن نائبه، مستقرُّ غامض، ويمُّ تياره طافح فائض، وهو دقيق المسلك، عسير المخرج.

ونظر رجل إلى معشوقته فغشي عليه، فقال حكيم: إنه من انفراج قلبه اضطرب جسمه، فقيل له: ما بالنا لا نكون كذلك عند النظر إلى أهلنا؟ فقال: محبة الأهل قلبية، وهذه روحانية؛ فهي أوقدٌ وأطف، وأعظمُ سرِيانًا وفعلاً. وقال الزارع: ودَّعَ هِنْدِيَّ جَارِيَةً كان يهواها، فذرفت إحدى عينيه، فغمض الأخرى عن الملاذ؛ عقوبة لها أربعاً وستين سنة حتى مات! وعندي أن في رواية الزارع بعض الزرع الذي لم يأت بالمطلوب.

أما سببه النَّفْسَانِي فقد قال بعض الأطباء: إنه الاستحسان والفكر، وعلامته نحافة البدن (وقد لا تكون)، وخلاء الجفن للسهر، وحركة الجفن ضاحكة، كأنه ينظر إلى شيء

لذيذ، ونَفَسٌ كثير الانقطاع والاسترداد والصُّعْداء، ونبضٌ غير منتظم، ولا سيما عند ذكر أسماء وصفات مختلفة؛ كرواية ابن سينا، ولا موضع لذكرها هنا. وإغضاء المحب عند نظر محبوبه إليه، ورميهُ بطَرْفه نحو الأرض من مهابته له، وحيائه منه وعظمتُهُ في صدره، وحبُّ أهله وأقاربه، وجيرانه وغلمانه، وساكنِ بلده.

ومما قاله في ديوان الصبابة عن الصيِّمري أن عاشقًا عشقَ الهواوين من أجل صوت هاون محبوبته، فوجد في تركته عشرة آلاف منها! إلى أن قال: والجنون فنون. وعندي أن صاحب ديوان الصبابة إنما أورد هذا الخبر للتهكم لا غير؛ لأن ليس في حفظ هذا العاشقِ الهواوينَ من أمر يُستدل منه على شدة عشقه؛ لأن العشق يصح أن يُقال فيه: إنه نوع من الجنون. ولكنه جنون يُحمد على غير هذا النمط.

ومراتب العشق عديدة: أولها الهوى، وهو مِيلَ نفس المحبوب، ثم العلاقة، وهي الحب الملازم للقلب، ثم الكلف، ثم العشق أي فُرط الحب، وهو أمرُ الأسماء، وقَلَمًا نطقت به العرب، والشغف والجوى ... إلخ مما هو معروف، وقيل لبعض العلماء: إن ابنك قد عَشِق، فقال: الحمد لله! الآن رقت حواشيه، ولطفت معانيه، وصلحت إشاراته، وظرفت حركاته، وحسنت عباراته، وجادت رسائله، وحلت شمائله، فواظب على المlich، واجتنب القبيح، وأرواح العشاق أرواح لطيفة، وأبدانهم ضعيفة خفيفة، وكلامهم يطرب الأرواح، ويجلب الأفراح، وأرى أن العاشق لا بد أن يكون فيه بعضُ مشابهة للمعشوق؛ إذ بتلك المشابهة تتمُّ الألفة، وتنعقد القلوب على الوداد.

ثم إن تعلق العاشق بالمعشوق أمرٌ لا ريب فيه؛ فهو مرتبط به تمام الارتباط، فإذا أصاب المحبوب ضرٌّ توجع المحب لتوجعه، وقلق لقلقه، وهام لهيامه، وانقطع عن اللذات؛ لانقطاعه عنها، وإن يكن ذلك من الأمور الصعبة فإن العشق مرارة فيها لذة لا يشعر بها إلا من جرى في تلك الحلبة؛ فقد قال القنوي: دُعيت إلى عيادة مريض أحبّه آخر، فدخلنا عليهما والمحب الصحيح يذب عن المريض، فكان إذا اشتكى المريض شيئاً شكى الآخر مثله، فقدر أن قضى ونحن عنده، فحال مفارقتة نفسه فارق الصحيح نفسه! كما وأن العاشق الذي يبئلى بمعشوق قاسي القلب غير ميال إليه ولا مبالٍ بصوابته؛ مرحوم، وأي رحمة! يُقاسي من العذاب أمره. وقال أبو الهذيل العلاف: لا يجوز في دورة الفلك، ولا في تركيب الطبيعة، ولا في القياس ولا في الحس، ولا في الممكن ولا في الواجب؛ أن يكون محبٌ ليس لمحبوبه إليه ميل. اهـ. وذكر بعضهم أن سبب المحبة ثلاثة أشياء: إما رؤية صورة،

أو سماع نَعْمَة، أو سماع صفة؛ فهذه الثلاثة هي أصل ينبوع المحبة؛ إذ لا يخلو حبُّ أحد من أن يَسْتند إلى شيء منها، وقد قيل:

ثلاث محبات فحب علاقة وحبُّ تَمَلُّق وحبُّ هو القتلُ

وقال بعض الحكماء: إن الله — عز وجل — جعل القلب أميرَ الجسد ومَلِك الأَعْضاء، فجميعُ الجوارح تَنقاد له، وكل الحواسُّ تُطيعه، وهو مديرها، وإرادته تنبعث، ووزيره العقل، وعاضده الفهم، ورائده العينان، وطليعته الأذنان، وهي في باب النقل سيَّان، لا يَكْتُمَانِه شيئاً، ولا يَطَوِيَان عنه سرّاً — يعني العينَ والأذن. وقيل لأفلاطون: أيُّهما أشد ضرراً؛ السمع أم البصر؟ فقال: هما للقلب كالجنَّاحين للطائر، لا ينهض إلا بهما، ولا يستقل إلا بقُوَّتِهما، وربما قُصَّ أحدهما، فتحامل بالآخر على تعب ومَشَقَّة! قيل: فما بال الأعمى يُحبُّ وما رأى؟ فقال له: لذلك قلتُ: إن الطائر قد ينهض بأحد جناحيه، ولا يستقل طياراً، فإذا اجتمعاً كان ذهابه أمضى وطيرانه أقوى. اهـ. وأمثال هذا في الشعر كثيرة ترد في الكتاب.

أما ما ذكره صاحب نشوة السكران ممَّا نقله جميعه عن تزيين الأسواق وديوان الصَّبابة وسواهما من كتب العرب؛ فهو مما لا يُعْتَمَد على روايته؛ لكونه اتَّبَعَ في ذلك غيرَ منهج العرب أصحاب التأليف الذين متى نقلوا الفقرة أتوا على ذكر قائلها ومن أسندها إليه، فيتجنَّبون في كل ذلك الحذف والترقيع بما يخطر للناقل من الآراء التي في تغييرها سوءُ فهم، بحيث يعسر تأدية المعنى بعبارات جديدة يُلفِّقها أولئك؛ ليتوهَّم الناس أن تلك الأقوال من مُبتكراتهم.

وسئِل أحدهم: هل سلِم أحد من العشق؟ قال: نعم، الجُف الجافي، الذي ليس له فضل ... اهـ. وعندي أن الحب ما كان في النفوس الأبيَّة مجرداً من كل شهوة جسدية، ناشئاً عن مفاعيل الحُسن في القلب؛ بدليل ما قاله لسان الدين الوزير صاحب كتاب المحبة — رحمه الله: «إنما الحب الحقيقي حبُّ يُصعدك ويُرقِّك، ويُخلِّدك ويُيقِّك، ويُطعمك ويسقيك، ويُخلِّصك إلى منصة السعادة ممن يُشقيك، ويجعل لك الكون رَوْضاً، ومَشْرَب الحقِّ حَوْضاً.» إلى أن قال بعد شرح طويل: «المحبة رِقة، ثم فكرة مُسترقَّة، ثم ذوق يطير به شوق، ثم وجَل لا يَبقى معه طوق.» اهـ.

وشرط المحبة أن تكون ميلاً بلا نيل، وشرطاً بلا جزاء؛ لئلا تزول عند زوال العوض، مثال ذلك أنه قيل لأعرابي ليلة تزويج محبوبته: أيسرُك أن تظفر بها؟ فقال: نعم، قيل: فما كنتَ تصنع؟ قال: أطيع الحب في لثمها، وأعصى الشيطان في إثمها! وقال إبراهيم بن عرفة:

كم قد ظفرتُ بمن أهوى فِيمَنْعُنِي      عنه الحياءُ وخوفُ الله والحذرُ  
وكم خلوتُ بمن أهوى فَيَقْنَعُنِي      منه الفكاهةُ والتَّحْدِيثُ والنظرُ  
أهوى الحِسانَ وأهوى أن أُجَالِسَهُم      وليس لي في حرامٍ منهم وطْرُ  
كذلك الحبُّ لا إتيانَ معصيةٍ      لا خيرَ في لذةٍ من بعدها سقرُ

وفي تزيين الأسواق قال سعيد بن عقبة الهمداني لأعرابي حصر مجلسه: ممن الرجل؟ قال: من قوم إذا عَشِقُوا ماتوا، فقال: عُذْرِي وربِّ الكعبة! ثم سأله علة ذلك؟ فقال: لأن في نساتنا صباحةً وفي فتياننا عفةً. اهـ.

ومهما يَكُن من اختلافات العلماء وأئمة العرب في تعريف العشق فإن الأخبار التي دُكِرَت تكفي لتؤيد المذهب الأرجح أنه ممدوح، وَعَنِيَتْ بالعشق الممدوح ما كان منزهاً عن كل ما يشين المرء من مثل الغرض والشهوة؛ لأن هذا زائل، فالعشق المسبب عن زائل زائل طبعاً، وقيل: وسَتْ جارية بجميل وبثينة إلى أبيها، وأنه الليلة عندها، فأتى وأخوها مُشْتَمِلِينَ معتمدين سيفيهما لقتله، فسمعاها يقول لها بعد شكوى شغفه بها: هل لك أن تُطفئي ما بي بما يفعل المتحابان؟ فقالت: قد كنت عندي بعيداً من هذا، ولو عدت إليه لن ترى وجهي أبداً، فضحك، ثم قال: والله ما قلتُهُ إلا اختباراً، ولو أجبت إليه لضربتكَ بسيفي هذا إن استطعتُ، وإلا هجرتُك! أما سمعتِ قولي:

وإني لأرضى من بُثينة بالذي      لو أبصره الواشي لقرت بلبائهُ  
بلى وبأن لا أستطيع وبالمنى      وبالأمل المرجو قد خاب أملهُ  
وبالنظرة العجلى وبالحول ينقضي      وأخضره لا تلتقي وأوائلهُ

فقالا: لا ينبغي لنا إيذاء من هذه حالاته، ولا منع التزاور، وانصرفا.  
وعندي أن هذه العشرة استحقت أجمل المديح، عنيَتْ بها بني عُذرة؛ لأن كلاً منهم لطيفٌ خفيف، يقتطف من الأحاديث أسلسها، ومن العبارات أرقتها، فهم قوم امتزجت الرقة بأرواحهم، فأعجب برقيقين قد استرقا القلوب، وخفيفين قد ملكا الأفتدة.

وقال في تحفة الضراف: العُشاق معذورون على كل حال، مغفورٌ لهم بجميع الأقوال والأفعال؛ إذ العشق إنما دهاهم على غير اختيار، بل اعتراهم على جَبْر واضطرار، والمرء إنما يَلام على ما يستطيع من الأمور، لا في المقضي عليه والمقدور.

وقال ابن عياض: لو رزقني الله دعوة مُجابهة، لدعوتُ الله بها أن يغفر للعشاق؛ لأن حركاتهم اضطرارية لا اختيارية. وذهب غيره من الأطباء أنه اختياري؛ بدليل ضمير الإنسان وفكرته؛ إذ بهما يمكنه التسلُّط على ما أراد. وفي ديوان الصبابة أن العشق يختلف باختلاف ما جُبِلَ عليه الإنسان من اللطافة ورقة الحاشية، وغلظ الكبد، وقساوة القلب، ونفور الطباع. ثم إن الحسن على قول بعضهم معنى لا تناله العبارة، ولا يحيط به الوصف، وهو أيضًا مركَّبٌ من أشياء وضَاءٌ وصباحة، وحُسن تشكيل وتخطيط ودموية في البشرة. وقال ابن الخطاب: إذا تمَّ بياض المرأة في حُسن شعرها فقد تمَّ حُسنها. أما أقسام الحسن فهي الظُرف في القَدِّ، والبراعة في الجيد، والرِّقة في الأطراف، والحلاوة في العينين، والملاحة في الفم، والجمال في الأنف، والظرف في اللسان، والرشاقة في القد، والنعومة في الخد، والبراقة في الأسنان، ثم الملاحة في العين (ونُكَّتة الملاحة الدَّعَج)، والحسن في الفم (ونُكَّتة الفلَّج)، والطلاوة في الجبين (ونكَّتتها البلِّج)، والرُّونق في الخد (ونكَّتته الضَّرَج). ويُستحسن في المرأة طول أربعة: أطرافها، وقامتها، وشعرها، وعنقها، وقصر أربعة: يديها، ورجليها، ولسانها، وعينيها، وبياضُ أربعة: لونها، وفرقها، وثغرها، وبياض عينيها، وسواد أربعة: أهدابها، وحاجبها، وعينيها، وشعرها، وحُمرة أربعة: لسانها، وخذها، وشفتيها مع لعس، وإشراق في بياضها بحُمرة.

ومن تشابيه الشعراء تشبيه الأعضاء بالحروف؛ كتشبيه الحاجب بالنون، والعين بالعين، والصُدغ بالواو، والفم بالميم، والطُرف بالصاد، أو التَّنْايَا بالسين، والطُّرة المصفورة بالشين، والقامة بالألف. وبالفواكه؛ فشبَّهوا الخدود بالتفاح، والشفة بالعُنَاب، والثدي بالرُّمان. وبالزهور؛ فشبَّهوا الوجنة بالورد، والعين بالنرجس، والعدار بالأس. وبغير ذلك؛ كالشفة بالعقيق وبالمَرْجان أيضًا، والأسنان باللؤلؤ، والوجه بالبدر، والفرق بالصبح، والشعر بالليل، والجداول بالحية، والصُدغ بالعقرب، والوجه بالماء والنار، والرقيق بالخمير. ولكل هذه أمثالٌ شعرية ترد في الكتاب؛ منها قول الحريري:

سألْتُها حين زارتِ نِضْوَ بُرْقِعِها أَلْ      قاني وإيداعِ سمعي أطيبَ الخبرِ  
فزحزحتُ شفقًا غَشَى سَنَا قَمَرِ      وساقطتُ لؤلؤًا من خاتمِ عطرِ

وَأَقْبَلَتْ يَوْمَ جَدِّ الْبَيْنِ فِي حُلِيٍّ      سُودٌ تَعْصُ بَنَانَ النَّادِمِ الْحَصْرِ  
فَلَاحٍ لَيْلٌ عَلَى صَبْحِ أَقْلِهِمَا      غَصْنٌ وَضَرَّسَتْ الْبِلُورَ بِالدُّرِّ

هذا بعض ما اطلعت عليه مما يتعلق بموضوع الكتاب، جعلته مقدمة كحديقة يقتطف القارئ منها ما يطيب، والله أسأل وإليه أُنيب.

سليم

قال عمر بن أبي ربيعة:

إِذَا حَلَلْنَا بِسَيْفِ الْبَحْرِ مِنْ عَدَنِ      هِيَهَاتَ مِنْ أُمَّةِ الْوَهَابِ مَنزَلْنَا  
إِلَّا التَّنْذِرُ أَوْ حَظٌّ مِنَ الْحَزَنِ      وَاحْتَلَّ أَهْلُكَ أَجْيَادًا وَلَيْسَ لَنَا  
ظَنَنْتُ بِصَاحِبِهَا أَنْ لَيْسَ مِنْ وَطَنِي      لَوْ أَنَّهَا أَبْصَرَتْ بِالْجُرْعِ عِبْرَتَهُ  
وَمَوْقِفِي وَكَلَانَا ثُمَّ ذُو شَجَنِ      مَا أَنْسَ لَا أَنْسَ يَوْمَ الْخَيْفِ مَوْقِفِهَا  
وَالدَّمْعُ مِنْهَا عَلَى الْخَدَّيْنِ ذُو سَنَنِ      وَقَوْلِهَا لِلثُّرَيَّا وَهِيَ بَاكِيَةٌ  
مَاذَا أُرِدْتَ بِطُولِ الْمُكْثِ فِي الْيَمَنِ؟      بِاللَّهِ قَوْلِي لَهُ فِي غَيْرِ مَعْتَبَةٍ  
فَمَا أَخَذْتَ بِذَلِكَ الْحَجِّ مِنْ ثَمَنِ      إِنْ كُنْتَ حَاوَلْتَ دُنْيَا أَوْ رَضِيَتْ بِهَا

وللابيات رواية يطول شرحها.

ولأبي بكر بن باجة في عبد حبشي كان يهواه وبلغه خبر موته:

أَلَا يَا رِزْقُ وَالْأَقْدَارُ تَجْرِي      بِمَا شَاءَتْ نَشَأُ أَوْ لَا نَشَأُ  
هَلْ أَنْتَ مُطَارِحِي شَجْوِي فَتَدْرِي      وَأُدْرِي كَيْفَ يُحْتَمَلُ الْقَضَاءُ  
يَقُولُونَ الْأُمُورُ تَكُونُ دَوْرًا      وَهَذَا فَقَدَهُ فَمَتَى الْلِقَاءُ؟!

وحكي عنه — وهي من الغرائب — أنه مات له حبيب، فبات مع أحد أصحابه عند ضريحه ومثواه، وكان قد عرف وقت كسوف البدر بصناعة التعديل، فردد في نفسه بيتين في خطاب القمر، أتقنهما ولحنهما، حتى إذا كان قبيل وقت الكسوف بقليل تغنى بهما بذلك الصوت المشجي، واللحن يسوق الشوق ويشجي، وهما:

شَقِيقُكَ غَيْبٌ فِي لَحْدِهِ      وَتُشْرِقُ يَا بَدْرُ مِنْ بَعْدِهِ  
فَهَلَا كَسَفَتْ فَكَانَ الْكَسُوفُ      حَدَادًا لِبَسَّتْ عَلَى فَقْدِهِ

## خطرات أفكار

فكسف القمر في الحال، وعُدَّت له هذه من العجائب!  
وكتب جلال الدولة إلى أبي الطيب الطبري سؤالاً بقوله:

يا أيها العالمُ ماذا ترى  
من حبِّ ظبي أهيِّفِ أغيِّدِ  
فهل ترى تقبيلَه جائزًا  
من غير ما فُحِّشَ ولا ريبه  
إن أنت لم تُفِتْ فيني إذن  
في عاشقٍ ذاب من الوجدِ؟  
سهل المحيًّا حسن القدِّ؟  
في النحر والعينين والخذِّ  
بل بعفافِ جائز الحدِّ؟  
أصيح من وُجدي وأستعدي

فأجابه بقوله:

يا أيها السائلُ إنني أرى  
يُفْضي إلى ما بعده فاجتنبُ  
فإنَّ مَنْ يَرْتَعُ في روضةٍ  
وإنَّ مَنْ تحسُّبه ناسكًا  
فاستشعرِ العفةَ واعصِ الهوى  
تُغْنِيكَ عنه كاعبُ ناهدُ  
تملك منها كلَّ ما تشتهي  
هذا جوابي لقتيل الهوى  
تقبيلك العين مع الخدِّ  
قُبِّلْتَه بالجدِّ والجهدِ  
لا بد أن يَجْنِي من الوردِ  
لا بد أن يُغْلَبَ بالوجدِ  
يسلِّمُ لك الدينُ مع الودِّ  
تضمُّها بالملكِ والعقدِ  
من غير ما فُحِّشَ ولا ردِّ  
فلا تكن بالحقِّ تستعدي

وقال لسان الدين بن الخطيب:

أشكو لمبسمه الحريقَ وقد حمى  
يا ريقه حيَّرتني ومطلتني  
عني لَمَاهِ المشتَهَى ورحيقه  
ما أنت إلا باردٌ يا ريقه

ولابن عبد ربِّه من أبيات بعث بها إلى غلام كان ينوي سفرًا، فعاقته السماء بالأنواء

والأمطار:

هلا ابتكرت لبين أنت مُبتكرُ  
ما زلت أبكي حذارً البين ملتهبًا  
هيئات! يأبى عليك الله والقدرُ  
حتى رثى لي فيك الريحُ والمطرُ

يا بَرْدَه من حيا مُزَن على كبدي      نيرانها بغليل الوُدِّ تَسْتَعِرُ  
أَلَيْتُ أن لا أرى شمسًا ولا قمرًا      حتى أراك وأنت الشمس والقمرُ

ولابن الحاج الغرناطي:

قد قارب العشرينَ ظبيُّ لم يكن      ليرى الورى عن حبه سُلوانًا  
وبدا الربيعُ بخده فكأنما      وافى الربيع يُنادِم النُّعمانا

ولصريع الغواني مسلم بن الوليد قوله:

فأقسمتُ أنسى الدَّاعياتِ إلى الصِّبا      وقد فاجأَتْها العينُ والسِّتْرُ واقعُ  
فغطَّتْ بأيديها ثمارَ نُحورِها      كأيدي الأسارى أثقلتُها الجوامعُ

ولجربير قوله:

سقينَ البشامَ المسكَ حينَ رشَفْنَه      رشيفَ الغُريراتِ ماءِ الوقائعِ  
إذا ما رجا الظَّمآنَ وردَ شريعةِ      ضربنَ خيالَ الموتِ دونَ الشرائعِ

ولآخر في رقيبٍ أحول:

أحوى الجنونَ له رقيبٌ أحولُ      الشئِءُ في إدراكه شيطانِ  
فيلوحُ في عينيَّ منه واحدُ      ويلوح في عينيه منه اثنانِ  
يا ليتَه تركَ الذي هو مبصرُ      وهو المخيرُ في الحبيبِ الثاني

وللسلطان المنصور وهو معنَى حُقَّ فيه أن يُقال: أقوالُ السلاطين سلاطينُ الأقوال:

وكيف بقلبٍ في هواه مقلَّبُ      وأنى له بين الضُّلوعِ قيامُ  
فيا شادِنًا يرعى الحشا أنت في الحشا      أمّا لِـمَحَلِّ أنت فيه زِمَامُ

ولآخر:

قال الطبيبُ لقومي حينَ جَسَّ يدي      هذا فتاكم وربِّ العرشِ مسحورُ  
فقلتُ: ويحكُ قد قاربتَ في ضعفي      بعضَ الصوابِ فهلا قلتَ: مهجورُ

وَتُرَوَّى: غير الصواب.  
وللشيخ ناصيف اليازجي:

أَجَارَتْنَا هَلْ لِلنَّسِيمِ وُصُولُ  
مَضَى وَأَرَاهُ لَمْ يَعُدْ فَلَعَلَّهُ  
تَمَنَّعَتْ بَيْنَ الْبَيْضِ وَالشُّوسِ وَالْقَنَا  
وَكَانَ بُوْدِي لَوْ بَرَزَتْ إِلَى الْحِمَى  
أَيَا دَارَهُمْ بِالْوَادِيَيْنِ قَرِيبَةً  
لَيْنَ عَمَّرَتْ مِنْكَ الْبَيْوُتُ فَإِنَّمَا  
لَنَا فِيكَ خَوْدٌ تَحْسُدُ السُّمْرُ عَطَفَهَا  
عَزِيزَةٌ قَوْمِ حُبُّهَا قَدْ أَذَلَّنِي  
أَقَامَتْ عَيْدُ الْآخَالِ فِي الْخَدِّ حَارِسًا  
وَأَحْرَزَتْ الدَّرِيَّاقِ فِي الثَّغْرِ إِذْ رَأَتْ  
تَذَكَّرْتُ مَا لَمْ أَنْسَ مِنْ وَقْفَةٍ لَنَا  
بَكَتْ فَاسْتَهَلَّ الدَّمْعُ فِي صَحْنِ خَدِّهَا  
تَقُولُ نِسَاءَ الْحَيِّ: إِنِّي خَلِيلُهَا

إِلَيْكَ فَلَئِنْ مِنْهُ الْغَدَاةَ رَسُولُ  
قَضَى نَحْبَهُ إِذْ رَاحَ وَهُوَ عَلِيلُ  
وَكَلُّ يَمْنَعِ الطَّارِقِينَ كَغَفِيلُ  
وَأَنْتِ عَلَى عَهْدِ النَّفَّارِ جَفُولُ  
نِرَاكِ وَلَكِنْ مَا إِلَيْكَ وَصُولُ  
لَدَيْكَ قَلُوبُ الْعَاشِقِينَ طُلُوعُ  
فِيَبْدُو عَلَى أَعْطَافِهِنَّ ذُبُولُ  
نَعَمْ كُلُّ مَنْ يَهْوَى الْجَمَالَ نَزِيلُ  
عَلَى الْوَرْدِ أَنْ يَسْطُو عَلَيْهِ جَهُولُ  
أَفَاعِي نَاكِ الشَّعْرِ وَهِيَ تَجُولُ  
خِلَالَ الثَّنَائِيَا حِينَ جَدَّ رَحِيلُ  
فحَاكِي صِدَاءِ السَّيْفِ وَهُوَ صَقِيلُ  
كَذَبَنْ فَمَا لِلْغَانِيَاتِ خَلِيلُ

وقال المعلم بطرس كرامة الحمصي من غزل قصيدة مدح بها الأمير بشيرا الشهابي المشهور، عندما أتته خلعة منه:

جَاءَتْ تَمِيسُ وَقَدَمَا الْخَطَّارُ  
وَدَنَتْ تَرُومَ تَحِيَّةً فَتَسَابَقَتْ  
تَهْتَزُّ مِنْ تَحْتِ الْحَلِيِّ وَتَنْتَنِي  
تَجْلُو عَوَارِضَ نِي حَبَابِ عَاطِرِ  
سَمَحَتْ بِنَضْوِ لِيثَامِهَا لَكِنَّهُ  
أَنْسَتْ فِي الْخَدَّيْنِ نَارًا عِنْدَمَا  
جَعَلَتْ تُغَازِلُنِي بَغْنَجٍ لِحَاظِهَا  
فَرَأَيْتُ مِنْ ذَاكَ الْمَحِيَّا كُوكِبًا

هَيْفَاءُ تَحْسُدُ وَجْهَهَا الْأَقْمَارُ  
لِلِقَائِهَا الْأَلْبَابُ وَالْأَفْكَارُ  
كَالْغَصْنِ أَشْرَقَ فَوْقَهُ النُّوَارُ  
يَصْبُو إِلَيْهِ الْخَمْرُ وَالْخَمَارُ  
يَحْمِيهِ عَقْرَبُ صُدْغِهَا الدَّوَارُ  
سَفَرَتْ وَفِي قَلْبِي لِذَلِكَ نَارُ  
حَتَّى سَكَرْتُ وَمَا لَدَيَّ عُقَارُ  
يَهْفُو إِلَيْهِ الْكُوكِبُ السِّيَّارُ

عجبي لِطُرَّةِ شَعْرِهَا وَجَبِينِهَا  
 بَاتَتْ تُنَادِمُنِي وَفِي أَجْنَابِهَا  
 تُمْلِي عَلَيَّ مِنَ الْحَدِيثِ طِرَائِفًا  
 فَكَأَنَّ مَا فِي خَدِّهَا فِي لَفْظِهَا  
 تَجَنِّي لِحَاطِي وَرَدَّ وَجْنَتَهَا فَيَا  
 أَشْكَو لَدَيْهَا مَا لَقَيْتُ مِنَ الْهُوَى  
 حَتَّى الصَّبَاحِ بَدَا فَعَمَّتْ مُودَعًا  
 جَاءَتْ وَمَا ضَنْتُ بِحُسْنِ زِيَارَةِ  
 فَوَدِدْتُ أَنْ اللَّيْلَ دَامَ وَزِدْتُهُ  
 يَا لِائِمِّي أَنِّي جُنِنْتُ بِحَبِّهَا  
 لَوْ كُنْتُ تَدْرِي مَا الصَّبَابَةُ وَالصَّبَا  
 اللَّهُ يَعْلَمُ مَا أَرَأَشَ بِمُهْجَتِي  
 فَكَأَنَّمَا أَجْفَانُهَا لَمَّا رَنْتُ

أَنْنَى يَكُونُ مَعَ الظَّلَامِ نَهَارٌ؟  
 أَثْرُ الْحَيَاءِ وَلِلْهُوَى آثَارُ  
 فَكَأَنَّهَا عِنْدَ الْحَدِيثِ هَزَارُ  
 وَكَأَنَّ أَقْدَاحَ السُّلَافِ تُدَارُ  
 لِلَّهِ مَا فَازَتْ بِهِ الْأَنْظَارُ  
 فَتَزِيدُ وَجَدًّا وَالْوَقَارُ وَقَارُ  
 وَالدمع من أجفاننا مدارُ  
 لَكِنَّ أَوْقَاتَ الصَّفَاءِ كَثَارُ  
 مِنْ نَاطِرِيٍّ وَلَمْ تَكُنْ أَسْحَارُ  
 أَقْصِرْ فَلَيْسَ عَلَيَّ الْمَتِّمُ عَارُ  
 كَانَتْ لَدَيْكَ أُقِيمَتِ الْأَعْدَارُ  
 عِنْدَ التَّدَانِي لِحَظِّهَا السَّحَارُ  
 سَيْفُ الْأَمِيرِ الصَّارِمُ الْبِتَارُ

وللشافعي:

مَرَضَ الْحَبِيبُ فَعُدَّتُهُ  
 فَمَرَضْتُ مِنْ لَهْفِي عَلَيْهِ  
 شَفِيَّ الْحَبِيبِ فَعَادَنِي  
 فَشَفِيْتُ مِنْ نَظْرِي إِلَيْهِ

وللشيخ خليل اليازجي فيما يقاربه:

مَرَضَ الْحَبِيبُ بِجِسْمِهِ مِنْ لُطْفِهِ  
 شَرِبَ الْحَبِيبُ دَوَاءَهُ فَشَفِي بِهِ  
 فَمَرَضْتُ مَعَهُ بِقَلْبِي الْوَلْهُانِ  
 وَأَنَا شَرِبْتُ دَوَاءَهُ فَشَفَانِي

وقال أمير المؤمنين سليمان الظافر:

عَجَبًا يَهَابُ اللَّيْثُ حَدَّ سِنَانِي  
 وَأَقَارِعُ الْأَهْوَالِ لَا مَتَهَيِّبًا  
 وَهَابَ لِحَظِّ فَوَاتِرِ الْأَجْفَانِ  
 وَمِنْهَا سِوَى الْإِعْرَاضِ وَالْهَجْرَانِ  
 وَتَمَلَّكَتْ نَفْسِي ثَلَاثًا كَالدَّمَا  
 زُهِرُ الْوَجُوهِ نَوَاعِمُ الْأَبْدَانِ

من فوق أغصان على كُثبانٍ  
حُسناً وهذي أختُ غصنِ البانِ  
فقضى بسُلطان على سلطانِ  
في عزِّ ملكي كالأسيرِ العاني  
إن الهوى عزٌّ وملكٌ ثاني  
وبنو الزمان وهُنَّ من عبْداني  
كلَّفنا بهنَّ فلسْتُ من مروانِ  
خطبَ العلى وحوادثُ السلوانِ  
عاش الهوى في غِبْطَة وأمانِ

ككواكبِ الظلماءِ لُحْنَ لناظِرِ  
هذي الهلالُ وتلك بنتُ المشتريِ  
حاكمتُ فيهنَّ السُّلُو إلى الصبا  
فأبحنَ من قلبي الحمى وثنَّينني  
لا تعذِلوا ملِكًا تذللُ للهوى  
ما ضرَّ أني عبْدُهِنَّ صبا بة  
إن لم أطع فيهنَّ سلطانِ الهوى  
وإذا الكريمُ أحبُّ أَمَّنْ إلفه  
وإذا تجارى في الهوى أهلُ الهوى

وللشيخ ناصيف اليازجي:

للمُحِبِّ الذي تحلَّلتَ قتله  
عثراتُ الآمالِ ليست بسَهلة  
تقتل الأُسْدَ مِنْ عِذارِيه نَملة  
عَ ففي خدِّه من النارِ شُعلة  
ه لئلا يقولَ حبي لِعلة  
أنه الجوهريُّ فاخترتُ نقله  
شِ من الهدبِ إنَّ لحظك نبله

أي ذنب تری وأیة زلَّة  
كلُّ ما ترتضيه سهلٌ ولكنُ  
يا لقومي لقد سباني غزالُ  
ذابلُ الجفینِ فاترُ الطرفِ لا بدُ  
هو دائي ولا أقولُ الدوا منـ  
نقلُ الثُّغرُ عن صحاحِ الثنايا  
وحكى قوسُ حاجبيك عن الرِّيبِ

ولغيره:

فقلتُ لها قولَ المَشوقِ المتيمِّ  
فأطعمته لحمي وأسقيته دمي

وقائلةً ما ذا الهُزالُ وذا الضَّنى  
هواك أناني وهو ضيفُ أعزه

ولآخر:

لامُ خديك صيرتُنا حيارى  
إن هذا الطَّلا وهذا العذارا

يا هلالاً أضاً وصُبْحاً أنارا  
صحتُ مُذْ ذقتُ من لَمَكِ عقارا

فتكا في الأنام حتى العذارى

الندى الرطيب في الغزل والنسيب

لا تقولن عذاره إذ تبدى سوسن أم بنفسج حف وردا  
لا ولا اللام في الكتابة عمدا إنما النمل دب يطلب شهدا  
فرأى النار في الطريق فدارا

وقال أحد شعراء العصر مُشطرًا البيت الأخير:

إنما النمل دب يطلب شهدا من مسيل الثغر الشهي فغارا  
وأراد المروز من فوق شميس فرأى النار في الطريق فدارا

وحكي عن أبي تمام أنه سمع جارية تُغني بالفارسية، فشجاه صوتها فقال:

ولم أفهم معانيها ولكن شجت قلبي فلم أحمل شجاها  
فكنت كأنني أعمى معني يحب الغانيات ولا يراها

وقال كثير عزة:

وأدنينني حتى إذا ما سبيتني بقول يحل العظم سهل الأباطح  
تجافيت عني حين لا لي حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانح

وله أيضًا:

قضى كل ذي دين فوفى غريمه وعزة ممتول معني غريمها

ويروى أن أم البنين أخت عمر بن عبد العزيز قالت لعزة: ما ذاك الدين الذي لكثير عليك؟ فقالت: وعدته قبلة فأخلفت، قالت أم البنين: أنجزها وعلي إثمها! وبلغ الخبر عمر فلامها، حتى ألزمها أن تطلق أربعين رقة.

وقال مظفر بن إبراهيم الأعمى في الاعتذار عن العشق مع العمى:

قالوا عشقت وأنت أعمى ظبيًا كحيل الطرف ألمي  
وجلاه ما عاينتها فتقول قد شغفتك وهما

وخياله بك في المنا  
من أين أرسل للفقوا  
ومتى رأيت جماله  
وبأي جارحة وصل  
والعين داعية الهوى  
فأجبت إني موسوي  
أهوى بجارحة السما  
م فما أطفَ ولا ألمًا  
د وأنت لم تنظره سهما؟  
حتى كسك هواه سُقما  
تَ لوصفه نثرًا ونظمًا؟  
وبه تتمُّ إذا استتمًا  
العشق إنصاتا وفهما  
ع ولا أرى ذات المسمي

ولابن نباتة:

إني إذا أنستُ همًا طارقًا  
ودعوتُ ألفاظَ المليح وكاسه  
عاجلتُ باللذات قطعَ طريقه  
فنعمتُ بين حديته وعتيقه

ولابن الخطيب — وروايته لغيره باطلة:

برى جسدي فيكم غرامٌ ولوعةٌ  
فلولا أنيني ما اهتدي نحو مضعي  
ولو شئت في طي الكتاب لزررتكم  
إذا سكن الليلُ البهيم تثور  
خيالكم بالليل حين يزور  
ولم تدر عني أحرفٌ وسطور

وللباخزي في المعارضة:

عاتبتُ طيفَ الذي أهوى وقلتُ له:  
فقال: آنستُ نارًا من جوانحكُم  
فقلتُ: نارُ الجوى معني وليس لها  
فقال: نسبنتنا في الأمر واحدة  
كيف اهتديت وجنح الليل مسدول  
يضيء منها لدى السارين قنديل  
نورٌ يضيءُ فما ذا القول مقبول  
أنا الخيالُ ونار الشوق تخييل

ولآخر:

وأهيفَ ظلَّ بالمرآة مغرى  
وقال: طلبتُ معشوقًا مليحًا  
يواظبُ رؤية الوجه المليح  
قلما لم أجده عشقتُ روجي

ولعمر ابن أبي ربيعة:

أَمِنْ آلِ نَعْمٍ أَنْتَ غَادٍ فَمُبْكِرُ      غَدَاةَ غَدٍ أَوْ رَائِحٍ فَمُهَجِّرُ  
لِحَاجَةِ نَفْسٍ لَمْ نَقْلْ فِي جَوَابِهَا      فَتُبْلِغِ عَذْرًا وَالْمَقَالَةَ تَعْذِرُ  
أَشَارَتْ بِمِدْرَاهَا وَقَالَتْ لِتَرْبِهَا      أَهَذَا الْمَغِيرِيُّ الَّذِي كَانَ يَذْكَرُ؟  
لئن كَانَ إِيَّاهُ لَقَدْ حَالَ بَعْدَنَا      عَنِ الْعَهْدِ وَالْإِنْسَانُ قَدْ يَتَغَيَّرُ

وله وأجاد:

حُبُّكُمْ يَا آلَ لَيْلَى قَاتِلِي      ظَهَرَ الْحُبُّ بَجْسَمِي وَبَطْنُ  
لَيْسَ حُبٌّ فَوْقَ مَا أَحْبَبْتُمْ      غَيْرَ أَنْ أَقْتَلَ نَفْسِي أَوْ أَجُنُ

وقال أبو النجائب: رأيتُ في الطوافِ فتىً نحيفَ الجسمِ بينَ الضعفِ، يلوذُ ويتعوذُ  
ويقول:

وَدِدْتُ بِأَنَّ الْحَبَّ يُجْمَعُ كُلُّهُ      فَيُقْدَفُ فِي قَلْبِي وَيَنْفَلِقُ الصَّدْرُ  
فَلَا يَنْقُضِي مَا فِي فُؤَادِي مِنَ الْهَوَى      وَمَنْ فَرَحِي بِالْحَبِّ أَوْ يَنْقُضِي الْعَمْرُ

فقلت: يا فتى أما لهذه البنية حرمة تمنعك من هذا الكلام؟ فقال: بلى والله، ولكن  
الحب ملاً قلبي، فتمنيت المنى، والله ما سرتني ما بقلبي منه ما فيه أمير المؤمنين من الملك،  
وإني أدعو أن يقصر الله في عمري ويجعله ضجيعي في قبوري، دريتُ به أم لم أدر، هذا  
دعائي، وله قصدت، وفيه رغبته، فما يُعطي الله سائر خلقه! قال هذا ومضى.  
ولأبي بكر الشبلي:

إِنَّ الْمَحْبَبِينَ أَحْيَاءَ وَإِنْ دُفِنُوا      فِي التُّرْبِ أَوْ غَرِقُوا فِي الْمَاءِ أَوْ حُرِقُوا  
أَوْ يُقْتَلُوا بِسَيْوِفٍ وَسَطَ مَعْرَكَةٍ      أَوْ حَتَفَ أَنْفٍ وَإِنْ أَضْنَاهُمْ الْفَرْقُ  
لَوْ يَسْمَعُونَ مُنَادِي الْحَبِّ صَاحَ بِهِمْ      يَوْمًا لِلْبَاهِ مَنْ بِالْحَبِّ يَحْتَرِقُ

ولعمر ابن أبي ربيعة:

طَالَ لَيْلِي وَتَعَنَّانِي الطَّرِبُ      وَاعْتَرَانِي طَوْلُ هَمٍّ وَوَصَبُ  
أَرْسَلْتُ أَسْمَاءَ فِي مَعْتَبَةٍ      عَتَبْتُهَا وَهِيَ أَحْلَى مَنْ عَتَبُ

وَجَدَ الْحَيَّ نِيَامًا فَاَنْقَلَبُ  
أَحَدٌ يَفْتَحُ بَابًا أَنْ ضَرَبَ  
عَرَضَتْ مِنْكُمْ عَنْهَا فَاحْتَجَبُ  
بِيَمِينِ حَلْفَةٍ عِنْدَ الْغَضَبِ  
سَقَفُ بَيْتٍ رَجَبًا بَعْدَ رَجَبُ  
مَا كَذَا يَجْزِي مُحَبًّا مَنْ أَحَبُ  
فَاقْبَلِي يَا هِنْدُ<sup>١</sup> قَالَتْ: قَدْ وَجَبُ  
إِذْ أَتَى مِنْهَا رَسُولٌ مُوَهِنُ  
ضَرَبَ الْبَابَ فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ  
قَالَ أَيْقَاطُ وَلَكِنْ حَاجَةٌ  
وَلِعَمْدٍ رَدَّنِي فَاضْطَهَدَتْ  
يَشْهَدُ الرَّحْمَنُ لَا يَجْمَعُنَا  
قَلْتُ جَلًّا فَاقْبَلِي مَعْذِرْتِي  
إِنْ كَفَى لِكَ رَهْنٌ بِالرِّضَا

وللشيخ ناصيف اليازجي من أبيات:

وخيِّم شخصُها في السرِّ وهما  
وإن لم نعرفِ الجبلينِ قَدَمًا  
فؤادي أنه لو كان فحماً  
فما كذَّبتُ أنَّ هناك سهماً  
فديتُك من مودعةٍ تولَّتْ  
إلى الجبلينِ منا اليوم شوقُ  
إذا أبصرتِ نارهما تمنى  
رأيتُ لعينها قوساً وريشاً

وللمعلم بطرس كرامة في لباس أسود:

نظرتُ العاشقين مثل النطاقِ  
من سوادِ القلوب والأحداقِ  
أقبلتُ تنجلي وفي معطفِها  
ما ترى بُرْدَها وقد صبغتُها

وله:

مرَّتْ مُعَذِّبَتِي يَوْمًا فَقَلْتُ لَهَا:  
قَالَتْ: أَزُورُكَ لَوْلَا اللَّيْلُ قَلْتُ لَهَا:  
قَالَتْ: أَتَذْكَرُ مَاضِيَ الْعَهْدِ؟ قَلْتُ لَهَا:  
قَالَتْ: أَرَأَيْكَ فَصِيحَ الْقَوْلِ قَلْتُ لَهَا:  
كُفِّي الْقِتَالَ وَفُكِّي قَيْدَ أُسْرَاكِ  
لِطَلْعَةِ الْبَدْرِ جِزءً مِنْ مُحْيَاكِ  
مَا كَانَ يَا ظَبِيَّةَ الْوَعْسَاءِ أَوْفَاكِ  
لَتَمَّتْ تُغْرَ عَدُولِي حِينَ سَمَّاكِ

<sup>١</sup> يُكثِرُ الشعراءُ في التغزُّلِ ذَكَرَ أَسْمَاءَ مُتَعَدِّدَةً فِي الْقَصِيدَةِ الْوَاحِدَةِ مِثَالُهُ: قَوْلُهُ (أَرْسَلْتُ أَسْمَاءَ) ثُمَّ قَوْلُهُ فِي اسْتِعْطَافِهَا: (فَاقْبَلِي يَا هِنْدُ)، وَلَا رَيْبَ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ صَادِرٌ عَنِ مَقَاصِدِ خُصُوصِيَّةٍ، لَا عَنِ حَاسَاتِ عَشْقِيَّةٍ؛ إِذْ لَمْ يَرِدْ مِثْلُ هَذَا فِي قَوْلِ كَثِيرٍ أَوْ جَمِيلٍ أَوْ عَرُودٍ أَوْ مُصَعَّبٍ، وَهَمَّ مِنَ الْعَشَاقِ.

وله في العيون الزُّرق:

إِن تَغْرُنَا بِالْعَيُونِ الزُّرْقَ لَا عَجَبُ      فَإِن زُرُقَ الْقَنَا زُرُقٌ أَسَنَّتْهَا  
وإِنْ بِحُلَّتَيْهَا الْخَضْرَا زَهَتْ مِيلاً      فغصنُ بَانَ النَّقَا المِيَّاسُ قَامَتْهَا  
أَوْ أَنْكَرْتَ يَوْمَ جَدِ البَيْنِ سَفَكَ دَمِي      فشاهدي خدُّها الوردِي وقامتُها

ولولده إبراهيم بك كرامة:

جاءت تَزور من الإفْرَنْجِ غَانِيَةً      وشعرُها طالَ فينا ليلَه الحَلْكي  
تقول: صِفْنِي وَفُسْطَانِي فَقُلْتُ لَهَا:      أَنْتِ الْغَزَالَةُ حَلَّتْ قُبَّةَ الْفَلْكِ

وكان رجل اسمه القاسم الشركي يرعى عُنيَّات، وكلما دُعِيَ لا يجيب، فمرَّ به صبي يوماً يغني:

إِنَّ هَوَاكَ الَّذِي بِقَلْبِي      صَيَّرَنِي سَامِعًا مُطِيعًا  
أَخَذْتَ قَلْبِي وَغَمَضَ عَيْنِي      سَلَبْتَنِي الْعَقْلَ وَالْهَجْوَعَا  
فَدَعِ فَوَادِي وَخُذِ رُقَادِي      فقال: لا، بل هما جميعًا

فاعترى القاسم اضطراباً شديداً، وأقبل يستعيد الغلام، فخاف الغلام منه ومضى، فرجع هائماً إلى رجل يقال له: أحمد الفاخوري وكان عارفاً بالأشعار، فجعل يردُّ الأبيات عليه ثلاثة أيام وهو يضطرب حتى مات!  
وقال الشاعر:

تولَّعَ بالعشق حتى عَشِقُ      فلما استَقَلَّ به لم يُطِقْ  
رَأَى لُجَّةَ ظَنِّهَا مَوْجَةً      فلما تمكَّنَ فيها عَرِقُ

ولإبراهيم أفندي حوراني قوله في صباه من قصيدة:

في وَجْنَتَيْهِ لِكُلِّ شَمْسٍ مَطْلَعُ      وبِمُقْلَتَيْهِ لِكُلِّ نَفْسٍ مَصْرَعُ  
قَمَرٌ لَهُ فِي كُلِّ صُدُغٍ عَقْرَبُ      من فرعه، ومن البروج البرُّقُ

## خطرات أفكار

وهبت لواحظه الحواجب أسهماً  
والخال يتلو في صفيحة خده  
ما زال في أقواسهن يُنزعُ  
خطَّ العذارِ فكلُّ خال يردعُ

ومنها:

ولقد وقفتُ على ربوع أولي الهوى  
عفت الديار وبُدَّت أجسامهم  
تركوا لنا تلك الربوع نذيرةً  
ويدُّ الهوى كتبت على أرجائها  
فأخافني ذاك العراء البلقُعُ  
فكلاهما أيدي الدمار تقطعُ  
تُبدي لنا كيف الأحبة تصنعُ  
أن الغرام هو القضا لا يدفعُ

ومنها:

ولقد أقول لمن جفوني وامتطوا  
يا ساكني أطلال قلبي رحمةً  
خلفتُموني مُفردًا متمكناً  
وخفضتُموني مذ نصبت لنبلكم  
ملتُم إلى الواشي بإشعار الثنا  
إعجام صبري وازدياد تولهي  
بين المحبِّ وطيف ظبي كناسكم  
طال النوى بمديد وافر هجركم  
وأهاج وجدي عاذلي في قوله:  
إياك برقُ نُغورهم ونُحورهم  
يا عاذلي رجواك في نُصحي كمن  
لا ينجح الشَّهْدُ المصْفَى للذي  
يا أيها الوجد احتكم إني فتى

ومنها:

لله درُّ أخي الصبابة إنه  
والحبُّ لو ولج الجبال رأيتها  
بلظى الغرام مدرعٌ ومقنَّعُ  
تصبو إل ذكر الحبيب وتركعُ

ولابن اللبّانة، أبو بكر محمد بن عيسى — وهو من النسيب الحسن:

هلا ثناك عليّ قلبٌ مُشفِقٌ  
قد صرتُ كالرّمق الذي لا يُرْتَجى  
وغرقتُ في دمعي عليك، وغمّني  
هل خدعةٌ بتحيةٍ مَحْفِيَّةٍ  
أنتِ المنيةُ والمني، فيك استوى  
لكِ قَدْ ذابله الوشيح ولونها  
ويقال: إنك أَيْكَةٌ حتى إذا  
يا مَنْ رشقتُ إلى السُّلوِّ فرَدّني  
لو في يدي سحرٌ وعندي أُخْذَةٌ  
لِتَذوقَ ما قد ذقتُ من ألمِ الجوى  
جسدي من الأعداء فيك لأنه  
لم يدرِ طيفُك موضعي من مَضْجعي

ولآخر قوله:

مسألةٌ جئتُك مستفهماً  
علامَ تحمرُّ وجوهُ الطّبي

عنها وأنتِ العالمُ المستشارُ  
وأوجهُ العشاقِ فيها اصفرارُ؟

فأجابه بعضهم:

يحمرُّ وجهُ الطّبي إذ لحظهُ  
واصفرَّ وجهُ الصبِّ لما نأى

سيفٌ على العشاقِ منه احورارُ  
والشمسُ تُبقي للمغيّبِ اصفرارُ

وللسان الدين الأندلسي قوله من قصيدة:

لِي اللهُ مِنْ نَفْسِ شَعاعٍ وَمُهْجَةٍ  
ونقطةٌ قلبٍ أصبحتُ منشأُ الهوى

إذا قدَحَتِ لِمِ يَخْبُ مِنْ زَنْدِها سَقَطُ  
وعن نقطةٍ مفروضةٍ ينشأُ الخطُّ

ومثله لغيره:

برهنَ إقليدسُ في فُئهِ      وقال في النُقْطَةِ لا تنقَسِمُ  
ولي حبيبٌ فمُه نَقَطُهُ      موهومةٌ تُقَسَمُ إذ يبتسَمُ

ولآخر:

محبتِّي لا تنتهي      لعلةٍ تُبطلُها  
كأنها دائرة      آخرها أولُها

ولابن الخطيب في الساقى:

كيف أمّنتما على الشرب ظبيًا      لحظهُ في القلوبِ غيرُ أمينِ  
راح يسقي فصبَّ في الكأس نزرًا      ثقةً منه بالذي في العيونِ

قال ابن زيدون يتشوق إلى ولادة ابنة المهدي ومعهده بقرطبة، وضمن بيت المتنبي المشهور:

هل تذكرون غريبًا عاده الشجنُ      من ذكركم وجفى أجفانه الوسنُ  
يُخفي لواعجه والشوق يفضحه      فقد تساوى لديه السرُّ والعلنُ  
يا ويلتاه أيبقى في جوانحه      فؤاده وهو بالأطلال مرتهنُ  
وأرق العينَ والظلماء عاكفةً      ورقاءً قد شقني أو شققها الحزنُ  
فبتُّ أشكو وتشكو فوق أيكتهما      وبات يهفو ارتياحًا بيننا الغصنُ  
يا هل أجالس إخوانًا أحبهم      كنا وكانوا على عهدٍ وقد ظعنوا  
أو تحفظون عهدًا لا أضيّعها      إن الكرام بحفظ العهد تمتحنُ  
إن كان عادكم عيدٌ فربّ فتى      بالشوق قد عاده من ذكركم حزنُ  
وأفردته الليالي عن أحبته      فبات ينشدها مما جنى الزمنُ  
بم التعلُّ لا أهلٌ ولا وطنُ      ولا نديمٌ ولا كأسٌ ولا سكنُ

ولآخر وهو بديع:

فِلاحةٌ مثلي ممقوتةٌ      وإن أعجب البدء منها وراق  
زرعتُ اللقاءَ وعالجتهُ      فلم أستفد منه إلا الفراق

وقال شاكر أفندي شقير — والأصل عن التركية:

لما رأيتُ بورِدَ خدِّكَ نقطةً      سوداءَ مثلَ المسكِ فوقَ لهيبِ  
ورأيتُ قلبي كالفراشةِ حائماً      من حولها بتحرُّقٍ ووَجيبِ  
وعلمتُ أن سهامَ لَحْظِكَ مرَّقت      أحشائي حين دعوت غيرَ مُجيبِ  
أيقنتُ أن الخالَ حبَّتهِ وقد      صارت علامةً قلبي المَجذوبِ  
فبك الحياةُ الآن صارَ قيامُها      فإذا صدَدت أُمْتُ بلا تَثريبِ

ولابن الجزري:

نتفدَّاك ساقياً قد كَساك الـ      حُسن من فَرَّقك المضيءِ لِساقِكُ  
تُشرقُ الشمسُ من يديكَ ومن فيـ      لك الثُّريا والبدرُ من أطواقِكُ  
أوليس العجيبُ كونك بدرًا      كاملاً والمحاقُ من عُشاقِكُ  
فتنةٌ أنتَ إذ تُميت وتُحيي      بتلاقيك من تشا وفراقِكُ  
لست من هذه الخليقة بل أنـ      ست مَليكَ أُرسلت من خلاقِكُ

وقال الشيخ خليل اليازجي:

أقول لها وقد رشَّقت فؤادي      بأسهمَ لَحْظها عند اللقاءِ  
حذارِ فانتِ في قلبي فأخشى      عليك السهمَ منه عن حَطاءِ  
فقلت: إنني أشفي فعيني      بها سرُّ الجراحةِ والشفاءِ  
فقلت لها: إذن فاشفي جراحي      فقلت: سوف تحظى بالدواءِ

وقال نجيب أفندي المشعلاني في هذا المعنى:

عجباً أما تخشين سهمَ اللَّحظِ إذ      ترمين في قلبي وأنتي فيه  
قلت: إذا رمت السهامَ لواحظي      أرنو لمَجروحي وذا يشفيه

وقال ابن اللبّانة:

فؤادي مُعَنِّي بِالْحِسَانِ مُعَنَّتْ  
ولي نَفْسٌ يَخْفَى وَيَخْفَتُ رَقَّةً  
وبي مَيِّتُ الأَعْضَاءِ حَيٌّ دِلَالَةً  
جعلتُ فؤادي جَفْنٌ صَارِمٌ جَفْنِهِ  
أَذَلُّ لَهُ فِي هَجْرِهِ وَهُوَ يَنْتَمِي  
وما أُنْبِتُ حَبْلٌ مِنْهُ إِذْ كَانَ فِي يَدِي

ولأبي الحسن البرقي:

يَرُدُّ نَاطِرِي نَظْرِي إِلَيْهِ  
شَفَاهَا مِنْهُ إِثْمٌ عَارِضِيهِ  
أَجْبِلُ الطَّرْفَ فِي حَدِّ نَضِيرٍ  
إِذَا رَمَدَتْ بِحُمْرَتِهِ جُفُونِي

ولابن ديبلاق الأندلسي:

سَقَتْنِي بِيَمَانِهَا وَفِيهَا وَلَمْ أَزَلْ  
تَرَشَّفْتُ فَاهَا إِذْ تَرَشَّفْتُ كَاسَهَا  
يُجَاذِبُنِي مِنْ نَا وَمِنْ هَذِهِ سُكْرٌ  
فَلَا وَالْهُوَى لَمْ أَدْرِ أَيُّهُمَا الْخَمْرُ؟

وللسان الدين بن الخطيب في معشوقٍ أحول:

وَأَحْوَلٌ يُعْدي القَلْبَ سَهْمٌ جُفُونِهِ  
رَأَى الحَسْنَ أَنْ اللُّحْظَ مِنْهُ مَهْنَدٌ  
فَتَضْحِي صَحِيحَاتُ القُلُوبِ بِهِ مَرْضَى  
فَحَرَّفَهُ كَيْمَا يَكُونُ لَهُ أَمْضَى

ولآخر في شرب الدخان:

وَمَا شَرَبْنَا الدُّخَانَ عَيْبٌ وَإِنَّمَا  
أَدْرَنَاهُ فِيمَا بَيْنَنَا فَلَعَلَّهَا  
أَرَدْنَا بِهِ مَعْنَى، قِفُوا وَتَأَمَّلُوا  
إِلَى ثَغْرٍ مَنْ نَهَى بِهِ تَتَوَصَّلُ

ولابن الخطيب الأندلسي:

وَلَمَّا رَأَتْ عَزْمِي حَتِيئًا عَلَى السُّرَى  
أَتَتْ بِصِاحِ الجَوْهَرِيِّ دَمُوعَهَا  
وَقَدْ رَابَهَا صَبْرِي عَلَى مَوْقِفِ البَيِّنِ  
فَقَابَلَتْ مِنْ دَمْعِي بِمَخْتَصِرِ العَيْنِ

ولي في الاعتذار عن النوم إبان انتظار المحبوب:

أفندي الذي زارني ليلاً فعاتبني  
أحبته: إن عيني مُدّ جليت لها  
أيان أدركني والعين في أرق  
راقت وقد سجدت للفاتر الحدق

ولشاكر أفندي شقير:

البين علم مثلنا الأشعارا  
قد كنت غادرت القريض وأخمدت  
حتى دعا هذا الفراق قريحتي  
بقيت شرارته التي لا تنطفي  
قلت: استرحت من الحبيبة والنوى  
سبحان من جعل المحبة فطرة  
فالقلب لا يُنجيه من شرك الهوى  
طوراً يحب الغانيات وتارة  
والكل حب قد تساوى فعله  
حتى نرى الحيوان يعشقه الفتى  
في ذا جرى القدر المتاح ومن ترى  
فاعلم فديتك أن علمك صادق  
ولكم تراكم في الليالي مقلتي  
حتى وددت تكون أيامي دجى  
لم تمض مذ غبتم علينا ليلة

إذ لم نجد للشوق فيه قرارا  
نيرانه وقصدت منه فرارا  
وأعاد لي ممّا مضى تذكارا  
والبعد أضرّمها فعاتت نارا  
فأتى الحبيب ينبّه الأفكارا  
في القلب حتى يظهر الأسرارا  
حذر ولو عمّل الجناح وطارا  
يهوى الكرام ويعشق الأحرارا  
شرقاً أقام لأهله أو عارا  
وجميع ما في القلب نال قرارا  
إن كان يعقل عارض الأقدارا  
قلبي أسير ودايدكم قد صارا  
وأذوب وجداً كي أراك نهارة  
أو لو أصادف في النهار غرارا  
إلا ونحوكم فؤادي سارا

ولغيره في فتاة سوداء:

يكون الخال في وجه قبيح  
ككيف يلام معشوق على من  
فيكسوه الملاحّة والجمالاً  
يراها كلّها في العين خلا

ولعمر ابن أبي ربيعة:

أحب لحبك من لم يكن  
وأبدل مالي لمرضاتكم  
صفيًا لنفسي ولا صاحباً  
وأعتب من جاءكم عاتباً

## خطرات أفكار

وَأَرَعَبُ فِي وَدِّ مَنْ لَمْ أَكُنْ      إِلَى وَدِّهِ قَبْلَكُمْ رَاغِبًا  
وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ فِي جَانِبِ      مِنَ الْأَرْضِ وَاعْتَرَلَتْ جَانِبًا  
لِيَمَّمْتُ طِينَتَهَا إِنْنِي      أَرَى قُرْبَهَا الْعَجَبَ الْعَاجِبًا

ولا بن عبد ربّه:

يا ذا الذي خطَّ العذارُ بِخَدِّهِ      خَطَّيْنِ هَاجَا لَوْعَةً وَبَلَابِلًا  
مَا صَحَّ عِنْدِي أَنْ لِحْظَكَ صَارُمٌ      حَتَّى لِبَسْتَ بَعَارِضِيكَ حَمَائِلًا

وقال صاحبُ نَفْحِ الطَّيِّبِ: أخبرني بعضهم أن الخطيبَ أبا الوليد بن عيال حجَّ، فلما انصرف تطلَّع إلى لقاء المتنبِّي واستشرف، ورأى أن لُقياه فائدة يكتسبها، وصلة فخرٍ لا يحتسبها، فسار إليه، فوجده في مسجد عمرو بن العاص، ففاوَّضه قليلاً، ثم قال له: أنشدني للمليح الأندلس — يعني ابن عبد ربّه — فأنشده:

يا لَوْلَا يَسْبِي الْعَقُولَ أَنْيَقَا      وَرَشًا بِنَقْطِيعِ الْقُلُوبِ رَفِيقَا  
مَا إِنْ رَأَيْتُ وَلَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ      دُرًّا يَعُودُ مِنَ الْحِيَاءِ عَقِيقَا  
وَإِذَا نَظَرْتُ إِلَى مَحَاسِنِ وَجْهِهِ      أَبْصَرْتُ وَجْهَكَ فِي سَمَاءِ غَرِيقَا  
يَأْمَنُ تَقَطَّعَ خَصْرُهُ مِنْ رَقَّةٍ      مَا بِالْأَلِّ قَلْبِكَ لَا يَكُونُ رَقِيقَا

فلما أكمل إنشادها استعادها منه، وقال: يا ابنَ عبد ربّه، لقد تأتيتك العراق حيوًّا. ولشاكر أفندي شقير — وفيه الجنس المزدوج:

قلبي على أثر المراحلِ راحلُ      وهوايَ في تلك المنازلِ نازلُ  
يا راحلين ولم نَفْزُ بُوْدَاعِهِمْ      مهلاً فإنني بالتقابلِ قابلُ  
قد طال بَعْدَكُمْ فَسَارَتْ إِتْرَكُمُ      كتبي ودمعي في الرِّسَائِلِ سائلُ  
لم تُنْصِفُوا فِي الْحَبِّ فِيمَا بَيْنَنَا      وأنا على الحبِّ المعادلِ عادلُ  
ما عندكم جزءٌ الذي في مُهْجَتِي      لكنْ أنا عن ذَا التَّغَافُلِ غَافِلُ  
أَوْ لَا يَكُونُ عَلَى الْأَقْلِ تَحِيَّةُ      منكم لمن هو للشَّمَائِلِ مائلُ؟

ولأبي عمر الأندلسي:

الشَّجْوُ شَجْوِي وَالْعَوِيلُ عَوِيلِي  
أَعْتَدْتُ لَوْمَكَ لِي مِنَ التَّنْزِيلِ  
لِهَوَى وَلَا أَجْسَامَهُمْ لِنُحُولِ  
فَتَاوَلَوْهُ أَقْبَحَ التَّأْوِيلِ  
سَلِمْتَ مِنَ التَّعْذِيبِ وَالتَّنْكِيلِ  
أَوْ قَلْتَ: فِي قَلْبِي، فَتَمَّ غَلِيلِي

مَنْ حَاكَمَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَذُولِي  
أَقْصِرْ فَمَا دَيْنُ الْهَوَى كَفْرٌ وَلَا  
عَجَبًا لِقَوْمٍ لَمْ تَكُنْ أَذْهَانُهُمْ  
دَقَّتْ مَعَانِي الْحَبِّ عَنْ إِفْهَامِهِمْ  
فِي أَيِّ جَارِحَةٍ أَصَوْنُ مُعْذَبِي  
إِنْ قَلْتَ: فِي عَيْنِي، فَتَمَّ مَدَامَعِي

ولي في فتاة مُبرِّقة:

بَدْرِ الْمَحْيَا بُرْقَعًا مَنَعَ النَّظْرُ  
تَرْنُو وَمِنْ سَهْمِ الْعَيُونِ إِذَا ابْتَدَرُ  
وَالشَّمْسُ يَكْسِفُ ضَوْءَهَا نَوْرَ الْقَمَرِ

يَا مَنْ يَلُومُ غَزَالَةَ سَدَلْتَ عَلَيَّ  
ذَا مَانِعٌ مِنْ ضَرِّ سَيْفِ اللَّحْظِ إِذْ  
خَوْفَ انْكَسَافِ الشَّمْسِ صَانَتْ وَجْهَهَا

ولإبراهيم أفندي الحوراني في صباه:

ظَبِي الْخِيَامِ فَرُحْتُ مِنْ أُسْرَاكَ  
سَحْرًا فِضَاعَ الْقَلْبِ فِي مَغْنَاكَ  
لَمَّا رَأَيْتَ أَهْيَلَهُ أَمْلَاكَ  
لَمَّا رَأَيْتَ خِيَامَهُ أَفْلَاكَ  
وَجِسَانَهُ سَكْرَى بِخَمْرِ صِبَاكَ  
أُودَى بِهِمْ ظَمًا لِمَاءِ لَمَّاكَ  
فَقَدْتَ لِذِيذِ رُقَادِيهَا بِجَفَاكَ  
وَأَضَعْتَ رُشْدَكَ وَاتَّبَعْتَ هَوَاكَ  
أَلْقَى إِلَهُ الْحَبِّ فِيهِ عَصَاكَ  
حَتَّى قَلَاكَ عَلَى الْغَضَا وَشَوَاكَ  
مِنْ مُهْجَةٍ ذَوَيْتَهَا بِلَظَاكَ  
تَسْكَابُهَا إِلَّا غَلِيلَ عِدَاكَ  
لِعَرِيبٍ حُسْنِ نَازِلِينَ هُنَاكَ

حَمَلَ النَسِيمُ لَنَا عَبِيرَ شَذَاكَ  
وَرِيَاضُ رَبْعِكَ ضَاعَ نَشْرُ خَزَامِهَا  
مَغْنَى تَوْهَمَتِ السَّمَاءِ رِحَابِهِ  
وَظَنَنْتُ سُكَّانَ الْمَضَارِبِ أَنْجَمًا  
أَغْصَانُهُ سَكْرَى بِصَهْبَاءِ الصَّبَا  
وَرِيَاضُهُ رِيَانَةٌ بِدَمِ الْأَلَى  
وَسَيُولُهُ مِنْ مُقْلَةٍ الصَّبِّ الَّتِي  
فِيهِ لَقِيتِ الْوَجْدَ قَلْبِي وَالضَّنَا  
وَعَصَاكَ صَبْرَكَ عَنْ حَبِيبِكَ عِنْدَمَا  
وَشْغَلْتَ عَنِ أَرَامِ رَامَةٍ بِالصَّفَا  
وَسَلَوْتَ عَنِ رَشْفِ الْمُدَامِ بِأَدْمَعِ  
مِنْهَا غَلَا ظَمًا الْغَلِيلِ وَمَا شَفَى  
يَا قَاصِدًا وَادِي الْعَقِيقِ تَحِيَّةً

لكن حذارٍ من المَهَى تَلْقَاكَ  
أجفانٍ تَسْبِي بالدلالِ نُهاكَ  
إياك نارَ غرامِهِ إِيَّاكَ  
حُسْنَ الدعاءِ لمن إليه هَدَاكَ

وأنشد فؤادي في خمائلِ ضالِهِ  
من كل صائِدَةِ القلوبِ مريضَةِ الـ  
وإذا لقيتِ القلبَ بين جِسانِهِ  
وإذا هُديتِ إلى الهُيامِ فلا تَدَعُ

ومنها:

تبقى سليماً كان ذاك فداكا  
أو عِبْرَةٌ فيها يَنال رضاكا  
واحفظُ مودَّتِها وحَفُّ مولاكا  
لا زال بدرٌ جماله بعُلاكا

وإذا سئلتُ عن العميدِ فقل له:  
فارحَمِ ثراه بنظرةٍ يحيا بها  
وارفُقْ بمهجته المقيمة بالحمى  
يا رَبِّعْ مَنْ مَلَكَ الفؤادَ بدَلُهُ

ومنها:

يَقْضِي على هذا ويُحيي ذاكَا  
يَتْرُكُ لممْلَكَةِ السُّلُوِّ ملاكا  
ما جُنَّ قيسُ الحَبِّ في ليلِاكا  
تَهْمِي لبرقِ وامِضِ برُباكا  
يترقَّبُ الحدواءَ من رِيَّاكا  
وأمتٌ سُلوانَ المحبِّ ولاكا  
طوبى لمن يحظى بِلُثمِ ثراكَا  
نصبتُ لقلبي في الهوى أشراكَا  
دهري ويسقي العاشقين هلاكَا  
رُمتُ البعادَ لجاد لي بِلِقاكا  
بالصدِّ تنشرُ للقتالِ لواكا  
بيضا جرحتَ بها حشى مُضناكا  
سَيْلُ الجفأ، رفقًا بمن يهواكا  
لم يرمني سهمُ الهوى لولاكا  
من ربِّه بعد الرضى إلاكَا  
حربًا وفرسانُ الملامِ عراكَا

سبحان مَنْ ولَّاه أربابَ الهوى  
مَلَكَ العبادَ بسيفِ مُقلتِهِ ولم  
وهواه لولا ساحراتُ لحاظِهِ  
يرعى النُّجومَ وهُنَّ من أجفانِهِ  
ويظل ملتفتًا إلى أرضِ الصفا  
أحييتُ مقتولِ البعادِ بنشرِها  
وتركتني ثَمَلًا بذكريك مُنشداً  
ويرى مَلِكِ الحسنِ من أوصافِهِ  
حتامَ يوردُني مَوارِدِ هجرِهِ  
طُبعَ الزمانُ على العنادِ فلو به  
فكفك يا بدرًا بمُنْعرجِ اللوى  
والغنْجِ من سودِ اللواحظِ يَنْتَضِي  
رفقًا بمن يهواك قد بلغَ الرُّبى  
يا قاتلي بجماله ودلالِهِ  
عطفًا على الصبِّ الذي لا يبتغي  
دِنْفُ أقدامِ على الفؤادِ جفونَهُ

فغدا على طُورِ الغرام مُكَلِّمًا  
مُلَقَى بسجن النَّائباتِ مقيدًا  
عُذْرِيَّ حَبِّ لا يَرى في حبه  
يا أيها الصَّبُّ الذي بنُوَاحه  
تَجْنِي السَّقَامَ بِمُقْلَتَيْكَ وتَدَّعي  
لو كان للوَرَقاءِ نطقٌ أَنشدتِ  
يا باخلاً بالوصلِ هل من رَحمةٍ  
رَكِبَ الظلامَ وسارَ يخرقُ الفَلا  
وأنته أرواحُ الخزامِ أدلَّةٌ  
وتمزَّقتِ حُجُبُ الظلامِ ببارقِ  
وتسنَّمتِ عصفَ الرياحِ جِياذُه  
ترمي سَنابِكُها الشرارَ كأنها  
حتى وصلنا حاجراً وجِسانه  
مغنى قساورةِ المهى وظيفاؤه

ومنها:

يا رَبَّةَ الطَّرْفِ الذي طَعَنَ الحشى  
لا تُنكِري ولَهي العَظيمَ فَإِنَّه  
قسماً بِشمسِكَ يا مُحياً والضحى  
ما كابدَ الولهانُ أهوالَ السُّرى  
يا جَفَنها رفقاً بمن أهلكته  
أنسيتِ سَفْكَ دمي وسُهدي بالنوى  
يا عَطْفها عَطْفاً على مُتَوَلِّه  
زِدتِ الجفا رَبِّي يَزِيدُكَ رِقَّةً

ولابن إسرائيل وقد حياه غلامٌ بتفاحة:

لله تفاحةٌ وافى بها سَكْنِي  
كقَرَصَةِ المِسكِ وافاني الغزالُ بها  
فسكَّنتِ لَهَباً في القلبِ يَسْتَعِرُّ  
وَعُرَّةَ النَجْمِ حَيَّانِي بها القمرُ

يُزري بنشر الحميا نشرها العطر  
أتى بها قاتلي نحوي فهل أحد  
قبلي تمشى إليه الغصن والثمر؟

وله في كحال:

يا سيد الحكماء هذي سنة  
أوكما كأت سيوف جفون من  
مسنونة في الناس أنت سننتها  
سفتك لواحظه الدماء سننتها

ولإبراهيم الحائك في طباخ:

هويت طباخا سلاني وقد  
محترقا إذ لم يزل بالجفا  
قلا فؤادي بعدما رده  
يطبخ لي أحمض ما عنده

ولأديب بك إسحاق من أبيات:

بأبي أفدي التي قالت سلوا  
أن يكونوا رسل الحاطي سلوا  
سحرتهم لحظاتي فابتلوا  
وجمالي كل ذي قلب فتن  
وسلوا في الحب شيخا وفتى  
هل رأى العشاق مثلي في الملأ؟  
فيخدي للذي يهوى بلال  
بهواها يا له سحرا حلال  
ولأرباب النهى قد قمرا  
يرعيان الليل في القمر

ولي من أبيات:

وظبي شق قلبي من هواه  
فقلت علام هجرك لي وروحي  
فقال: رأيت ما قد شق سهمي  
وقاطعني وأعلن بالبعاد  
قد اتحدت بروحك بالوداد  
وليس يلازم المشتق هادي

ولأبي نواس — وقد وصله كتاب عنان وفيه محو:

أكثرني المحو في كتابك وامحي  
وأمرري بالمحاء بين ثنايا  
إنني كلما مررت بسطر  
تلك تقبيلة لكم من بعيد  
إه إذا ما محيته باللسان  
ك العذاب المفجات الحسان  
فيه محو لطفته بلساني  
أهديت لي وما برحت مكاني

ولآخر:

رَوَّحَنِي عَائِدِي فَقَلْتُ لَهُ:      لا، لا تَزِدْنِي عَلَى الَّذِي أَجِدُ  
أَمَا تَرَى النَّارَ كُلَّمَا خَمَدَتْ      عِنْدَ هَبُوبِ الرِّيحِ تَتَّقَدُ

وقال غيره:

وقائِلَةٌ مَا بِالْجَسْمِكَ جَاسِمٌ      وعهدي بأجسام المحبِّين تَسَقَمُ  
فَقَلْتُ لَهَا: قَلْبِي بِسَرِّي لَمْ يَبْحُ      لجسمي، فجسمي بالهوى ليس يَعْلَمُ

ولغيره:

دَعَوْتُ بِمَاءٍ فِي إِنَاءٍ فَعِفَّتُهُ      وقلْتُ: طَلَبْتُ الْمَاءَ أَحْضَرْتَ لِي الرَّاحَا  
فَأَعْرَضَ عَنِّي بِاسْمًا وَهُوَ قَائِلٌ:      هُوَ الْمَاءُ لَكِنْ لَوْ نُحَدِّي لَهُ لَاحَا

ولسليمان أفندي بستاني عن الفارسية:

وَحَقِّكَ أَدْرَكْتُ شَفَتِي رُوحِي      وَمَنْ شَفَتِيكَ تَنْتَظِرُ الْإِفَادَةَ  
فَدَيْتُكَ عَجَلِي بِالْأَمْرِ وَأَقْضِي      بِمَوْتِ الْيَأْسِ أَوْ عَيْشِ السَّعَادَةِ

وحكى ولد الفرزدق قال: اجتمع أبي وجميل وجريز وكثير ونصيب، فقال بعضهم لبعض: لا تجتمعون مثل هذه، فهلّموا نفعل شيئاً نذكر به في الزمان، فقال جريز: هل لكم أن نسلم على سكينه ابنة الحسين؛ فلعلها تكون سبباً لما أردتم، فقالوا: نعم الرأي! وانطلقوا، فطرقوا الباب، فخرجت جارية ظريفة، فبلغها كل السلام، فدخلت ثم عادت، فقالت: أيكم القائل:

سَرَتِ الْهَمُومُ فَبِتَّنَ غَيْرَ نِيَامٍ      وَأَخُو الْهَمُومِ يَرُومُ كُلَّ مَرَامٍ  
دَرَسَتْ مَعَالِمَهَا الرُّوَّاسِمُ بَعْدَنَا      وَسِجَالُ كُلِّ مَجْلَجِلٍ سَجَامٍ  
ذُمَّ الْمَنَازِلَ بَعْدَ مَنَزَلَةِ اللُّوَى      وَالْعَيْشَ بَعْدَ أَوْلَيْتِكَ الْأَيَامِ  
«طَرَقْتِكِ صَائِدَةُ الْفَوَادِ وَلَيْسَ ذَا      وَقَتَ الزِّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ»  
يَجْرِي السُّوَاكُ عَلَى أَغْرٍ كَأَنَّهُ      بَرْدٌ تَحَدَّرَ مِنْ مُتُونِ غَمَامٍ  
لَوْ كُنْتَ صَادِقَةً بِمَا حَدَّثْتَنَا      لَوْصَلْتَ ذَاكَ وَكَانَ خَيْرَ تَمَامٍ

قال جرير: أنا قلتُه. قالت: فما أحسنتَ ولا أجملت، ولا صنعتَ صنَع الحرِّ الكريم، لا سترَ الله عليك كما هتكتَ ستركِ وسترها! ما أنتِ بكلفٍ ولا شريفٍ حين رددتها وقد تجشمتَ إليك هولَ الليل. هلاً قلتِ:

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْفَوَادِ فَمَرَحَبًا      نَفْسِي فِدَاؤُكَ فَادْخُلِي بِسَلَامٍ!

خذ هذه الخمسمائة درهمٍ واستعِنِ بها على سفرك. ثم انصرفتِ إلى مولاتها وقد أفتحمتنا وكلُّ من الباقيين يتوقع ما يُخجله، ثم خرجت فقالت: أيكم القائل:

ألا حببذا البيت الذي أنا هاجرُهُ	فلا أنا ناسيه ولا أنا ذاكِرُهُ
فبورك من بيتٍ وطال نعيمُهُ	ولا زال مغشياً وخُلدِ عامرُهُ
هو البيتُ بيتُ الطُّولِ والفضلِ دائماً	وأسعدَ ربِّي جدَّ مَنْ هو حازِرُهُ
به كلُّ موشيِّ الذُّراعين يرتعي	أصول الخُزامى ما يُنقَرُ طائرُهُ
هما دلياني من ثمانينِ قامَةٍ	كما انقضَّ بازٌ أفتَمَّ الريش كاسرُهُ
فلما استوتَ رجلاي في الأرضِ قائلًا	أحيي يُرجي أم قتيلاً نحازرُهُ؟
فأصبحتُ في أهلي وأصبح قصرُها	مُغلقةً أبوابه ودساكرُهُ

قال لها أبي (يعني الفرزدق): أنا قلتُه. فقالت: ما وُفقتَ ولا أصبتِ، أما آسيتَ بتعريضك من عودةِ صدق محمودة! خذ هذه الستمائة درهم، فاستعِنِ بها. ثم انصرفتِ إلى مولاتها، ثم عادت فقالت: أيكم القائل:

فلولا أن يُقال: صبأ نُصيبٌ      لقلتُ: بنفسِي النشأ الصَّغارُ  
بنفسي كلُّ مهضومٍ حشاها      إذا ظلتَ فليس لها انتصارُ

فقال نُصيبٌ: أنا قلتُه. فقالت: أغزلتَ وأحسنت، ولا كُرمت؛ لأنك صبوتَ إلى الصغار، وتركتَ الناهضات بأعمالها. خذ هذه السبعمائة درهم، فاستعِنِ بها. ثم انصرفتِ إلى مولاتها، ثم عادت فقالت: أيكم القائل:

وأعجبني يا عَزُّ منكِ خلائقُ      كرامٌ إذا عُدَّ الخلائقُ أربُعُ  
دُنُوكِ حتى يذکر الجاهلُ الصُّبا      ومدُّكِ أسبابَ الهوى حين يطمعُ

وإنك لا تدري غريمًا مَطْلُتِه      أَيَشْتَدُّ إن لاقاكِ أو يتضرَّعُ  
وإنك إن واصلتِ أعلمتِ بالذي      لديك، فلم يُوجد لك الدهرَ مَطْعُ

قال كُتَيْبٌ: أنا قلتُه. قالت: أغزلتِ وأحسنْت. خذ هذه الثمانمائةِ درهم فاستعن بها.  
ثم انصرفت إلى مولاتها، ثم خرجت فقالت: أيكم القائل:

لكل حديثٍ بينهنَّ بشاشةٌ      وكلُّ قتيلٍ بينهنَّ شهيدٌ  
يقولون: جاهدْ يا جميلُ بغزوةٍ      وأيَّ جهادٍ غيرهن أريدُ؟  
وأفضلُ أيامي وأفضلُ مشهدي      إذا هيجَ بي يوماً وهنَّ قعودُ

فقال جميل: أنا قلته، قالت: أغزلتِ وأحسنْت، وكرمت وعففت، ادخل. قال جميل:  
فلما دخلتُ سلَّمت، فقالت سُكينة: أنت الذي جعلتِ قَتيلنا شهيداً، وحديثنا بشاشة، وأفضلَ  
أيامك يوم تذبُّ عنا وتدافع، ولم تتعدَّ ذلك إلى قبيح. خذ هذه الألفَ درهم، وابسطْ لنا  
العذر؛ أنت أشعرُهم. اهـ. قلت: ولما اطلَّع قاضي القضاة تاجُ الدين ابنُ السُّبكي على قول  
جرير الواردِ أولاً وهو: (طرقتك صائدةُ الفؤاد ... البيت) قال يردُّ عليه:

يا ليتَ شعري هل أحبُّ      جريرُ إذ أبدى اعتذاره  
إن كان يصدِّقُ حُبُّه      فالقلبُ منه كالحجارة  
إذ قال قولاً لم يقلُّ      هُ عاشقٌ أو ذو جسارة  
طرقتك صائدةُ القلو      بٍ وليس ذا وقتَ الزيارة

وأقبل الشعراء من بعده، وردُّوا عليه الردَّ المشبع، وأذاقوه شرَّ ما جنى؛ فمنه ما قاله  
القاضي المذكور:

هذا مقالك يا جريـ      رُ لديَّ أشنعُ ما يُقالُ  
هل تمَّ وقتٌ ليس يَصُـ      لُحُ للزيارة والوصالُ؟!  
أم قيلَ قبلكَ: فارجعي      ولذلك ذنبٌ لا يقالُ؟!  
أم كان قلبك من حديـ      دٍ ليس تُؤذيه النَّبالُ؟!

## خطرات أفكار

وقال شهاب الدين أحمد ابن أبي حجلة يردُّ على جرير:

رُ في المحافلِ والمشاهدِ	وا حَجَلتا لك يا جريـ
بِ فكنْتَ صَبًّا غيرَ صائدُ	طرَقَتِكَ صائِدَةُ القلو
هذا خَبالُ منك فاسِدُ	فردَدَت طيفَ خيالِها
وافى إليك وأنتَ راقِدُ	الطَّيفُ أعشَقُ منك إذ
في الناسِ للعشاقِ عائدُ	لا عادِ مثلكَ ما بَقِي

وقال أزد الهندي يرد عليه:

نُ له إلى الحسناءِ فيه رُكونُ	يأتي على مَنْ هامَ وقتُ لا يكو
لا تَعزِلوهُ فالجنونُ فنونُ	طرقتَه صائِدَةُ الفؤادِ فردَّها

قلت: ولو اطلع جريرٌ على هذه الأقوال لما فات قائلها بعضُ نَفثاته المشهورة، ولعل له في طرفها بعضُ العذر، وهم يولمونها، فقلت:

خوفَ الرقيبِ وخشيةً من عاذلِ	طرقتَه صائِدَةُ الفؤادِ فردَّها
لزيارةٍ، وكذاك شأنُ العاقلِ	إذ كان ذاكَ الوقتُ ليس بصالحِ
فورُ العَجولِ محدِّدٌ بالأجلِ	ولكلِّ شيءٍ موعِدٌ، أو ما ترى؟!

ولبعضهم لما اطلع على أبياتي:

درءاً لسهمِ شماتة الأضدادِ	طرقتَه صائِدَةُ الفؤادِ فصدَّها
كي لا يُقالَ سَطَّتْ على الآسادِ	ورمى عَوايِتها بصائبِ نَبِلِه

وللمعلم بطرس كرامة:

جاء يدعو للهوى مَنْ كان خالُ	يا مَليكَ الحسنِ في خَدِّكَ خالُ
ظنَّه البلبِلِ في الوردِ وخالُ	مُذْ رأى خَدِّكَ والخالُ بِهِ
فَسَلَّونا عندهَ عمًّا وخالُ	عمُّ هذا الخالِ أنواعِ إليها

أَسْوَدُ الْعَيْنِ تُرَى فَرًّا إِلَى  
أَم سُوَيْدَا الْقَلْبِ فَرَّتْ مِنْ لَطْيِ  
إِنْ سَقَانِي الْخَالُ مَرًّا فَعَلَى  
قَدْ حَكَى النَّمَامُ مَنْ عَارَضَهُ  
شَرَكٌ صَادَ فَوَادِي عِنْدَمَا  
يَا لَهُ خَالًا عَلَى الْخَدِّ اسْتَوَى  
عَبَدَ النَّارَ لِهَذَا لَمْ يَكُنْ  
أَكْسَبَ الزَّنَجَ افْتِحَارًا وَبِهِ

خَدُّكَ الْوَرْدِيُّ أَمْ هَذَا خِيَالُ  
جَمْرَةَ الْحَبِّ إِلَى نَارِ الْجَمَالُ  
كُلِّ حَالٍ يَا حَبِيبِي فَهُوَ حَالُ  
شَرَكًا فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَقَالَ  
جَنَّتُ أَرْجُو مِنْهُ عَنَقَاءَ الْوِصَالُ  
أَصْبَحْتَ عُشَاقَهُ أَهْلَ الْكَمَالُ  
فَارَقَ الْخَدَّ مَدَى الْعَمْرِ وَحَالُ  
فَاخَرْتَ رَأْدَ الضَّحَى دُهْمَ اللَّيَالُ

ولأسعد أفندي داغر:

رَأْنِي حَبِيبِي قَدْ أَطَلْتُ تَفَكُّرِي  
فَقَالَ بَسْفَحَ الْخَدَّ نَعْمَانُ نَازِلُ

بَخَالٍ لَهُ أَرْمِي الظُّنُونُ وَأَحْدِسُ  
وَهَذَا أَخُوهُ فَوْقَهُ قَامَ يَحْرُسُ

ولأمين الدين بن عطايا:

أَنَا أَهْوَى غُصْنَ النَّقَا وَهُوَ لِاهِ  
يَا نَسِيمَ الصَّبَا تَرَفَّقْ عَلَيْهِ  
وَتَحَمَّلْ رِسَالَةَ لَيْسَ إِلَّا  
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ رَسُولِي نَسِيمًا

وَفَوَادِي يَحْبُّهُ فِي التِّيهِ  
وَتَلَطَّفْ بِهِ وَلَا تَوَذِيهِ  
لَكَ أَمِينًا فِي حَمْلِهَا أَرْضِيهِ  
نَحْوَ غُصَنِ النَّقَا فَمَنْ يَنْثِيهِ

ولإبراهيم أفندي الحوراني في صغره ارتجالاً:

بَدْوِيَّةٌ لَامُوا الْعَمِيدَ بِحَبِّهَا  
مَا شَانَ فِيهَا أَنَّهَا بَدْوِيَّةٌ

فَأَجَبْتُهُمُ وَالدمْعُ أَحْمَرُ قَانِي  
تَرْمِي السَّهَامَ بِمُهْجَةِ الْحَوْرَانِي

ولشاكر أفندي شقير — ولهما حادثة:

مَنْ أَيْنَ يَبْقَى لِي دَمٌ وَأَنَا الَّذِي  
وَلَقَدْ بَقِيَ بِالْأَمْسِ مِنْهُ بَقِيَّةٌ

فِي الْحَبِّ قَدْ سَفِكَتْ دِمَائِي الظَّاهِرَةَ؟!  
فَأَخَذْتُهَا، هَا هِيَ بِخَدِّكَ ظَاهِرَةَ

وقال الحسن بن أحمد الحيمي اليميني:

وكيف وَرَبَعِ العَامِرِيَّةِ قَدِ أَقْوَى؟!  
فلا نَفَعَ للمَهْجُورِ فِيهِ ولا جَدْوَى  
وكم ذِي لُبَانَاتٍ تَمَنَعُ بِالرَّجْوَى  
عليك بآدابِ الحَدِيثِ الَّذِي يُرْوَى  
رَأَيْتُ حَدِيثَ المَنِّ أَحْلَى مِنَ السَّلْوَى

فَوَادُ عَلَى هَجْرِ الأَحَبَّةِ لا يَقْوَى  
وصَبْرٌ وَلَكِنْ غَالَهُ الهَجْرُ والنَّوَى  
ولَكِنِّي قَدِ مِتُّ فِي الوَصْلِ بِالرَّجَا  
فِيهَا أَيُّهَا الخِلُّ الَّذِي أَنَا صَبُّهُ  
وَمَنْ عَلَيْنَا بِالتَّرْسُلِ إنَّنِي

وقال أبو بكر محمد بن طفيل:

وَأَسْرَتِ إِلَى وادِي العَقِيقِ مِنَ الحِمَى  
فَمَا زالَ ذاكَ التُّرْبِ نَهَبًا مَقْسَمًا  
وَيَحْمَلُهُ الدَّارِيُّ أَيَّانَ يَمَّمَا  
وَأَنَّ سُرَاهَا فِيهِ لَنْ يَتَكْتَمَا  
فَأَبَدَتْ مَحِيًّا يُدْهِشُ المَتَوَسَّمَا  
كَشَمَسِ الضَّحَى يَعْشَى بِهَا الطَّرْفَ كَلَّمَا  
وقَدِ كادَ حَبْلُ الوَدِّ أَنْ يَتَصَرَّمَا  
فَلَمْ أَرَ مِنْ شَقِّ الدُّجْنَةِ مِنْهُمَا  
فَلَمْ أَدْرِ دَمْعُ أَيُّنَا كَانَ أَسْجَمَا  
قَرائِنَ أَحْوالِ أَدْعَنَ المَكْتَمَا  
يَهُونُ صَعْبًا أَوْ يُرَخِّصَ مَأْتَمَا  
ولَكِنْ رَأَيْتُ الصَّبْرَ أَدْنَى وَأَكْرَمَا

أَلَمَّتْ وَقَدِ نَامَ المَشِيحُ وَهُوَمَا  
وَجَرَّتْ عَلَى تُرْبِ المَحْصَبِ ذَيْلُهَا  
تَناولَهُ أَيُّدِي التَّجَّارِ لَطِيمَةً  
ولِما رَأَتْ أَنْ لا ظَلَامَ يُجِنُّهَا  
نَضَتْ عَدْبَاتُ الرِّبَطِ مِنْ حَرِّ وَجْهِهَا  
فَكَانَ تَجَلِّيها حِجابَ جَمالِها  
ولِما التَّقِينا بَعْدَ طُولِ تَهْجُرِ  
جَلَّتْ عَنِ تَنائِياها وَأَوْمَضَ بارِقُ  
وساعَدَنِي جَفَنُ الغَمامِ عَلَى البُكا  
فَقالَتْ وَقَدِ رَقَّ الحَدِيثُ وَأَبْصَرَتْ  
نَشَدْتُكَ لا يَذْهَبُ بِكَ الشَّوْقُ مَذْهَبًا  
فَأَمْسَكْتُ لا مُسْتَغْنِيًا عَنِ نَوالِها

ولآخرَ فِيمَنْ يَرُقُّصُ:

تَكَادُ تُذْهَبُ رُوحِي مِنْ تَنقُلِهِ  
كَأَنما نارُ قَلْبِي تَحْتَ أَرْجُلِهِ

وَراقِصٍ مِثْلَ عُصَنِ البانِ قامَتُهُ  
لا يَسْتَقِرُّ لَه فِي رِقْصِهِ قَدَمُ

ولابن الوردی:

وَهي تَبْكِ مِنْ لُوعَةِ الإِفْتِراقِ  
قُلْتُ: قَوْلِي هَذَا لِمَنْ هُوَ باقِ

وَدَعْتَنِي يَوْمَ الفِراقِ وَقالَتْ  
ما الَّذِي أَنْتَ صانِعٌ بَعْدَ بَعْدِي

ولآخر:

يا أيها القمر المنيرُ الزاهرُ  
بلِّغْ شبيهُتَكَ السَّلامَ وَصِفْ لها  
الأبْلَجُ الغَضُّ البهِيُّ الباهرُ  
شوقِي وَأَنْي في هواها ساهرُ

ولعلي ابن المبارك في جارية له:

هَبَّتِ الرِّيحُ مِنَ الشَّرِّ  
كَيْفَ أَنْسَاكَ وَرُوحِي  
قِ فجاءَ نَنِي بِرِيحِكَ  
صُنِعَتْ مِنْ جَنَسِ رُوحِكَ

وَكُتِبَ عَلَي خَاتَمِ:

قلبانِ في خاتمِ الهوى جُمعا  
فأرغَمَ اللهُ أَنْفَ مَنْ قَطَعَا

ولآخر — وهو بديع:

إلى الطائرِ النَّسْرِ انظُرِي كُلَّ لَيْلَةٍ  
عَسَى يَلْتَقِي طَرْفِي وَطَرْفَكَ عِنْدَهُ  
فإني إليه بالعَشِيَّةِ ناظِرُ  
فَنشكو إليه ما تُكْرَهُ الضَّمائِرُ

وللأمير شكيب أرسلان:

يا صاحِ عاَجَمَتِ النَّقا وَزُرودًا  
وسَبِرَتِ أَعوارَ العَقِيقِ ولم تَزَلْ  
تَسعَى إلى صَيِّدِ المَهْيِ فلعلَّما  
خَفُّفَ عَلَيكَ فَلستِ أَوْلَ صائِدِ  
وَلَيْسَتْ دَرَنُ ظَبِي الطَّبَّاءِ زُرودًا  
تَطوِي بَنَجَدَ تَهائِمًا وَنُجودًا  
عَلَّمتِ نَفْسَكَ أَنْ تَصِيدَ أُسودًا  
قَد راحَ يَصِطادُ الغَزالَ فَصَيِّدًا

ولطهمان الكلابي قوله:

سقى دارَ ليلي بالرِّقَاشينِ مُسبِلُ  
أغرُّ سَمَكي كَأَنَّ رَبابَهُ  
مَهيبُ بأعناقِ الغمامِ دَفوقُ  
بَخاتِي صَفَّتْ فوَقَهَنَّ دَسوقُ

وَتَلَحَّقُ أُخْرَاهُ الْجَنُوبُ — حَرِيقُ  
يُنَشِّرُ رِيْطُ بَيْنَهُنَّ صَفِيْقُ  
تَلَاقِ، كِلَانَا النَّأْيِ سَوْفَ يَذُوْقُ  
شَقَائِقُ عَرَضِ مَا لَهَنَّ فُتُوْقُ  
عَلَيَّ مُسْجَى فِي التُّرَابِ أُسُوْقُ  
وَلِلنَّفْسِ مِنْ قُرْبِ الوَفَاةِ شَهِيْقُ  
وَيُفْرِجُ عَنِي هَمَّهُ فَأُفِيْقُ  
فَمَاذَا الَّذِي تُغْنِي وَأَنْتَ صَدِيْقُ؟!  
عَلَى كُلِّ مَرَضَى بِالْعِرَاقِ شَفُوْقُ  
تَحْمِيْتُ مِنْ قَلْبِي بِهِ لِحَقِيْقُ  
وَبَعْدَ تَحَنِّيِّ أَعْظَمِي لَصَدِيْقُ  
أَحَادِيْثُ أَجْنِيْهَا عَلِيْكَ شَفُوْقُ

كَأَنَّ سَنَاهُ — حِينَ تَقَدَّعَهُ الصَّبَا  
وَبَاتَ بِحَوْضِي وَالسَّبَالُ كَأَنَّمَا  
وَمَا بَيَّ عَنْ لَيْلَى سُلُوٌّ وَمَا لَهَا  
سَقَاكَ وَإِنْ أَصْبَحْتَ وَاهِيَةَ الْقَوَى  
وَلَوْ أَنَّ لَيْلَى الْحَارِثِيَّةَ سَلَّمْتَ  
حَنُوْطِي وَأَكْفَانِي لَدَيَّ مُعَدَّةٌ  
إِذَنْ لِحَسْبَتِ الْمَوْتِ يَتْرَكْنِي لَهَا  
وَنُبِّئْتُ «لَيْلَى بِالْعِرَاقِ مَرِيضَةٌ»  
سَقَى اللهُ مَرَضَى بِالْعِرَاقِ فَإِنْنِي  
وَإِنِّي بَأَنَّ لَا يَنْزِلُ النَّاسُ مَنْزِلًا  
وَإِنِّي لِللَّيْلِ بَعْدَ شَيْبِ مَفَارِقِي  
وَإِنِّي مِنْ أَنْ يَلْغَى بِكَ الْقَوْمُ بَيْنَهُمْ

ولشاكر أفندي شقير:

فِي قَامَةٍ يَعْنُو لَدَيْهَا الْبَانُ  
الزَّهْرُ وَرَدُّ وَالْجَنَى رَمَانُ

قَلِّ لِلأَلَى عَشَقُوا الْجَمَالَ تَأْمَلُوا  
غَصْنٌ، وَلَكِنْ فَاعَجَبُوا مِنْ حَمَلِهِ

ولي ولهما حادثة:

إِنْ مِنْ كَأْسِكَ الْهَمُومُ تَبَدَّدُ  
وَحَدُّ الْكَأْسِ فَالْحَبِيْبُ مَوْحَدُ

يَا مَدِيْرَ الْكُئُوسِ قَدْ قَالَ قَوْمٌ:  
قَدْ سَكِرْنَا قَبْلًا بِرِيْقٍ لِهَذَا

واجتمع جميل بُئينة العُدري بعمر بن أبي ربيعة، فأنشده جميل قصيدته اللامية التي منها:

لَقَدْ فَرِحَ الْوَاشُونَ إِذَا أَصْرَمْتَ حَبْلِي  
يَقُولُونَ: مَهَلًا يَا جَمِيْلُ وَإِنْنِي  
أَجْلَمًا فَقَبْلَ الْيَوْمِ كَانَ، وَإِنَّهُ  
بُئْنِيَّةٌ أَوْ أَبَدَتْ لَنَا جَانِبَ الْبُخْلِ  
لَأَقْسَمُ مَا لِي عَنْ بُئْنِيَّةٍ مِنْ مَهْلِ  
أَوْ أَخْشَى فَقَبْلَ الْيَوْمِ أَوْعَدْتُ بِالْقَتْلِ

إذا ما تناشَدْنَا الذي كان بيننا  
كلانا بكى أو كاد يبكي صَبَابَةً  
فيا ويح نفسي حَسْبُ نفسي الذي بها  
خليليَّ فيما عَشْتما أَرَأَيْتَما  
جری الدمعُ من عينيَّ بثينةً بالكحلِ  
إلى إلفه فاستعجَلتْ غيرةً قبلي  
ويا ويح أهلي ما أُصِيبَ به أهلي  
قتيلًا بكى من حبِّ قاتله قبلي؟

وهي طويلة.

وقال له: أكان في منظوماتك شيء من هذه القافية؟ قال: بلى، قال جميل: فأنشِدني.

فقال عمر:

جری ناصحُ بالودِّ بيني وبينها  
فطارتُ بحدٍّ من سهامي وقارنتُ  
ولما توافقنا عرَفْتُ الذي بها  
فقلتُ لها: هذا عشاءٌ وأهلنا  
فقرَّبَني يومَ الخطابِ إلى قتلي  
قرينتها حبلَ الصفاءِ إلى حبلي  
كَمِثْلَ الذي بي حَدْوَكِ النعلَ بالنعلِ  
قريبَ أَلَمَّا تسألني مركبَ البغلِ

ومنها:

فما شئتَن! قُلنَ لها: انزلي  
نجومُ دَراريِّ تكَنَّفَنَ صورةً  
فسَلَّمْتُ واستأنستُ خيفةً أن يري  
فقلتُ وأرختُ جانبَ السِترِ: إنما  
فقلتُ لها: ما لي لهم من ترقيبِ  
فلما اقتصرنا دونهنَّ حديثنا  
عرَفَنَ الذي تهوى فقلنا: ائذني لنا  
فقلتُ: فلا تلبَّسُن، قُلنَ: تحدَّثي  
وقُمنَ وقد أفهمنَ ذا اللُّبِّ أنما  
فلأرضُ خيرٌ من وقوفٍ على رِجْلِ  
من البدرِ وأفتَ غيرَ هُوجٍ ولا عَجَلِ  
عدوُّ مقالي أو يري كاشحُ فعلي  
معي فتكلَّمُ غيرَ ذي رِقْبَةِ أهلي  
ولكنَّ سري ليس يحمله مثلي  
وهنَّ ضنيناَتُ بحاجةِ ذي الشكلِ  
نَطْفُ ساعةٍ في بردٍ ليلٍ وفي سهلِ  
أَتيناك، وانسَبَنَ انسيابَ مَهى الرملِ  
أتينَ الذي يأتينَ من ذاك من أجلي

فما أتمها حتى صاح جميل: هيهات، يا أبا الخطاب، أن آتي بمثل هذا! فوالله ما خاطب النساءَ مخاطبتك أحد! وقام مشمرًا.

## خطرات أفكار

وسمع الفرزدق عمر بن أبي ربيعة ينشد هذه القصيدة، ولما بلغ قوله: (فَقُمنْ وقد أفهمن ... البيت) صاح الفرزدق: هذا والله الذي أرادته الشعراء فأخطأته، وبكت على الديار.

وقال محمد بن حزم:

لئن أصبحت مرتجلاً بجسمي  
ولكن للعيان لطيفٌ معنًى  
فروحي عندكم أبداً تُقيمُ  
له سأل المعاينة الكليمُ

ولي مُلغِراً:

فتاةٌ تثنَّتْ كالقنا بقوامها  
رأت حُبها في القلب صار محكماً  
يعزُّ عليّ اليوم أن يعرف الوري  
ومولعةٌ بالهجر والهجر عادةٌ  
حليف الهوى إنني أناجيك فاهدني  
ففي عينها راءٌ ومبسمها غداً  
يُزى شطرها طرداً وعكساً لقد جرى  
فإن كنتَ تدري كلَّ ذلك فاسقني  
فأثني عليها الغصنُ لما تثنَّت  
فقامت تجود اليوم والقَدَّ هزَّت  
حبيبيةً قلبٍ مُبتلى بالمحبة  
لدى كلِّ محبوب وكلِّ مُحبةٍ  
إلى اسمِ سبى قلبي ولُبِّي ومهجتي  
شبيهاً بفاء، والختامُ كبدأةٍ  
على فعلٍ أمرٍ بعده رذْفٌ لجةٍ  
بكاسات حبيها خمور المسرة

فأجابني محمد أفندي الحريري بأبيات، منها:

وكنْتَ سليماً من هواها وخالياً  
وما هذه العذراءُ إلا سميَّةُ  
فخذ ما حلا ضمن الكتابة حلهُ  
فصرتَ أخوا قيس الغرام بنظرةٍ  
لذات المعالي في الوري والفضيلةِ  
ودم سألماً واسمَح لنا بالبقيةِ

وقال آخر:

ليت الملاح وليت الراح لو جُعلا  
كيلا يُقبَلْ ذا حُسنٍ سوى أسدٍ  
في جبهة الليث أو في قُبَّة الفلَكِ  
ولا يطوفَ بكاساتٍ سوى ملكٍ

وقال المعلم بطرس كرامة يُخَمِّسهما، موافقًا الناظم في المعنى:

كم فاز بالوصلِ من خودٍ وكأْسِ طلا      فدمٌ وعزٌّ على ذي همّةٍ وعلا  
ناديتُ والوجدُ ما بين الحشا اشتعلا      لیت الملاح وليت الرّاح لو جُعلا  
في جبهة الليث أو في قبة الفلكِ  
أو لیت كلُّ رشيق القدِّ ذا غیدِ      بين الطّبي وعوالي الخطِّ ذو رصِدِ  
ولیتما الخمر تَعْلُو فوق كلِّ يدِ      كيلا يُقبَلُ ذا حَسَنِ سوى أسدِ  
ولا يطوفُ بكاساتٍ سوى ملكِ

ثم قال يضادّه في المعنى:

لو كلُّ غانيةٍ تُعْطَى لشهم علا      لمات من بات يهواها وما وصلا  
فدعُ مقالة مغبونٍ قد ارتجلا:      لیت الملاح وليت الرّاح لو جُعلا  
في جبهة الليث أو في قبة الفلكِ  
فهذه مُنيّةٌ جاءت بلا سَنَدِ      وليس يرضى بها صَبٌّ وذو رَشَدِ  
ما حُصِّصَ الحبُّ والصَّهباءُ في أحدِ      كيلا يُقبَلُ ذا حَسَنِ سوى أسدِ  
ولا يطوفُ بكاساتٍ سوى ملكِ

وقال إلياس أفندي صالح كنعان:

ونَحْوِيّةٍ ساءلتها أعربي لنا:      حبيبي عليه الحبُّ قد جار واعتدى  
فقال: حبيبي مُبتدأ في كلامهم      فقلتُ لها: ضُمِّيهِ إن كان مُبتدأ

ولأسعد أفندي داغر:

سألتُ حبيبي حين وافى وقُرْطُهُ      غداً في اضطرابٍ مثلَ قلبي حائراً  
علامَ أراه هكذا فأجابني      وقد مال من خمرِ الدّلالِ مُفاخراً  
بجيدِي بات المسكُ بالأمسِ ضائعاً      فأضحى عليه اليومَ قُرْطِي دائراً

وقال إلياس أفندي صالح كنعان:

أفديه نَحْوِيًّا نَحَا قَتْلِي وَلَمْ      يُشْفِقُ عَلَى لَهِيْبِ قَلْبِي الْمَضْطَّرِمِ  
سَأَلْتُهُ لِأَيِّ مَعْنَى ضَنَّ فِي      كَلَامِهِ وَدَمَعُ عَيْنِي يَنْسَجِمُ  
أَجَابَنِي كُمْعَرِيضٍ وَقَالَ لِي:      (كَلَامُنَا لَفْظٌ مَفِيدٌ كَاسْتَقِمُّ)

وكان الخليفة المعتمد على الله يوماً في قُبَّة له، يكتب شيئاً، وعنده بعض كرائمه، فدخلت عليه الشمس من بعض الكُوَى الكائنة فيها، فقامت دونه تسترُه من الشمس.

قَامَتْ لَنَحَجِبَ ضَوْءَ الشَّمْسِ قَامَتْهَا      عَنِ نَاطِرِي حُجِبَتْ عَنِ نَاطِرِي الْغَيْرِ  
عِلْمًا لَعَمْرُكَ مِنْهَا إِنَّهَا قَمَرٌ      هَلْ تَكْسِفُ الشَّمْسَ إِلَّا صَوْرَةَ الْقَمَرِ؟  
وَلَاخَرُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ:

قَامَتْ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ      نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَيَّ مِنْ نَفْسِي  
قَامَتْ تُظَلِّلُنِي فَوَا عَجَبِي      شَمْسٌ تُظَلِّلُنِي مِنَ الشَّمْسِ

وقال العزُّ الموصلِي في المنطق:

غَزَالَ لِرَسْمِ الْحُسْنِ لَمْ بِخَدِّهِ      يُعْرِفُهَا بِالْعَارِضِ الطَّيِّبِ الشَّمِّ  
فَأَنْبَأَ عَنِ الْمَحْبُوبِ بَعْضُ لَوَازِمِ      وَهَذَا هُوَ الْحَدُّ الْمَلَقَّبُ بِالرَّسْمِ

وقال شمس الدين بن عفيف التلمساني:

يَحْكِي الْغَزَالَ مُقَلَّةً وَلِفْتَةً      مَنْ ذَا رَأَاهُ مُقْبِلًا وَلَا افْتَتَنُ  
أَحْسَنُ خَلْقِ اللَّهِ وَجْهًا وَفَمًّا      إِنْ لَمْ يَكُنْ أَحَقَّ بِالْحُسْنِ فَمَنْ؟  
فِي ثَغْرِهِ وَشَكْلِهِ وَخَدِّهِ      الْمَاءُ وَالْخَضْرَاءُ وَالْوَجْهَ الْحَسَنُ

وهذان للحلي:

كَمْ قَدْ سَفَكْنَا مِنْ دَمُوعٍ وَدَمًا      عَلَى رُبُوعِ اللَّدْيَارِ وَدِمْنِ  
وَكَمْ قَضَيْنَا لِلْبُكَاءِ مَنَسْجًا      لَمَّا تَذَكَّرْنَا بِهِنَّ مَنْ سَكُنَّ

ولعبد الرحمن بن معاوية:

أُبْهِهَا الرَّابِكَ الْمِيْمُ أَرْضِي      أَقْرِ مِنْ بَعْضِي السَّلَامَ لِبَعْضِي  
إِنَّ جِسْمِي كَمَا عَلِمْتَ بِأَرْضِ      وَفَوَادِي وَمَالِكِيهِ بِأَرْضِ  
قَدَّرَ الْبَيْنَ بَيْنَنَا فافتَرَقْنَا      وَطَوَى الْبَيْنَ مِنْ جُفُونِي غُمُضِي  
قَدْ قَضَى اللَّهُ بِالْفِرَاقِ عَلَيْنَا      فَعَسَى بِاجْتِمَاعِنَا سَوْفَ يَقْضِي

وقال أبو القاسم بن عباد المعتمد على الله في مملوك له صغير كان يتصرّف بين يديه،  
أهداه إياه صاحبُ طليطلة، واسمُ المملوك سيف:

سَمَّوْهُ سَيْفًا وَفِي عَيْنَيْهِ سَيْفَانِ      هَذَا لِقَتْلِي مَسْلُوقٌ وَهَذَا  
أَمَّا كَفَتْ قَتْلَةً بِالسَّيْفِ وَاحِدَةً      حَتَّى أُتِيحَ مِنَ الْأَجْفَانِ ثِنْتَانِ  
أَسْرَتْهُ وَثَنَانِي غُنْجُ مُقْلَتِهِ      أَسِيرَهُ فَكِلَانَا أَسْرٌ عَانِي  
يَا سَيْفُ أَمْسِكْ بِمَعْرُوفٍ أَسِيرَ هَوَى      لَا يَبْتَغِي مِنْكَ تَسْرِيحًا بِإِحْسَانِ

وقال غيره:

أَلْفُ الْقَوَامِ وَوَاوُ صُدْغِكَ بَعْدَهَا      بَاءُ الْعِذَارِ الْمَسْتَطِيلِ لِمَحْنَتِي  
هَمْ أَنْحَلُوا جِسْمِي الْقَوِيمَ لِأَنَّهُمْ      عِنْدَ النُّحَاةِ هُمْ حُرُوفُ الْعِلَّةِ

وللشيخ محمد أفندي طبارة يُشطرُّ قول المعري:

حَسَنَتْ نَظْمَ كَلَامٍ تُوصَفِينَ بِهِ      وَمَنْطِقًا دَائِمًا يَفْتَرُّ عَنْ دُرِّ  
وَقَدْ حَلَلَتْ بِقَلْبِ هَامٍ فِيكَ جَوَى      وَمَنْزَلًا بِكَ مَعْمُورًا مِنَ الْخَفْرِ  
فَالْحُسْنُ يَظْهَرُ فِي شَيْئَيْنِ رَوْنَقُهُ      خَدُّ مِنَ الْوَرْدِ أَوْ طَرْفُ مِنَ الْحَوْرِ  
وَهَكَذَا الظُّرْفُ فِي بَيْتَيْنِ مَسْكَنُهُ      بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ أَوْ بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ

وقال بهاء الدين زهير:

أَنَا فِي الْحَبِّ صَاحِبُ الْمَعْجَزَاتِ      جِئْتُ لِلْعَاشِقِينَ بِالْآيَاتِ  
كَانَ أَهْلُ الْغَرَامِ قَبْلِي أُمَّبِ      يَنْ حَتَّى تَلَقُّنَا كَلِمَاتِي  
فَأَنَا الْيَوْمَ صَاحِبُ الْوَقْتِ حَقًّا      وَالْمَحْبُوبُونَ شَيْعَتِي وَرُعَاتِي  
ضَرَبْتَ فِيهِمْ طُبُولِي وَصَارَتْ      خَافَقَاتِ عَلَيْهِمْ رَايَاتِي

وسرّت في عقولهم نفثاتي  
 باقيات من الهوى صالحات  
 ربّ خير يجيء في الختمات  
 جاء مثل السلام في الصلوات  
 ولقد قمتُ فيه بالبيّنات  
 ولكم في من حميد صفات  
 ولو كان في وفائي وفاتي  
 للاق عفّ الضمير واللحظات  
 دمت الخلق طيب الخلوات  
 ويحبّ الغزال ذا اللفات  
 به على ما استقرّ من عاداتي  
 من صفاتي المقومات لذاتي  
 بها وهو عالم النيات  
 لا قضى الله بيننا بشتات  
 ذاك يوم مضاعف البركات  
 وحياتي وقد سلّبت حياتي  
 أخبر الناس كيف طعم الممات  
 ليس يبقّى فوات قبل الفوات

خَلَبَ السامعين سحرُ كلامي  
 أين أهل الغرام أتلو عليهم  
 خيم الحب من حديثي بمسك  
 فعلى العاشقين مني سلام  
 مذهبي في الغرام مذهب حق  
 فلکم في من مكارم خلق  
 لست أرضى سوى الوفا لذوي الود  
 طاهر اللفظ والشماثل والأخ  
 ومع الصمت والوقار فإني  
 يعشق الغصن والرشاقة قلبي  
 وحببي هو الذي لا أسمي  
 ويقولون: عاشق وهو وصف  
 إن في نيتي وقد علم الله  
 يا حبيبي وأنت أي حبيب  
 إن يوماً تراك عيني فيه  
 أنت روعي وقد تملكت روعي  
 مت شوقاً فأحيني بوصول  
 وكما قد علمت كل سرور

ولنجيب أفندي المشعلاني:

فهت من الغرام بكل واد  
 أضعت ولم أفق فيه رشادي  
 ولولا اللحظ لم يصم فؤادي  
 ولولا الحب ما شمّت المعادي  
 مناماً أو تدق طعم الرقاد  
 وما قضيت ليلي بالسهاد  
 لفضلت الممات على البعاد  
 سيجمّني ومن أهواه ناد

ربيت على المحبة والوداد  
 وأسكرني هوى المحبوب حتى  
 فلولا القلب لم أدر غراماً  
 ولولا الدل لم أهو غصوناً  
 ولولا الطيف لم تدر جفوني  
 ولولا الهجر ما أتلقت جسمي  
 ولولا أنني أرجو لقاء  
 أعيش على الرجاء لعل يوماً

وأدفع بالتَّعَلَّةَ جَوْرَ دهري  
لعل الصبر يُظْفِرُنِي مُرادي  
يُبَلِّبُنِي الغرامُ فلست أدري  
أمن أهوى بعيداً أم فؤادي؟

ولي:

ألا إنني إن متُّ مَيَّةَ عاشق  
وزينبُ مرَّتْ عند قبري وسلَّمْتُ  
ولا بدَّ من هذا فتلك حقيقتي  
لأنَّ عِظامي في البلاء وردَّتْ

وللسلطان المنصور في رقيب:

رقيبِي كأنَّ الأرضَ مرآةً شخصه  
مقيمٌ بوجهِ الوصلِ حتَّى كأنما  
فأين تولى القلبُ مني يراه؟  
وصالي هلالٌ والسواؤُ صداهُ

ولشاعر أندلسي قوله:

رَقَّ الرَّبِيعُ ورق طبعُ هوائه  
واجعلُ قرينَ الود فيه سِلافَةً  
فانظُرْ نِضارةَ أرضه وسمائه  
لولا ذبولُ الوردِ قلتُ بأنه  
يحكي مُصعَّدُها مُشعشعُ مائه  
هيهات أين الوردُ من خدِّ الذي  
خدُّ الحبيبِ عليه صبغُ حياته  
الوردُ ليس صفاته كصفاتهِ  
لا يستحيل عليك عهدُ وفائه  
والطير ليس غناؤها كغنائهِ  
يتنفَّسُ الإصباحُ والرَّيحانُ من  
والطير ليس غناؤها كغنائهِ  
حركاتٍ معطفه وحسنِ روائهِ  
ويجولُ في الأرواحِ روحٌ ما سرَّتْ  
ريَّاه من تلقائه بلقائه  
صرفُ الهوى جِسمي شبيهه خياله  
من فرطِ خفتِهِ وفرطِ جفائه

ولنجيب أفندي المشعلاني:

عجبتُ كيف لهيبُ النارِ يحرقني  
أنا إلى شُعلةِ النيرانِ منتسبٌ  
بل كيف تَسْطو على نيراننا نارُ؟  
فأحرقْتُنِي بنارِ الخدِ كُلُّنارُ؟

ولي في فتاة سقطت فآلم برجلها ألم:

ألا في أمان الله موجعةُ الرِّجْلِ  
لقد سقطت من عينِ حاسدِ حُسنِها  
وفي الحفظِ لمياءُ تحبب لي حبي  
ثقيلٌ على الرِّجْلَيْنِ حملٌ محاسنِ  
ألا عميت ذبي العينُ يا منية القلبِ  
وعقلٌ وآدابُ فصارت لدا تبكي

وقال بشر:

أريد لأنسى ذكْرها فكأنما      تمثَّل لي ليلى بكلِّ سبيلِ  
أريد ولا كُفْرانَ باللهِ إنما      أعلِّقُ — إن علَّقتُ — كلَّ مَخيلِ

ولسليمان أفندي الصولي:

إذا جرَّد الأحبابُ جيشًا من الجفا      بنينا من الصبر الجميل حُصونا  
وإن أرسلوا خيل الصُدود مُغيرةً      بعننا لهم خيل الخضوع كَمينا

ولآخر:

تجرَّد للحمام عن قشرٍ لؤلؤ      وأليس من ثوب الملاحه ملبوسا  
وقد أخذ موسى لتزيين شعره      فقلت: لقد أوتيت سُوك يا موسى

## ذات الخال

كان إبراهيم الموصلي يهوى جارية يُقال لها: «حَنْث»، وكانت من أجمل النساء وأكملهنَّ، وكان لها خالٌ فوق شَفْتها العليا، وكانت تُعرَف بذات الخال، وكانت أولًا لقرين المكنى بأبي الخطَّاب النَّحاس، وكان يقول فيها الشعر ويُعني فيها؛ فشهرها بشعره وغنائه، وبلغ الرشيدَ خبرها فاشتراها بسبعين ألف درهم، فقال لها ذات يوم: أسألك شيئاً فإن صدقتني وإلا صدقني غيرك وكذبتك، قالت له: بل أصدقك، قال لها: هل كان بينك وبين إبراهيم الموصلي شيءٌ قط؟ وأنا أحلفه أن يصدقني، فتلكأت ساعة ثم قالت: نعم، مرةً واحدة، فأبغضها من ذلك الوقت، وقال يوماً في مجلسه: أيكم لا يُبالي أن يكون كشخاناً حتى أهبه ذات الخال؟ فبكر حمويه الوصيف فقال: أنا، فوهبها له، وفيها يقول إبراهيم:

أتحسب ذات الخالِ راجية ربًّا      وقد سلبت قلباً يهيم بها حُبًّا  
وما عُذرها نفسي فداها ولم تدعُ      على أعظمي لحماً ولم تُتبِّ لي لبًّا

وروى عبد الله وإبراهيم ابنا العباس الصولي قالاً: كانت للرشيد جارية تُعرَف بذات الخال، فدعته يوماً، فوعدها أنه يصير إليها. وخرج يريدُها، فاعترضته جارية وسألته أن يدخل إليها، فدخل وأقام عندها، فشق ذلك على ذات الخال، وقالت: والله، لأطلبنَّ شيئاً

أغيطه به. وكانت أحسنَ الناس وجهًا، ولها خال على خدها لم يرَ الناس أحسن منه في موضعه، فدعت بمقراض فقصّت الخال الذي كان في خدها، وبلغ ذلك الرشيدَ فشقَّ عليه وبلغ منه. فخرج من موضعه، وقال للفضل بن الربيع: انظر مَنْ بالباب من الشعراء؟ فقال: الساعة رأيتُ العباس بن الأحنف، فقال: أدخِله. فأدخله، فعرفه الرشيد بالخبر، وقال: اعمل لي شيئًا على معنَى رسمه له، فقال:

تخلصتُ ممَّن لم يكن ذا حَفِيظَةٍ      ومِلتُ إلى مَنْ لا يغيِّره حالُ  
فإن كان قطعُ الخال لما تعطَّفتُ      على غيرها نفسي فقد ظلَّ الخالُ

فنهض الرشيد إلى ذات الخال مُسرِّعًا مترضِّيًا لها، وجعل هذين البيتين سببًا، وأمير للعباس بألفي دينار، وأمر إبراهيمَ فغنَّاهُ هذا الشعر.  
وللعباس بن الأحنف فيها:

ألا ليت ذاتَ الخال تلقى من الهوى      عُشِيرَ الذي ألقى فيلْتئمَ الشعبُ  
إذا رضيتَ لم يهِنني ذلك الرُّضى      لعلمي به أنْ سوف يعقبه عتبُ  
وأبكي إذا أذنبتُ خوفَ صدودها      وأسألها مرَضاتِها ولها الذنبُ  
وصالكمُ صُرْمٌ وحبُّكمُ قَلَى      وعطفكمُ صدٌّ وسلْمكمُ حربُ

قال محمد بن موسى: ما أحسنَ ما قسم؛ حتى جعل بإزاء كلِّ شيء ضده! والله إن هذا لأحسنُ من تقسيمات إقليدس.  
ولإبراهيم الموصلي في ذات الخال أيضًا:

جزى الله خيرًا مَنْ كَلِفتُ بحبِّه      وليس به إلا المموهَ من حُبِّي  
وقالوا قلوبُ العاشقين رقيقةٌ      فما بالُ ذاتِ الخال قاسيةُ القلبِ  
وقالوا لها: هذا مُحْبِّكُ مُعرضًا      فقالت: أرى إعراضه أيسرَ الخطبِ  
فما هو إلا نظرةٌ بتَبَسُّمٍ      فتَنشَبُ رجلاه ويسقطُ للجَنبِ

ولي في ذات خالين:

يقولون لي: أنظارُ كلِّ أولي الهوى      إلى ربَّةِ الخالين ميَّالَةٌ طبعًا  
فقلتُ لهم: ما ذا عجيبٌ وقبلهم      إلى ذاتِ خالٍ كم مليكٍ غدا يسعى؟

ولي أيضًا فيها:

وهذي بخالئها لها عاشقُ فردُ  
كثيرُ جوى ذو عزةٍ كيفما صدوا

للتك بخالٍ واحدٍ ألفُ عاشقٍ  
جميلٌ هوَى عُذريُّ قلبٍ سليمه

ولي فيها أيضًا:

وأخرُ نازلٌ في سَفْحِ نُعمانِه  
به فتى قلبه من ماءِ سلوانِه  
لها فؤادٌ هوَى من مثلِ سندانِه

لله من ذاتِ خالٍ فوقِ وجنتِها  
قدت لها من صُخورِ البرِّ ما عشقتُ  
كانَ والدها سوَى على صغِرِ

ولي فيها:

فأجابت: هل ذا يُحللُ قتله  
إنَّ للنارِ فوقَ خديّ شُعلة  
أضرمَ الوجدُ في الفؤادِ المولهُ  
قلت: هذي واللهِ أحسنُ غفلة  
سارَ حتّى ولا الرقيبَ وعدلُه  
قام يرمي في الحربِ عنترُ عبلة  
فتقدّمُ تزل عن القلبِ دبلُه

قيل يبغي من بين خالكِ قبلة  
أيها العاشقُ الجسور تمهلُ  
قلت: ليست تضرني النارُ مما  
فأجابت: أخشى الرقيبَ المفاجي  
فأجابت: إن كنتَ لست تخافُ الله  
فوقَ نعمانِ وجنتيها أخوه  
فإذا كنتَ ذا اقتدارٍ وبطيشِ

ولي فيها أيضًا:

عذريةٌ وبها الفؤادُ بحبسِه  
ولكلُّ شيءٍ آفةٌ من جنسِه

يا ربةَ الخالين إن محبّتي  
خالِكِ زينبُ، أحرقا قلبي جوى

ولي فيها:

وبملكه يعنوا لذاتِ الخالِ  
في ذاتِ خالينٍ تَضَعُصَعُ حالي

إن كان هارونُ الرشيد بعزّه  
فأنا الذي من دونه لا عرو أن

قال لسان الدين:

كُتِبْتُ بدمع عيني صفحَ خدي      وقد منَع الكرى هجرَ الخليلِ  
ورابَ الحاضرين فقلتُ: هذا      كتابُ العين يُنسَب للخليلِ

ولإبراهيم أفندي الحوراني قوله في صباه من قصيدة:

ما بين آرامِ العقيقِ وحاجرِ      أجزى الغرامِ دمَ الحشا بمحاجرِ  
وتناهَبتْ نومي العيونُ مخافةً      من أن أمتعَ بالخيالِ الزائرِ  
تلكَ الظباءُ ليوثُ حربٍ لحظها      منه يُحاذرُ كلُّ ليثٍ كاسرِ  
ما قابلتُ أحدًا بطرفِ ساحرِ      إلا ودان لها بطرفِ ساهرِ  
وغداً يهيمُ بكلِ وإٍ وإلها      والناسُ بينِ عواذِلٍ وعواذِرِ  
ياوي الرِّياضُ مُردِّداً زفراتهِ      ويُهيجُه نوحُ الحمامِ الهادرِ  
يبيغِي النجاةَ من الهيامِ ولا يرى      أين النجاةُ من المليكِ القاهرِ؟

ومنها:

سلبتُ فؤادي بالدلالِ وأتلفتُ      روعي وأفنتُ بالتجنِّي سائري  
ففعتُ حصونَ الصبرِ من فزطِ الجوى      وبَدتُ لكلِّ العالمينِ سرائري  
غيدُ مغانبيها لأربابِ الهوى      سوقٌ وكلُّ فيه أعظمُ خاسرِ  
تاجرتُ في حبِ الحسانِ بمهجتي      فيها فكان السُّقمُ ربحَ التاجرِ  
فشغلتُ أقلامي بشرحِ صبابتي      وملأتُ من وصفِ الحبيبِ دفاتري  
لله كمِ برُيوعها من قَسورِ      يرمي السَّهامَ لدى خدورِ جاذِرِ  
ولكمُ بها قمرٌ يَصولُ بمغفرِ      وشموسُ حُسنِ تَنثني بمآزِرِ  
سفرتُ لنا جَنحَ الظلامِ فأشرقَتِ      زهُرُ النجومِ من المحيِّ الزاهرِ  
وترنمتُ وشدا الحُلي فتراقصتُ      مُد الغصونِ على غناءِ الطائرِ  
نظمتُ من الشهبِ القلائدِ مثلما      حوتِ الأهلةُ في مقامِ أساورِ  
وتقنعتُ بغياهبِ وتبرقعتُ      بكواكبِ وتمنطقتُ بنواظِرِ  
ومهاةُ خدرٍ في المربعِ ما رنتُ      إلا رمتُ كيدي بجفنِ فاترِ  
ريانةُ الأعطافِ دونِ وصالِها      هزُّ الرماحِ وكلُّ سيفِ باترِ

رُفِعَتْ إِلَى حَكَمِ الْغَرَامِ الْجَائِرِ  
وَجَعَلْتُهُ بِمَدِيحِ عَبْدِ الْقَادِرِ

خَفَضْتُ مَقَامِي عِنْدَمَا دَعَوَى الْجِفَا  
فَتَرَكْتُ تَوَلِيهِي بِحُسْنِ صِفَاتِهَا

وللوزير أبي بكر بن عمر الأندلسي:

وَنَعِيمُهُ فَاسْتَعْذِبُوهُ أَوَارُهُ  
عُبْدَانُهُ فِي حُكْمِهِ أَحْرَارُهُ  
يَا حَبِّذَاهُ وَحَبِّذَا إِضْرَارُهُ  
زِيًّا فَخَلَّوهُ وَمَا يَخْتَارُهُ  
شَرَفُ الْمَهْنَدِ أَنْ تَرِقَّ شِفَارُهُ  
وَلرَبِّمَا حَجَبَ الْهَلَالَ سِرَارُهُ  
أَوْ أَنَّ ذَاكَ الْيَوْمَ عَادَ غِرَارُهُ  
خَذَلْتَهُ مِنْ دَمْعِي إِذَا أَنْصَارُهُ  
وَأَقَامَ عُذْرِي إِذْ أَطْلَعَ عِذَارُهُ  
وَتَوَشَّحَ اللَّيْلَ الْبَهِيمَ خِمَارُهُ  
رَشَاءً وَلَكِنَّ الْقُلُوبَ عِرَارُهُ  
أَزْرَتِ عَلَيَّ آفَاقَهُ أَزْرَارُهُ  
تَسْرِي إِلَيَّ بِعَزْمِهِ أَسْحَارُهُ  
دَمْعِي، فَيَنْدِي زَنْدُهُ وَبَهَارُهُ  
فَسَكِرْتُ سُكْرًا لَا يُفِيقُ خُمَارُهُ  
لِلْبَيْنِ مِنْ حَبِّ الْقُلُوبِ حِجَارُهُ  
وَأَذَابِ فِيهِ الْقَلْبَ وَهُوَ قَرَارُهُ  
قَدْ أَحْرَقْتَ عَوْدَ الْعَفَارَةِ نَارُهُ  
قَلْبِي وَذَاعَتْ عِنْدَهُ أَسْرَارُهُ  
لِسِوَارِهِ فَاقْتَصَّ مِنْهُ سِوَارُهُ

جَاءَ الْهَوَى فَاسْتَشِعِرُوهُ عَارُهُ  
لَا تَطْلُبُوا فِي الْحَبِّ عَزًّا إِنَّمَا  
قَالُوا: أَضْرَّ بِكَ الْهَوَى فَأَجِبْتُهُمْ  
قَلْبِي هُوَ اخْتَارَ السَّقَامَ لَجْسِمِهِ  
عَيْرْتُمُونِي بِالنُّحُولِ وَإِنَّمَا  
وَشِمْتُمْ لِفِرَاقِ مَنْ أَلْفْتُهُ  
أَحْسَبْتُمْ السُّلُوانَ هَبَّ نَسِيمِهِ  
إِنْ كَانَ أَعْيَا الْقَلْبُ مِنْ حَرْبِ الْجَوَى  
مَنْ قَدْ قَلْبِي أَنْ تَثْنَى قَدُهُ  
لِمَا طَوَى الصُّبْحَ الْمَبِينِ نِقَابُهُ  
عُصْنٌ وَلَكِنَّ النُّفُوسَ رِيَاضُهُ  
سَخِرَتْ بِبَدْرِ التَّمِّ غَرَّتُهُ كَمَا  
مَا زَالَ لَيْلُ الْوَصْلِ مِنْ فَتَكَاتِهِ  
وَيَجُودُ رَوْضُ الْحَسَنِ مِنْ وَجَنَاتِهِ  
حَتَّى سَقَانِي الدَّهْرُ كَأَسِّ فِرَاقِهِ  
وَوَقَفْتُ فِي مِثْلِ الْمَحْصَبِ وَقْفَةً  
حَيْرَانَ أَرعى الطَّرْفَ وَهُوَ سَمَاوُهُ  
وَلئِنْ يُذِيبَهُ وَهُوَ مِثْوَاهُ فَكَمْ  
إِنْ يَهْنَهُ أَنِّي أَضَعْتُ لِحَبِّهِ  
فَلْيَهِنْ قَلْبِي أَنْ شَكَاهُ وَشَاحُهُ

ولبعضهم:

وَقَدْ أَسْقَطَ الْبَيْنُ مَا فِي يَدِي  
عَلَيْهَا الْبِرَاقِعُ مِنْ عَسْجَدِي

وَلِمَا وَقَفْنَا غَدَاةَ النَّوَى  
رَأَيْتُ الْهَوَادِجَ فِيهَا الْبُدُورُ

وتحتَ البراقع مقلوبُها  
تُدبُّ على وردٍ خدُّ ندي  
تُسالمُ من وطئتَ خدَّه  
وتلدغُ قلبَ الشَّجِي الكَمِدِ

وللأمير شكيب أرسلان من قصيدة:

ما بينَ غزلانِ العَقيقِ وبانِه  
الموتُ بينَ العاشقينِ موزَّعٌ  
حربٌ تُضرمُ بالحضيضِ سَعيَها  
عَبيثٌ بعُشاقِ العَقيقِ وأوغلتُ  
لم يرهَبوا بأسا لِقَاءِ أُسودِه  
لم يُنَجِّهم تَكسيرُ مُرَّانِ العِدى  
يا زائراً تلكَ الرُّبوعِ وسائراً  
إن تنزلنُ سَفْحَ العَقيقِ فأشرفنُ  
وتأمَلنُ صنَعَ الهوى بَغريقِه  
وانظُرِ أيا مُستسهلاً طُرقَ الهوى  
لا عِزَّةٌ عصتِ الهوى بحُروبِها  
لم تَخْتَشِ القُضْبَ الصَّوارِمِ في الوغى  
فتَسيلُ أجفانُ الظُّبى رُعباً وكم  
سبحانَ مَنْ خَلَقَ الفؤادَ وطامَهُ

ولبشارٍ وقد واعدته امرأة بالزيارة فأخلفت:

يا لَيْلتي تزدادُ نُكراً  
حوراءُ إن نظرتِ إليَّ  
وكأنَّ رَجَعَ حديدُها  
وكأنَّ تحتَ لسانِها  
وتخالُ ما جُمعتُ عليَّ  
وكأنَّها بردُ الشرا  
جَنِيَّةٌ إنسيَّةٌ  
وكذاك إنِّي لم أُحِطْ  
مِنَ حَبِّ مَنْ أَحَببتُ بِكراً  
كَ سَقَتِكَ بالعينينِ حَمراً  
قَطَعَ الرِّياضَ كُسينَ زَهراً  
هاروتَ يَنفُثُ فيه سِحراً  
بِ صفا ورافقُ منك فِطراً  
أَوْ بينَ ذاكِ أَجَلُ أَمراً  
بِشْكَاةٍ مَنْ أَحَببتُ حُبْراً

إلا مقالة زائر  
نثرت لي الأحزان نثرا  
متمخضا تحت الهوى  
عشرا وتحت الموت عشرا

ولأسعد أفندي داغر وقد اقترح عليه أحدهم نظم حديث له مع كاوية جميلة:

وقلت لمن في كفها شبه قلبها  
فؤادي وما تكوين سيان فالذي  
فقال: نعم، لكن فؤادك عادِمٌ  
ووجنتها أدنى شبيه لما فيه  
يُكابدُه هذا فؤادي يُعانيه  
عزاء؛ يدي للشوب باللمس تُعطيه

ولي في ساعة المحبوب:

وبي ساعة قد علقت فوق صدرها  
لها لون وجهي يوم قيل لقد قضت  
وسلسلة منها إلى القلب قد جرت  
من الذهب الإبريز قد أوجبت فخري  
عهودك والعدال في فشلي تُزري  
فمن خفقان القلب قد أصبحت تجري

ولابن نباتة:

أغصان بان ما أرى أم شمائل  
وبيض رفاق أم جفون فواتر  
وتلك نبال أم لحاظ رواشق  
بروحي أفدي شاديننا قد ألفتُه  
أمير جمال والملاح جنوده  
له حاجب عن مقلتي حجب الكرى  
رفعت إليه قصة الدمع شاكيا  
شكوت وما ألوى وقلت فما صغى  
طويل التداني دله متواتر  
أطارحه بالنحو يوما تعللا  
ويرفع وصلي وهو مفعول في الهوى  
تفقهت في عشقي له مثلما غدا  
فيا مالكي ما ضرر لو كنت شافعي  
فإني حنيفي الهوى متحنبل

وأقمار تم ما تضم الغلائل  
وسمر رفاق أم أسود قواتل  
لها هدف منا؛ الحشا والمقاتل  
غدوت وبي وجد من الشغل شاغل  
يجور علينا قده وهو عادل  
وناظره الفتان في القلب عامل  
فواقع تجري وهو في الخد سائل  
وجد بقلبي حبه وهو هازل  
مديد التجني وافر الحسن كامل  
فيبدو وللإعراب منه دلائل  
وينصب هجري عامدا وهو فاعل  
خبيرا بأحكام الخلاف يجادل  
بوصلك وافعل في ما أنت فاعل  
بعشيقك، لا أصغي وإن قال قائل

ولآخر:

ومُستترٍ من سنا وجهه      بشمسٍ لها ذلك الصُدْعُ فَيُ  
كوى القلبِ مني بلامِ العذار      فعزَّفتني أنها لأم كُي

ولبعضهم موجَّهاً في المنطق:

ما للمثالِ الذي لا زال مُشتهراً      للمنطقيين في الشرطيِّ تسديداً  
أما رأوا وجهَ مَنْ أهوى وطرَّتهُ      الشمسُ طالعةٌ والليلُ موجوداً

ولي في الورد على الصدر وفيهما توريةٌ لطيفة:

لاموا على الوردِ لَمَّا      بدا على الصِّدرِ يُشَهَرُ  
هذا نسيب حبيبي      والشيءُ بالشيءِ يُذَكَّرُ

وحكى أبو عمرو بن العلاء قال: استنطقتُ أعرابياً عند الكعبة فإذا هو فصيحٌ عذري، فسألته: هل علقه الحب؟ فأنبأ عن شدة ولوع، فسألته: ما قال في ذاك؟ فأنشد:

تتبعن مرمى الوحش حتى رميننا      من النبلِ لا بالطائشاتِ المخاطفِ  
ضعائفُ يقتلن الرجالَ بلا دمٍ      فيا عجباً للقاتلاتِ الضعائفِ

محاورة بين الشريف الرضي وأبي تراب

قال أبو تراب:

أسلوتَ حبَّ بدورٍ أم تتجلَّدُ؟      سهرتَ جفونك أم عيونك ترقدُ؟

فقال الشريف:

لا، بل هم ألفوا القطيعةً مثلما      ألفوا نزلهمُ بها فتبععدوا

فقال أبو تراب:

فإلامَ تصبرُ والفؤادُ متيماً      ولظى اشتياقك في الحشا يتوقدُ

فقال الشريف:

ما دام لي جلدٌ فلستُ بجازِعٍ      إذْ كان صبري في العواقبِ يُحمَدُ

فقال أبو تراب:

أحسنتَ، كِتْمَانُ الهوى مستحسنٌ      لو كان ماءُ العينِ ممَّا يجمدُ

فقال الشريف:

إن كان جفني فاضحي بدموعه      أظهرتُ للجلساءِ أنِّي أرمدُ

فقال أبو تراب:

فهبِ الدموعَ إذا جرت مؤهنتها      فيُقال: لِمَ أنفاسُه تتصعدُّ؟

فقال الشريف:

أمشي وأسرعُ كي يظنُّوا أنها      من ذلك المشي السريعِ تولدُ

فقال أبو تراب:

هذا يجوز وكلُّه مستعملٌ      لكنَّ وجهك بالمحبة يشهدُ

فقال الشريف:

إن كان وجهي شاهداً يهوى، فما      يدرى إلى من بالمحبة أقصدُ؟

فقال أبو تراب:

قد رجم الناسُ الظنونَ وأجمعوا      أنَّ التي ذُكرتِ إليها المقصدُ

فقال الشريف، وَحَجَّه:

لو يَزعمون كما زعمتَ لما رَوُوا لي في سواها ما نظمتُ وأنشدوا

وللسان الدين في فتى ركب البحر وأصابه الدوار، فترنح على ظهر المركب ترنح  
السكران:

ركب السفينة واستقل بأفقها فكأنما ركب الهلال الفرقد  
وشكوا إليه بمئيدته فأجبتهم: لا غرو إن ماد القضيب الأملد

وللمأمون بن الرشيد:

قمرٌ يحملُ شمسًا مرحبًا بالنييرين  
نهبٌ في نهب يسى عى به غصن اللجين  
هذه قرّة عين حملت قرّة عين

ولي وقد اقترحت عليّ إحدى السيدات نظم شيء في حادثة:

بعظيم لطفك يا فتاة تغزلي والقول حق لست فيه أجارى  
دُرّ المقال لقد تناثر بيننا عن دُرّ نغر لا أراه يبارى  
إن كذبوني فالحقيقة تنجلي والخط زور والشهود سكارى

ولابن خطيب دارياً وهي قصيدة بديعة:

حبيبي لقد أصبحت بالسقم هكذا وظهري بما لاقيت بعدك هكذا  
وطرفي من فيض الدموع مقرح وطرفي من ذكراك يخفق هكذا  
أبيت على جمر الغضا متقلبا وأنت على فرش المسرات هكذا  
وتصبح مسرورا بحسبك لاهيا وأصبح ذا صدر من الهجر هكذا  
وأهواك يا زين الملاح وتبتغي هلاكي وعمري تحت طوعك هكذا  
نسيت وقد بتنا وأنت منادمي وقد تركتك الراح تنعس هكذا

وَأَتَمِسُّ التَّقْبِيلَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ  
وَتُنَكِّرَنِي حَتَّى كَأَنِّي لَمْ أَكُنْ  
وَتَأْتِي إِلَى نَحْوِي بَتُّعْرِكَ هَكَذَا  
ضَمَمْتُ إِلَى صَدْرِي قَوَامَكَ هَكَذَا

وللمعلم بطرس كرامة الحمصي من قصيدة مدح بها حضرة شيخ الإسلام عارف  
حَكَمْتُ بِكَ الشَّهِيرِ:

أَرْجُ الصَّبَابَةَ مِنْ ثَنَائِكَ عَارِفُ  
يَا مَنْ مَحَاسِنُ وَجْهِهِ قَدْ أَفْتَنَتْ  
فِإِلَامٍ تَكَلَّفُ بِالذَّلَالِ وَتَنْتَنِّي  
هَذَا جُفُونِكَ أَمْ سَهَامٌ أُرْسَلَتْ  
هَلَّا عَلِمْتَ بِأَنْ قَدَّكَ نَاهِبُ  
مَا السُّحْرُ إِلَّا مَا تَرِيشُ نَوَاطِرُ  
أَفْدِي بَرُوحِي أَهْيَقًا فِي فَرْقِهِ  
يَغْزُو الْأَنَامَ بِقَدِّهِ وَبِطَرْفِهِ  
لَعِبَ الْهَوَى بِقَوَامِهِ فَتَخَاصَمَتْ  
وَاهْتَزَّتْ مِثْلَ الْغَصْنِ أَشْرَقَ فَوْقَهُ  
أَخَذَتْ مِعَاطِفُهُ النَّحُولَ وَخَصَّرَهُ  
شَطَّتْ رِكَائِبُنَا وَشَطَّ مَزَارُهُ  
حَسْبِي مِنَ الْحَبِّ الْمَبْرُوحِ مَا عَرَا  
قَمَرٌ تَبْرَقِعُ بِالْخِدَاعِ وَلَمْ يَزَلْ  
يَا هَلْ تَرَى هُوَ حَافِظُ عَهْدِ الْهَوَى  
فَالْقَيْدُ وَالْأَيَّامُ كُلُّهُمَا  
عَتَبًا عَلَى الْأَيَّامِ يَبْكِيهَا دَمًّا  
لَا أَخْتَشِي غَدَرَ الزَّمَانِ وَنَاصِرِي

وله:

قَالَتْ وَقَدْ رَنَحَتْ بِالنِّيَّةِ قَامَتَهَا  
فَقَلْتُ: غَصْنٌ، فَقَالَتْ وَهِيَ ضَاحِكَةٌ:  
مَاذَا تَقُولُ بِقَدِّي الْعَادِلِ الْحَسَنِ؟  
قَدْ شَبَّهَ الْغَصْنَ بَعْدَ الْجُهْدِ بِالْغَصْنِ

وله في جميل وضع خدّه على كفه:

مُدَّ وَسَدَّ الخَدَّ عَلَى كَفِّهِ      ظَبِيٌّ بَعَيْنَيْهِ دَمِي يَسْتَبِيحُ  
نادى مُحَيَّاهُ أَلَا فَاظْطَرُّوا      فَوْقَ الثَّرِيَّا قَمْرٌ يَسْتَرِيحُ

وله في أثرٍ بحاجب جميل:

قالوا: بِحاجِبٍ مَنْ صابَيْتَها أَثَرٌ      فقلتُ: مَهَلًا؛ فَمَا فِي ذاكِ صِدْقُ خَبَرٌ  
لَفَرَطٌ ما رَشَقَتْ عَن قَوْسِ حاجِبِها      نَبِلاً فائِثٌ وَقَعُ النَّبيلِ فِيهِ أَثَرٌ

وله، وفيه نوغٌ حسنٌ التعليل:

يا مِيَّ حَسْبُكَ كَم يَبِيتُ مَعْدَبًا      يَرعى النجومَ ولم يَدُقْ طَعْمَ الكَرى  
يصبو إلى البدرِ المنيرِ لأنَّهُ      تَمثالٌ وَجِهَكَ فِي السَّماءِ تَصَوِّرا

وقال يمدح حضرة الشريف علي ابن الشريف غالب المشهور:

سلا ظَبِيَّةَ الوَعساءِ أَيْنَ يَمِينُها؟      وأَيْنَ عَهودٌ أوثَقَتْها يَمِينُها؟  
تُرى عَلِمْتَ ما ذا لَقِينا مِنَ الهوى      وما فَعَلْتَ يَوْمَ الوِداعِ جُفونُها  
وهل عَلِمْتَ سَحارَةَ الجَفِينِ أَنني      أَسيرٌ هَواها وَالفِؤادُ رَهِينُها؟  
ولي كَبِدٌ حَرى تَتَنُّ صِبابَةً      ولم يُجِدِها إِلا التِّياغَ أَنينُها  
ومِن عَجَبِي ترمي السهامَ بِمُهْجَتِي      وَيُطْرِبُنِي عِندَ الوِقاوعِ رَينُها  
بِرُوحِي مَنْ جِاءَتْ بِليلِ غِداثِرِ      فأشْرَقَ صَباحًا فِي الظلامِ جَبِينُها  
مَهارةٌ لَها كُلُّ القلوبِ مَنازِلُ      وَنَهَبَ قلوبَ العاشِقينَ شُئونُها  
مِن العَرَبِ إِنْ ما سَتَ فِي التُّركِ لوعَةٌ      وَترنوا فَتَغزوا الرِومَ جَهراً عيونُها  
بِقامَتِها لِينٌ وَفِي القلبِ قِساوَةٌ      فِيا لَيْتَ حَظِّي مِنْها كانَ لِينُها  
يَروِّقُكَ تَحْتَ المِعْطَفينَ ذِوائِبُ      يَمَسِّنَ وَبِينَ الفِرْقَدَينَ سَكونُها  
مُهْفَهفَةٌ يَروي عَنِ الوَرْدِ خَدُّها      أَحاديثُ خالٍ فِي الفِؤادِ شَجونُها  
إِذا جَيدُها الحالِي أذاعَ لالِئًا      فِي ثَغَرِها الحالِي الرُضا بَ ثَمِينُها  
أَطالِبُها بِالوَعْدِ وَهِيَ ضَنيِنَةٌ      بِهِ، وَالغِوانِي لَيسَ تُقضى دِيونُها

وعن كبدي ما في الخدود كميئها  
مديحُ الشريف الأريحيِّ معيئها

تُسائلُنِي عن مثل ما في لحاظها  
فقلتُ: دَعيني والهوى إنْ مُهجتي

وقال:

تَسْتَبِي كُلَّ مَنْ رَأَهُ وَشَامَهُ  
من جفونِ أربتِ على الصمصامةِ  
فأراشتِ للعاشقين سِهامَهُ  
دُرٌّ دمعٍ إذا رأيتِ ابتسامَهُ  
ذا احمرارٍ مُشققًا أكمَامَهُ  
فأذاعتِ من كلِّ صبِّ غرامَهُ  
فأقامتِ على الغُصونِ القيامةِ  
وَعَزَّتْنَا ظِلْمًا بِأَعْدِلِ قَامَهُ  
يَوْمَ بَيْنَ للعاشقين سِقَامَهُ  
هَهَا لِفَتكِ العيونِ أوفى علامةِ  
يَسْتَفِرُّ الأشياخَ وَهِيَ غُلامَهُ  
لستَ تدري الهوى فحلَّ الملامَةَ  
وَهُوَ بَدْرٌ إذا أزاحتِ لِثامَهُ  
رحتِ ذا سَكْرَةَ بغيرِ مُدَامَةَ  
سَمْتُ بالنفسِ ضَمَّهُ وَالتَّثَامَهُ  
مَنْ تَوَلَّى عليه حُبَّ السلامةِ  
بِلِحَاظِ خوفِ الوُشاةِ سلامَهُ  
زاد حُسْنًا بَنانَهُ وَسُلامَهُ  
فَتَنَ العُربِ حينَ هَزَّ قوامَهُ  
كيف لا يَنسخُ الصبأُ ظلامَهُ  
عَمَرَكَ اللّهُ قد سَلَبتِ الكرامةِ  
بِوِصالِ حاشاكِ تَأبَى الكرامةِ  
منكِ وافيٍّ وذِي أَبْرُ قسامَةَ  
ما لِدِهْرِ على العهودِ استقامةِ

أَقْبَلتِ تَنجلي وفي الخدِّ شامَةَ  
بينِ خَطِيٍّ قامَةً وحسامٌ  
زَجَّجتِ حاجبًا فأصبح قوسًا  
وجَلتِ مَبِيسَمًا تَفِيضُ جفوني  
أَحجلُ الورْدَ وَجَنَّتَها فأضحى  
غازِلَتْنَا والحبُّ فينا كَمِينٌ  
لاعبِ الدَّلِّ عِطْفَها باهتزازِ  
جَزَدتِ أبيضًا بأسودِ جَفِنِ  
أَسقَمُ السُّحْرُ طَرْفَها فأعارتِ  
مَنْ عَذِيري بِظُبيَّةٍ وردُ خَدَيْـ  
تَسْتَرِقُ النُّهى بِرِقَةٍ حَصِرِ  
يا خَلِيًّا أضحى يَلومُ شَجِيًّا  
وَمُحِبًّا تحتِ اللثامِ هلالِ  
لو رأيتِ العيونَ وَهِيَ سكارى  
أَوْ تَرى الفَرْقدِ المنيِرِ ببدرِ  
إنَّ للحبِّ لذةً لم يَذُقْها  
كيف أنسى مُهفَهفًا جاء يَهدي  
عَندمُ الخدِّ عن دمي سَلُ خُضابًا  
من ظباءِ الأتراكِ ظبِيٍّ رَشِيقُ  
عَجَبًا في الجبينِ ليلٌ وصَبْحُ  
يا غزالًا غزا القلوبَ بِلَحْظِ  
جُدْ بوِصلِ على الكريمِ بِنَفْسِ  
ما سَلَوْتُ الهوى وَحقَّ جمالِ  
يا نَدامايَ والزمانُ مُوافِ

الندى الرطيب في الغزل والنسيب

أين عهدٌ مضى وعصرٌ تَقَضَّى      بين أسد الشرى وغزلان رامة  
لو صحا الدهرُ من سلافة جورٍ      شقَّ أطواقه بُكًا وندامة

ولإبراهيم الصبيبي:

لما بدا مبييضًا      والقلبُ مشتاقٌ إليه  
ناديتُ هذا قاتلي      والرايةُ البيضاء عليه

ولابن بقيٍّ في غلامٍ مُغنٍّ قام يرقص:

بأبي قَضيبِ البانِ يُثْنِيهِ الصِّبَا      عوض الصِّبَا في الروضة الغنَّاءِ  
نادمتهُ سَحْرًا فأمتَع مسمعي      بترنُّمٍ كترنُّمِ الورقَاءِ  
وكأنما أكمأه في رقصه      تتعلَّم الخفِّقَان من أحشائي  
ويمرُّ يلتقط الزجاجَ بذيله      مرَّ النسيمُ على حَبَابِ الماءِ

ولي وقد كتبتها على رسمي:

إليكم يا أحبةَ رسمِ جسمٍ      ملكتم قبله طوعًا فوادي  
وإن البعدَ خلفني سقيمًا      ولم يبقَ السليم سوى وادي

ولآخر:

يا مَنْ إذا أقبل قال الورى:      هذا مَلِكِ الحسَنِ في موكبه  
إنَّ الهوى صعبٌ ولكنني      بُليت بالأصعبِ من أصعبه  
قد كان لي في خنصري خاتمٌ      واليوم لو شئتُ تمنطقتُ به  
وصرت من فرط نحولي بكم      يَحْمِلني البرغوثُ في مخلبه  
وذبت من وجدي فلو زجَّ بي      في مُقلَّةِ النَّائمِ لم ينتبه

والشيء بالشيء يُدْكَر؛ فقد قلتُ في خاتمِ أحمر اللون وضعتُه محبسًا لقلادة العنق:

ذا خاتمٌ أجَلَلْتُهُ فوضعتُه      كقلادةٍ للعُنُقِ دون رياءِ  
خوفَ البعادِ دَفَعْتُ بالياقوتِ الـ      حمراءِ شرَّ المقلَّةِ الزرقاءِ

ولبعضهم قوله وهو بديع، فيه من محاسن التوجيه ما فيه:

بكثره الجهل فقلنا: سلام	خاطبنا العاذل عند الملام
لما رأى العارض في الخد لام	ما لامنا من قبل لكنه
لكنني أسأل حسن الختام	وليس لي من عشقه مخلص
من بعده يسبح شهراً وعام	والجفن في لجة دمعي غدا
عذابها كان لقلبي غرام	ونار خديه التي أضرمت
لو قال: يا بُشراي هذا غلام	اخترته مولى ويا ليتته
قصدي إلا وُدّه والسلام	سلامه يبخل فيه وما
وكان حالي معه في انتظام	عني حمى الثغر بالحاظه
والمنهل العذب كثير الزحام	وفيه قد زاحمني شارب
قد هام وجدًا بين مصر وشام	لبرق هذا الثغر كم عاشق
يألف كل منهما الإنسجام	دمعي ونظمي في هواه غدا
لكن من اللحظ لقلبي سهام	ما لي سهم قط من وصله
يرقص لكن رقصه في الظلام	مذ حلّ ذاك الشعر قلبي غدا
خديه خوفًا من عيون الأنام	ماس وقد غطى بأكمامه
وأحسن الورد الجني في الكمام	فقلت: ما أطف غصن النقا
فهل رأيت البدر تحت الغمام؟	جرت دموعي حين قبلته

وقال شمس الدين بن الصائغ:

ومنّ أنا في الدنيا فأفديه بالمال	بروحي أفدي خاله فوق خده
وأسكن كلّ الحُسن في ذلك الخال	تبارك من أخلى من الشعر خده

وللسان الدين بن الخطيب:

ومن استراب فحجّتي تكفيه	إنّ اللحاظ هي السيوف حقيقة
إلا لشبهه اللحظ يُغمّد فيه	لم يُدع غمّد السيف جفناً باطلاً

وقال إلياس أفندي صالح كنعان:

ألا قولاً لها أن تقرِّبهاها  
سَلاها كيف لا ترثي لصبِّ  
أراها بالصدود تزيد جوراً  
وفأها بالعهود غداً حراماً  
نواها بالغت فيه فيه وراحت  
قلاها لم تقل منه مُعنى  
عصاها في الفؤاد لقد رمتها  
لما هذا الدلال بغير وصل  
مُرادي أن أخاطبها وجاهاً  
أبى هذا الهوى إلا هلاكه  
خطاها في الهوى خطأ ولكن  
دعاها بالدلال تزيد تيهها  
إذا هام الفؤاد فليس بدع  
لنا مهجُ براها الله تهوى

وللشيخ تقي الدين ابن دقيق العبد:

إذا كنتُ في نجدٍ وطيبِ نعيمه  
وإن كنتُ فيهم زدتُ شوقاً ولوعةً  
فقد طال ما بين الفريقين موقفي

وهذه رائيةٌ جميلٌ بثينة العُدري:

خليلي عوجا اليومَ حتى تسلماً  
فإنكما إن عجتما بي ساعةً  
وإنكما إن لم تعوجا فإنني  
وما لي لا أبكي وفي الأيك نائحُ  
أبكي حمامُ الأيك من فقد إلفه  
يقولون: مسحور يُجنُّ بذكرها

على عذبة الأنياب طيبة النشرِ  
شكرتكما حتى أغيبَ في قبري  
سأصرف وجدي فأذنا اليومَ بالهجرِ  
وقد فارقتني شخنة الكشح والحصرِ  
وأصبر! ما لي عن بثينة من صبرِ  
وأقسم ما بي من جنونٍ ولا سحرِ

وأقسم لا أنساك ما ذرَّ شارقُ  
وما لاحَ نجمٌ في السماءِ مُعلِّقُ  
لقد شغفت نفسي، بُثينَ، بذكركم  
ذكرتُ مقامي ليلةَ البانِ قابضًا  
فكدتُ ولم أملكِ إليها صِبابَةً  
فيا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً  
تجودُ علينا بالحديثِ وتارةً  
فليت إلهي قد قضى ذاك مرةً  
ولو سألتُ مني حياتي بذلتها

وما هبَّ آلٌ في مُلمّعةٍ قَفرِ  
وما أورقَ الأعصانُ من ورقِ السدرِ  
كما شغفَ المجنونُ يا بُننَ بالخيرِ  
على كفِّ حوراءِ المدامعِ كالبدِرِ  
أهيمُ وفاضِ الدمعِ مني على النحرِ  
كليلتنا حتى نرى ساطعَ الفجرِ  
تجودُ علينا بالرُّضابِ من الثغرِ  
فيعلمُ ربي عند ذلك ما شكري  
وجدتُ بها إن كان ذلك من أمري

وهذه رائيةُ عُمر بن أبي ربيعة ومطلعها:

أمن آل نَعَمِ أنتِ غادٍ فمُبَكِّرُ

إلى أن يقول:

وغاب قُميرٌ كنتُ أرجو غُيوبَهُ  
فَحَيَّيتُ إذ فاجأَتْها فتولَّهتُ  
وقالت وَعَضَّتْ بالبَنانِ: فَضَحَّتْني  
أرَيْتَكَ إذ هُنَا عليك ألمٌ تَخَفُ  
فوالله ما أدري أتَعْجِيلُ حاجَةَ  
فقلتُ لها: بل قادنِي الشوقُ والهوى  
فيا لك من مُلْقَى هناك ومجلسِ  
يَمِجُّ نكاءَ المسكِ منها مُفَلِّجُ  
يرقُ إذا نَفَتَرُ عنه كأنهُ  
وتَرنو بعينيها إليَّ كما رَنا  
فلَمَّا تولى الليلُ إلا أَقلَّهُ  
أشارتُ بأنَّ القومِ قد كانَ منهمُ  
فما راعني إلا مُنادٍ بِرحلَةٍ  
فلما رأتُ مَنْ قد تنورُ منهمُ

وروحِ رِغِيانٍ ونومِ سَمَرُ  
وكادتُ بمكتومِ التحيَّةِ تَجهرُ  
وأنتِ امرؤُ ميسورُ أمرِكِ أعسرُ  
رقيبًا وحولي من عدوكِ حُضْرُ  
أتى بك أم قد نام مَنْ كنتِ تَحذرُ؟  
إليكِ وما عينُ من الناسِ تَنظرُ  
لنا لم يُكدرهُ هناك مُكدرُ  
رقيقُ الحواشي ذو غروبِ مؤسّرُ  
حصى بَرْدٍ أو أَقْحوانُ مُنورُ  
إلى زَرْنَبِ وَسَطِ الخَميلةِ جُوْدُرُ  
وكادتُ توالي نَجْمه تَتغورُ  
هبوبُ ولكنْ موعدٌ لك عَزورُ  
وقد لاحَ مفتوقٌ من الصبحِ أشقرُ  
وأيقاظهم قالت: أشْرُ كيف تَأمرُ

فقلتُ: أبايديهم فإمّا أفوتهم  
فقلت: أتُحقيقُ لما قال كاشحُ  
إذا كان ما لا بدّ منه فغيره  
أقصُّ على أختي بدءَ حديثنا  
لعلهما أن ينعتا لك حيلةً  
فأقبلتا فارتاعتا ثم قالتا:  
يقوم فيمشي بيننا متستراً  
فكان مجنّي دون مَنْ كنتُ أتقي  
فلما أنخنا ساحة الحيّ قلن لي:  
وقلنا: أهذا دأبك الدهر سادراً

ولجميل بثينة من داليتّه:

وَيَحْسَبُ نِسْوَانٌ مِنَ الْجَهْلِ أَنِّي  
فَأَقْسَمُ طَرْفِي بَيْنَهُنَّ فَيَسْتَوِي  
يَمُوتُ الْهَوَى مَنِّي إِذَا مَا لَقِيَتْهَا

ولسليم أفندي عنحوري في غادة تلعب في سبحة:

وَلِي حَبِيبٌ سَبَى أَمْلُودَ قَامَتِهِ  
يَجُولُ قَلْبِي عَلَى رَاحَاتِهِ لَعْبًا  
بَانَ النَّقَا شَفَّ جَسْمِي فَطُرُ رِقَتِهِ  
كَأَنَّهُ حَبَّةٌ فِي سَلَكِ سَبْحَتِهِ

وله:

حَتَّامَ أَسْعَى أَنْ أَفُوزَ بِخَلْوَةٍ  
النَّاسُ تَشْكُو مِنْ عَذُولٍ وَاحِدٍ  
بِكَ دُونَ أَنْ يَأْتِيَ الزَّمَانَ بِطَائِلِ  
مَا الْقَوْلُ بِي وَالدهرُ بَعْضُ عَوَالِي؟

ولعزتو خليل أفندي الخوري:

ذَهَبَ الْعَقْلُ فَمَنْ يَرْجِعُهُ  
بَدْرٌ حُسْنٍ قَدْ سَبَّانِي حُسْنُهُ  
وَسَطَا الْعَشْقُ فَمَنْ يَمْنَعُهُ  
جَلٌّ بَارِي لُطْفِهِ مُبَدِّعُهُ  
حُبُّهُ حَيْرَنِي بُرْقَعُهُ  
لَيْسَ تُطْفِي نَارَهُ أَدْمَعُهُ  
فَأَنَا الْآنَ مُعْنَى حَائِرٌ

سَلَبَتْ رُشْدِي فَلَا تُرْجِعُهُ  
ذَابَ قَلْبِي وَالْهَوَى يَصْرَعُهُ  
مَا سَ ذَاكَ الْحَصْرُ إِذْ تَدْفَعُهُ  
وَلَهَا الْحَسْنَ أَنْتَهَى أَجْمَعُهُ  
يَجْذِبُ الْقَلْبَ كَمَا يَلْسَعُهُ  
مَطْلَعُ الصَّبْحِ عَلَا مَطْلَعُهُ  
تَمْنَعُ النَّهْدَ وَلَا تَمْنَعُهُ  
كِدْتُ لَوْلَا رَهْبَتِي أَمْزَعُهُ  
صَيْغَ مِنْ مَاءٍ صَفَا مَنْبَعُهُ  
بِالسَّنَى عَهْدَ الْوَفَا إِصْبَعُهُ  
فِي مَقَامٍ يَزْدَهِي مَرْبَعُهُ  
لِمُحِبِّ مُرَّقَّتْ أَضْلَعُهُ  
أَمَلُّ عَنْ فِكْرَتِي تَنْزَعُهُ  
أَنْتَ لَا تَعْلَمُ مَا تَصْنَعُهُ  
أَنْتَ صَبٌّ غَرَّهُ مَطْمَعُهُ  
فَوْقَ هَامَاتِ الْعُلَى مَوْضَعُهُ  
صُعْبُ أَسْهَلُهُ أَمْنَعُهُ  
فَاخْتَلَسْنَا مِنْهُ مَا يَمْنَعُهُ  
لَا سِوَى الْعِقَّةِ مَا تَجْمَعُهُ  
سَاهَرَ الطَّرْفِ فَلَا تَخْدَعُهُ  
وَحَدِيثُ فِي الدُّجَى تَسْمَعُهُ  
خَابِطًا نَحْوَ الشُّقَا مَرْجِعُهُ  
وَرَقِيبِي شَوْكُهُ مَضْجَعُهُ  
تَكَرَّهُ الظَّنَّ وَمَنْ يُبْدِعُهُ  
إِنْنِي وَاللَّهِ لَا أَتْبَعُهُ  
كَيْفَ مَعْنَاهُ وَمَا مَوْقَعُهُ؟  
صَعْبُ الْحِفْظِ فَلَا أَسْمَعُهُ

أَسْرَتْنِي بِالْهَوَى الْخُودُ الَّتِي  
غَادَةُ ذَابَتْ مِنَ اللَّطْفِ كَمَا  
نَصَفَهَا يَسْقُطُ لِلْأَرْضِ إِذَا  
تَتَجَلَّى بِجَمَالٍ وَبِهَا  
عَقْرِبَ الشَّعْرَ عَلَى الْفَرْقِ لَوْ  
وَجَلَا الصَّدْرُ سَنَى فَجَرَ عَلَى  
أَنْجُمِ الْأَزْرَارِ دَارَتْ حَوْلَهُ  
ظَاهِرٌ يُخْفِيهِ عَنِّي شَفَقُ  
كُفُّهَا الْبَاهِي بِكَفِّي خِلْتَهُ  
قَدْ بَدَأَ فِي لَوْحِ صَدْرِي كَاتِبًا  
حَيْثَمَا حَلَّتْ مَهَاتِي جَانِبِي  
مَسَّهَا حُرُّ الْهَوَى فَاَنْعَطَفَتْ  
ثُمَّ مَالَتْ حَيْثَمَا خَالَجَنِي  
أَعْرَضَتْ عَنِّي وَقَالَتْ: يَا فَتَى  
رُحْ إِلَى أَهْلِكَ عَنِّي إِنَّمَا  
قَدْ بَلَغْتَ الْآنَ مَنِّي مَنْزِلًا  
فَاعْلَمَنَّ أَنَّكَ عِنْدِي فِي جِمَا  
غَفَلَ الدَّهْرُ وَوَلَّحَتْ فِرْصَةً  
إِنَّمَا أَنْتَ مَعِي فِي خَلْوَةٍ  
إِنْ مِنْ ذَاتِي لِذَاتِي حَارِسًا  
لَيْسَ إِلَّا نَظْرٌ تَحْظَى بِهِ  
سِرٌّ مُعَافَى مِنْ رَحَابِي لَا تَكُنْ  
حَمْلَقُ الْفَجْرِ بِعَيْنَيْهِ بِنَا  
لَسْتُ أَخْشَاهُ وَلَكِنْ عَزَّتِي  
إِنْنِي لَمْ أَدْرِ قَبْلًا مَا الْهَوَى  
لَسْتُ أَدْرِي الْحَبَّ لَا أَعْرِفُهُ  
إِنَّهُ عِلْمٌ جَدِيدٌ دَرُسُهُ

ولابن معتوقٍ من غزلٍ قصيدةٌ يمدح بها السيد علي خان:

فُتِنْتُ فِي جَمَالِهَا الشُّهُبُ حَتَّى      شَارِكْتُنَا وَنَازَعَتْ فِي هَوَاهَا  
عَلِقَتْ شَمْسُنَا بِهَا فَلِهَذَا      عَيْنُهَا فِي الرُّوْحِ تَجْرِي بِمَاهَا  
لَمْ تَحُلْ مِنْ فِرَاقِهَا كُلَّ يَوْمٍ      فَهِيَ صَفْرَاءُ خَشِيَّةٍ مِنْ نَوَاهَا  
قَدْ يَرَى حُبَّهَا الْأَهْلَةَ وَجَدًّا      فَأَطَالَتْ عَلَى الضُّلُوعِ انْجِنَاهَا  
ذَاتِ حُسْنٍ لَوْ تَحْسِنِ النُّطْقَ يَوْمًا      سَبْعَةَ الشُّهُبِ أَقْسَمَتْ بِضَحَاهَا  
خَالِهَا فِي الْخُدُودِ فِي الْحَالِ مِثْلِي      حَائِرٌ بَيْنَ ثَلَجِهَا وَلِظَاهَا  
سَقَمُ جِسْمِي وَصَحَّتِي وَفَنَائِي      وَوُجُودِي فِي سُخْطِهَا وَرِضَاهَا

ولي من غزلٍ قصيدةٌ أمدح بها عزتلو سليم بك تقلا مدير جريدة الأهرام:

نَهَاها عَنِ مَحَبَّتِنَا نَهَاها      فَتَاهَ تَعَجُّبًا مِنْهَا فَتَاهَا  
سَرَى أَرْجُ النَّسِيمِ لَذَا أَرَاهُ      كَثِيبًا حَيْثُ أَنْبَأَ عَنِ جَفَاهَا  
فَتَاهُ زَيْنَتْ بِكَمَالِ خُلُقٍ      وَخَلَقِ قُلُوبَ تَبَارَكَ مَنْ بَرَاهَا  
أَرَاقتَ مِنْ دِمَائِي وَمِنْ دُمُوعِي      فَكَانَ لِعَدْرِهَا نَهْرٌ رَوَاهَا  
لَقَدْ طَالَ الْوَقُوفُ عَلَى رُبُوعِ      بِهَا أَبَدًا أَسْأَلُ عَنِ رِضَاهَا  
سَقَمْتُ فَلَا أَرَى فِي الْحُبِّ مَلْجَأَ      وَلَا أَلْقَى مُجِيرًا مِنْ هَوَاهَا  
لَقَدْ عَلِمْتُ بَعِزَّتِهَا وَذُلِّي      حَمَائِمُ رَامَةٍ وَمَهَى نَقَاهَا  
مَضَى زَمَنِي وَمُدَّ أَمَلْتُ مِنْهَا إِنْ      فِإِلَاتًا لَاحِظْتَنِي مُقَلَّتَاهَا

ولسليم أفندي عنحوري:

وَقَائِلَةٌ لِإِمَامِ الشُّحْبِ تَبْكِي      فَقَدْ أَجْرَتْ عَلَى بَرٍّ بِحَارَا  
فَقُلْتُ: وَكَيْلَةَ عَنِي وَهَذَا أَلْ      حَيَا مِنْ مَدْمَعِ الصَّبِّ اسْتَعَارَا  
كَذَلِكَ الْحَبُّ مَظْهَرُهُ عَجِيبٌ      يُسَخَّرُ إِنْ يَشَاءُ الْفَلَكُ اقْتِدَارَا

وله:

لَا تَعَجَبُوا لَمَّا تَرَوْنَ بَدَائِعِي      فِي الشُّعْرِ يُسَكِّرُ رَاحَهَا رَاحَ الدَّنَانِ  
لَوْ قَامَ أُمَّيُّ تَجَاهَ مَلِيكَتِي      لَسَبَّتْ بِلَاغَتِهِ فِلَاسِفَةُ الزَّمَانِ

وله:

وقد ارتجلهما في غادةٍ ربَّت  
ربَّت لِخنصرها المجرهَ ظُفْرَه  
لم يَكْفِ رُمحٌ قوامها وحُسامٌ مُقَدِّمٌ  
ظفر خنصرها حتى طال كثيراً:  
وبرت ظُفْيَ طرفيه حتى أترأ  
لتيها فزادت للفتنن خنجراً

ولي من غزل قصيدة:

بين نَسْرينِ ووردٍ وإقاح  
دارت الراح علينا وجَلت  
حَنْدريسٌ عُنقت في دَنِّها  
في رياضِ الزهرِ بين الزهرِ إذْ  
قلبُ صبِّ صابرٍ في بُعدٍ مَنْ  
تِيَمْتُهُ في الهوى مالِكَةُ  
بين خالِيها وقلبي نسبةً  
أسودُ الخالِ على وجنَّتِها  
يا ليالي الحظِّ ما عُدت على  
طائرِ العقلِ بروضِ الحُسنِ قد  
في زمانٍ آنَ فيه الملتقى  
ليس يَدري حالتي في قربها  
ودنت بعد التناثي غادتي

ولعبد الحكم يستجلي زوجته:

سترت وجهها بكفٍّ عليه  
قلت: لم يُغنِ عنك سترُك شيئاً  
شبكُ النَّقشِ وَهي تجلي عروساً  
ومتى غَطَّت الشَّبَّابُ الشموسا؟

ولابن قلاقس الإسكندري في سوداء:

ربَّ سوداءَ وَهي بيضاءُ فِعْلٌ  
مثلُ حَبِّ العيونِ يَحسبه النا  
حسد المسكَ عندها الكافورُ  
سُ سوادًا وإنما هو نورُ

وقال الشيخ بدر الدين الدماميني:

في ليلة البدر أتت ليلى فقررت مُقلتي  
قالت: ألا يا بدرُ نمُ فقلت: هذي ليلتي

وبينما كانت جاريةً من كرائم الخليفة المعتمد على الله، قائمةً على رأسه تسقيه،  
والكأس في يدها؛ إذ لمع البرقُ فارتاعت، فقال بديهاً:

رَبِعَت من البرقِ وفي كَفِّها برقٌ من القهوةِ لَمَاعُ  
عَجِبْتُ منها وهي شمسُ الضحى كيف من الأنوارِ تَرْتاعُ؟

وحُكِيَ أن ثلاثَ نساء من العرب جَلَسْنَ بالقرب من نُصَيْب بن رِياحِ القُضاعي في  
مكة فجعلنَ يتذاكرنَ الشعرَ والشعراء، فقالت إحداهن: قاتل الله جَمِيلاً العذري حيث  
يقول:

وبين الصفا والمرَوَّينَ نَكَرْتُكم بمخْتَلِفِ ساعٍ وآخرِ يَرجِفُ  
وعند طوافي قد نَكَرْتُكَ نَكَرَةً هي الموتُ أو كادت على الموتِ تُضَعِفُ

فقالت الأخرى: أخزى الله كُثَيِّرَ عِزةٍ حيث يقول:

طَلَعْنَ عليها بين مروةٍ والصفا يَمُرْنَ على البطحاءِ مَوَرَ السحابِ  
وَكِدْنَ لَعَمَرَ الله يُحَدِثَنَّ فتنَةً لمخْتَشِعِ من خشيةِ الله تائبِ

فقالت الأخرى: بل قاتل الله ابنَ الزانيةِ نُصَيْبَ بن رِياحِ حيث يقول:

أَلَامٌ على ليلى ولو أستطيعها وحُرْمَةٍ ما بين البنيةِ والسترِ  
لَمِلْتُ على ليلى بنفسِي مِيلَةً ولو كان في يومِ التحالفِ والحشرِ

فقام نُصَيْبٌ وسلَّمَ عليهاً وأنشدهن قصيدة من شعره فأعجبن به، وقُلن له: مَنْ  
أنت حيَّاك الله؟ فقال: أنا ابنُ المظلومةِ! فقمُنَ إليه واعتذرتِ القائلة بأن ذلك قد دعاها إليه  
استحساناً لكلامه المذكور.

## خطرات أفكار

ودخل أبو بكر الشَّبلي يومًا المارِسْتان فوجد غلامًا أسودَ قد غُلَّ إلى سارية، فلما رآه قال: يا أبا بكر، أما كفى عذابِي بحبه حتى قُيِّدْتُ! وأنشد:

على بُعْدِكَ لا يَصْـ      بَرٌّ مَنْ عَادَتَهُ الْقُرْبُ  
وعن قُرْبِكَ لا يَصْـ      بَرٌّ مَنْ تَيَمَّهَ الْحَبُّ  
فإن لم تَرَكَ الْعَيْنُ      فقد أبصرَكَ الْقَلْبُ

فصُعق الشَّبليُّ وخرَّ مغشيًّا عليه.  
وعن ذي النون المصريِّ قول فتاة:

أحبُّكَ حَبَّيْنِ حَبِّ الْوِدَادِ      وحبًّا لأنك أهلٌ لذلك  
فأما الذي هو حبُّ الهوى      فحبُّ شُغِلَتْ به عن سواك  
وأما الذي أنت أهلٌ له      فكشْفُكَ لِلْحُجْبِ حتى أراك  
فما الحمدُ في ذا ولا ذاك لي      ولكن لك الحمدُ في ذا وذاك

قال الأصمعي: كنتُ في بعض مياه العرب، فسمعتُ الناس يقولون: «قد جاءت»، فتحركَ الناس، فقمْتُ معهم فإذا بجارية قد وردت الماء، فما رأيتُ مثلها قط في حُسن وجهها وتمامِ خُلقتها، فلما رأت كثرةَ تشوُّقِ الناس إليها أرسلتُ بُرْقَعَهَا، فكأنه غمامة غطَّت شمسًا، فقلتُ: لِمَ تمنعينا النظرَ إلى وجهك الحسن؟ فأنشأت تقول:

وكنْتَ متى أرسلتَ طَرْفَكَ رائدًا      لقلبك يومًا أتعبتُك المناظرُ  
رأيتَ الذي لا كلُّهُ أنت قادرٌ      عليه، ولا عن بعضِهِ أنت صابرٌ

ثم نظر إليها أعرابي وقال: إنَّا والله ممن قلَّ صبره، وأنشد:

أَوْحَشِيَّةَ الْعَيْنَيْنِ أَيْنَ لِكَ الْأَهْلِ؟      أِبَالِحَزْنٍ حَلُّوا أَمْ مَحَلُّهُمُ السَّهْلِ؟  
وَأَيَّةَ أَرْضٍ أَخْرَجْتِكَ فإِنني      أَرَاكَ مِنَ الْفَرْدُوسِ إِنْ فَتَّشَ الْأَصْلُ  
قَفِي حَبْرِينَا مَا طَعِمْتِ وَمَا الَّذِي      شَرِبْتِ وَمِنْ أَيْنِ اسْتَقَلَّتْ بِكَ الرَّجُلُ؟  
لأن علاماتِ الْجِنَانِ مُبِينَةٌ      عَلَيْكَ وَإِنَّ الشَّكْلَ يُشْبِهُهُ الشَّكْلُ

وقال إلياس أفندي طراد مما يُكْتَب على رسم:

أَخَذْتَ يَا رُوحِي قَلْبِي وَمِنْ مَحَبَّتِي صُورْتِ لِي جِسْمًا  
أَضْمُهُ نَحْوَ فَوَادِي فَلَا يُعْرِفُ مَنْ مَنَّا غَدًا رَسْمًا

ولإبراهيم بن المدبر، وقد كتبت له عريب مشوقته تسأله عن حاله:

وَسَاءَ لَتُمُوهُ بَعْدَكُمْ كَيْفَ حَالُهُ وَذَلِكَ أَمْرٌ بَيْنَ لَيْسٍ يُشْكِلُ  
فَلَا تَسْأَلُوا عَنْ قَلْبِهِ فَهُوَ عِنْدَكُمْ وَلَكِنْ عَنِ الْجِسْمِ الْمُخْلَفِ فَاسْأَلُوا

وتذكرت هنا قولي في مثل ذلك:

وَكَذَاكَ مِنْ مَرَضِي فَلَا تَتَعَجَّبِي وَكَذَلِكَ مِنْ مَرَضِي فَلَا تَتَعَجَّبِي  
هُجْرَانِهِ قَالَ الْحَبِيبُ مَعْدَبِي إِنَّ الْفَوَادَ لَدَيْكَ لَمَّا زِدْتِ فِي  
إِنِّي أَعِيشُ وَلَا فَوَادَ وَإِنَّمَا ذَكَرَ الْفَوَادَ إِلَى الْحَيَاةِ يَعُودُ بِي

ولشاكر أفندي شقير:

قَلِّ لِلْأَلَى عَشِقُوا الْجَمَالَ: تَأَمَّلُوا فِي قَامَةٍ يَعْغُو لَدَيْهَا الْبَانُ  
غَصْنٌ وَلَكِنْ فَاعْجَبُوا مِنْ حَمَلِهِ الزَّهْرُ وَرَدُّ وَالْجَنَى رُؤْمَانُ

وقال إلياس أفندي طراد في قينة اسمها ليلي:

وِظْبِيَّةٍ تَدَّعِي بَأَنِّي مَلَكَتُ أَحْشَاءَهَا مَحَلًّا  
وَكَأَمَّا قَلْتُ: نِصْفُهَا لِي وَأَذَلَّ قَلْبِي تُجِيبُنِي لَا

ولأزاد الهندي في الأذن:

أُذُنُ الْمَلِيحَةِ وَرَدَّةٌ فِي رَوْضَةٍ يَا لَيْتَهَا تَهْوَى نَسِيمَ بِيَانِي  
صَدْفٌ أُنِيقُ لَا مَحَالَةَ أَدْنُهَا وَالذُّرُّ فِيهَا وَاضِحُ الْبِرْهَانِ

وللرصافي وقد رأى ظبيًا ألقى عليه سُبَاتِ النوم، وكلَّ العرقُ منه خذًا طريًّا فأراه  
الحُبَابَ فوقَ الحميِّ:

ومُهْفَهَفٍ كَالْغُصْنِ إِلَّا أَنَّهُ  
سَلَبَ التَّنَنِّيَ النَّوْمَ عَنْ أَثْنَائِهِ  
أَضْحَى يَنَامٌ وَقَدْ تَحَبَّبَ خُدُّهُ  
عَرَقًا فَقَلْتُ: الْوَرْدُ رُشٌّ بِمَائِهِ

ولعليّ بن المبارك:

هَبَّتِ الرِّيحُ مِنَ الشَّرِّ  
كَيْفَ أَنْسَاكَ وَرُوحِي  
قِي فَجَاءَتْني بَرِيحُكَ  
صُنِعَتْ مِنْ جَنَسِ رُوحِكَ؟

ولأسعد أفندي داغر من قصيدة قوله:

بِالصَّخْوِ حَدَّثَنِي الْعَدُولُ وَنَاجَى  
هِيَاهُتَ يَصْحُو مِنْ مُدَامِ الْوَجْدِ مَنْ  
أَوْ أَنْ يَصِحَّ عَلِيلٌ بَعْدَ لَا يَرَى  
مَا حَلَّ سَائِرُ ذِكْرِهِ بِفَوَادِهِ  
شَوْقًا لِمَنْ بِسَمَا الْمَلَاةِ أَصْبَحَتْ  
تُبْدِي سَنَا يُلْقِي عَلَى عَيْنِ السَمَا  
وَتَزُرُّ فَوْقَ سَمَا اللَّجَيْنِ غِلَالَةٌ  
وَتَشِيدُ حِصْنًا لِلدَّلَالِ يَدُكَ مِنْ

قلبي فأرغمه الغرامُ فعاجا  
صِرْفُ الهوى لِقَوَاهُ بَاتَ مِزَاجًا  
غَيْرَ الْوِصَالِ مِنَ الْحَبِيبِ عِلَاجًا  
إِلَّا وَحَرَكَ شَوْقَهُ وَأَهَاجًا  
شَمْسًا وَفِي مُلْكِ الْمَحَاسِنِ تَاجًا  
حَرَجًا وَيُخْفِي لِلْأَسْوَدِ حِرَاجًا  
فَتَصُونُ بِلَوْرًا وَتَحْمِي عَاجًا  
قَلْبَ الْعَمِيدِ أَخِي الْهَوَى أَبْرَاجًا

ولحمود سامي باشا المصري من قصيدة:

قالوا غداً يومُ الرحيلِ وَمَنْ لَهُمْ  
هِيَ مَهْجَةٌ ذَهَبُ الْهَوَى بِشَغَافِهَا  
يَا أَهْلَ ذَا الْبَيْتِ الرَّفِيعِ مَنَارُهُ  
إِنِّي فَقَدْتُ الْعَامَ بَيْنَ بِيوتِكُمْ  
أَوْ فَاسْتَقِيدُونِي بِبَعْضِ قِيَانِكُمْ  
خَوْفَ التَّفَرُّقِ أَنْ أَعِيشَ إِلَى غَدِ  
مَعْمُودَةٌ إِنْ لَمْ تَكُنْ فَكَأَنَّ قَدِ  
أَدْعُوكُمْ يَا قَوْمَ دَعْوَةٍ مَقْصِدِ  
عَقْلِي فَرَدُّوهُ عَلَيَّ لِأَهْتَدِي  
حَتَّى تَرُدَّ إِلَيَّ نَفْسِي أَوْ تَدِي

بل يا أبا السيفِ الطويلِ نِجَادُهُ  
هذي لِحَاظِ الغَيْدِ بَيْنِ شِعَابِكُمْ  
من كلِّ نَاعِمَةِ الصَّبَا بَدْوِيَّةٍ  
يَخْفِضُنَّ من أَبْصَارِهِنَّ تَحْتَلُّا  
فَإِذَا أَصْبَنَ أَخَا الشَّبَابِ سَلْبَنُهُ  
وَإِذَا لَمَحَنَ أَخَا المَشْيِبِ قَلْبِنُهُ

وله:

فيا سعدُ حَدَّثَنِي بِأَخْبَارِ مَنْ مَضَى  
لعلَّ حَدِيثَ الشُّوقِ يُطْفِئُ لَوْعَةَ  
هو النَّارُ فِي الأَحْشَاءِ لَكِنْ لَوَقَعِهَا  
لَعَمْرُ المِغَانِي وَهِيَ عِنْدِي عَزِيزَةٌ  
لَكَانَتْ وَمَا فِيهَا تُرَى عَيْنٌ نَاطِرٍ  
وَقَفْنَا فَسَلَّمْنَا فَرَدَّتْ بِالسُّنِّ  
فيا قَلْبُ صَبْرًا إِنْ أَضْرَبَكَ النَّوَى  
فقد يُشْعَبُ الإِلْفَانِ أَدْنَاهُمَا الهَوَى  
على هذِهِ تَجْرِي اللَّيَالِي بِحُكْمِهَا

ولآخر:

لسهمِ الحُبِّ جُرْحٌ فِي فُؤَادِي  
فلو سَقَطَ الرَّقِيبُ مِنَ الثَّرِيَا  
وذاك الجُرْحُ مِنْ عَيْنِ الرَّقِيبِ  
لَصَبَّ عَلَى مُحِبٍّ أَوْ حَبِيبِ

ولآخر:

أحِبُّ العَدُولَ لِتَكَرُّرِهِ  
وأهوى الرَّقِيبَ لِأَنَّ الرَّقِيبَ  
حَدِيثَ الحَبِيبِ عَلَى مَسْمَعِي  
يَكُونُ إِذَا كَانَ حُبِّي مَعِي

وقيل لبعض العرب: ما أمتع لذات الدنيا؟ قال: مُمَارَحَةُ الحَبِيبِ، وَغَيْبَةُ الرَّقِيبِ.

وقال عُروَةُ بن أُدِينَةَ اللَّيْثِي:

إِنَّ التِّي زَعَمْتَ فَوَإُذْكَ مَلَّهَا  
فَإِذَا وَجَدْتَ لَهَا وَسَاوِسَ سَلْوَةَ  
بِيضَاءَ بَاكَرْهَا النَّعِيمِ فِصَاغِهَا  
لَمَا عَرَضْتُ مُسَلِّمًا لِي حَاجَةً  
مَنْعَتْ تَحِيَّتَهَا فَقُلْتُ لِصَاحِبِي:  
فَدَنَا وَقَالَ: لَعَلَّهَا مَعْذُورَةٌ

خُلِقَتْ هَوَاكُ كَمَا خُلِقَتْ هَوَى لَهَا  
شَفَعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْفَوَادِ فَسَلَّهَا  
بِلِيَاقَةٍ فَأَدَقَّهَا وَأَجَلَّهَا  
أَخْشَى صَعُوبَتَهَا وَأَرْجُو حَلَّهَا  
مَا كَانَ أَكْثَرَهَا لَنَا وَأَقَلَّهَا  
فِي بَعْضِ رَقَبَتِهَا فَقُلْتُ: لَعَلَّهَا

فقال أبو السائب المخزومي: هذا والله الدائمُ الصبابةِ الصادق، لا كالذي قال:

إِنْ كَانَ أَهْلُكَ يَمْنَعُونَكَ رَغْبَةً  
عَنِي فَأَهْلِي بِي أَضْنُ وَأَرْغَبُ

ولأسعد أفندي داغر:

مَا مَالِ طَرْفِي صَوَّبَ دَارَ سَعَادِ  
دَارٌ إِذَا مَا دَارَ زَكَرَ حَدِيثِهَا  
دَارٌ تَمَنَّعَتِ الظُّبَاءَ بِهَا وَقَدْ  
رَبَّعُ يَجْرُ بِهَ الْجَمَالُ ذِيوَلَهُ  
مِنْ كُلِّ وَاضِحَةِ الْجَبِينِ جَمَالِهَا  
يَا حَادِي الْأَطْعَانَ يَخِيطُ فِي السُّرَى  
يَهْدِيكَ نَفْحَ الطَّيِّبِ مِنْ فِتْيَاتِهِ  
وَإِذَا الشُّعُورُ عَلَيْكَ أَطْبَقَتِ الدُّجَى  
فَأَنْخِ بِنَادِيهِ نِيَّاقَ تَشْوُوقِي  
قُلْ عَيْنُهُ تَجْرِي الْحَيَا وَفَوَادُهُ  
صَبُّ حَلِيفٍ ضَنْى عَمِيدُ صَبَابِيَةٍ

إِلَّا وَدَمْعِي سَالَ صَوَّبَ عَهَادِ  
عِنْدِي يُذَكِّرُنِي قَدِيمَ وَدَادِي  
عَزَّتْ بِشَوْكَةِ دَوْلَةِ الْأَسَادِ  
وَالْمَجْدُ يَرْفَعُهُ بِلَا إِسْنَادِ  
أَوْصَافِهِ جَلَّتْ عَنِ التَّعْدَادِ  
عَرَّجَ عَلَى ذَاكَ الْحَمَا يَا حَادِي  
وَبَوَارِقُ الْفِتْيَانِ أَعْظَمُ هَادِ  
فَمِنْ النُّحُورِ تَرَى صَبَاحَكَ بَادِ  
وَاقْرَأِ السَّلَامَ عَرِيبَ ذَاكَ النَّادِي  
ظَمِيئُ إِلَى مَاءِ التَّدَانِي صَادِ  
نَاءِ شَهِيدٍ قَلَى قَتِيلٍ بَعَادِ

وقال بعضهم في الرقيب:

قَالَ لِي عُودِي عَدَاةَ رَأُونِي  
قُلْتُ: مَقَلَى بِهِ لِسَانٌ وَشَاةٌ  
وَأَضَافُوا إِلَيْهِ كَيْدَ حَسُودِ

مَا الَّذِي تَشْتَهِيهِ وَاجْتَهَدُوا بِي  
قَطَعُوهُ فِيهِ بِصُنْعِ عَجِيبِ  
فُقِنْتُ فَوْقَهَا عَيُونُ رَقِيبِ

ولابن رَشِيق:

وظبي من بني الكُتَّاب يَسْبِي  
رَفَعْتُ إِلَيْهِ أَسْتَقْصِي رِضَاهُ  
فَوَقَّعَ قَدَ رَدَدْتُ فَوَّادَ هَذَا  
قُلُوبَ الْعَاشِقِينَ بِمُقْلَتَيْهِ  
وَأَسْأَلُهُ خَلَاصًا مِنْ يَدَيْهِ  
مُسَامِحَةً فَلَا يُعَدِّي عَلَيْهِ

ولابن تميمٍ في عَوَادَة:

وفتاةٍ قد راضت العودَ حتى  
خَافَ مِنْ عَرِكِ أذُنِهِ فَعَصَاهَا  
فلهذا كما تقول يقول  
رَاحَ بَعْدَ الْجِمَاحِ وَهُوَ ذَلِيلُ

وقال ابن قاضي ميلة:

جاءت بعودٍ يُناغيها ويُسعدها  
غَنَّتْ عَلَى عَوْدِهِ الْأَطْيَارُ مُفْصِحَةً  
فَلا يَزَالُ عَلَيْهِ أَوْ بِهِ طَرِبُ  
فَانظُرْ بَدَائِعَ مَا خُصَّتْ بِهِ الشَّجَرُ  
غَضًّا فَلَمَّا ذَوَى غَنَّتْ بِهِ الْبَشَرُ  
يَهِيجُهُ الْأَعْجَمَانِ الطَّيْرُ وَالْوَتْرُ

ولابن الحجاج من أبيات:

هذا ومُحْسِنَةٌ بِالْعَوْدِ عَاشِقُهَا  
إِذَا انْتَنَتْ وَتَغَنَّتْ خِلَّتْ قَامَتُهَا  
بِذَلِكَ الطَّيْبِ فِي الْإِحْسَانِ مَسْرُورُ  
غَضْنَا عَلَيْهِ قُبَيْلَ الصَّحْبِ شُحْرُورُ

ولآخر:

وجاريةٍ إِذَا غَنَّتْكَ صَوْتًا  
كَأَنَّ يَسَارَهَا فِي الْعَوْدِ بَرَقُ  
فَمَا لَكَ مِنْ فِرَاقِ الْحَلْمِ بُدُ  
وَيُؤْمِنُهَا إِذَا ضَرَبَتْهُ رَعْدُ

وقال أبو الفتح كشاجم:

لو لم تُحَرِّكْهُ أَنَامِلُهَا  
جَسَّتْهُ عَالِمَةٌ بِحَالَتِهِ  
وَحَسِبْتُ يُؤْمِنُهَا تُحَرِّكُهَا  
غَنَّتْ فَخِلَّتْ أَظُنُّنِي طَرِبًا  
كَانَ الْهَوَاءُ يُفِيدُهُ نَطَقًا  
جَسَّ الطَّبِيبِ لِمَدِنِ عَرَقًا  
رَعْدًا وَخِلَّتْ يَسَارَهَا بَرَقًا  
أَسْعَى إِلَى الْأَفْلاكِ أَوْ أَرْقَى

ولآخر:

أشارت بأطرافٍ لطافٍ كأنَّها      أنابيبُ دُرٌّ قُمَّعَتِ بِعَقِيْقِ  
ودارت على الأوتارِ جَسًّا كأنَّها      بَنانُ طَبِيبٍ فِي مَجَسِّ عُرُوقِ

وحدَّث دِعْبِلُ الشاعِرُ أَنه اجتمعَ هو ومسلمٌ وأبو الشَّيْصِ وأبو نُوَاسٍ فِي مَجْلِسِ،  
فقال لهم أبو نُوَاسٍ: إن مَجْلِسَنَا هذا قد أَشْهَرَ باجتماعِنا فِيه، ولهذا اليوم ما بعده، فليأتِ  
كُلُّ واحدٍ منكم بأحسنِ ما قال فليُنشِدهُ، فأنشده أبو الشَّيْصِ:

وقَفَ الهوى بي حيثُ أنتِ فليس لي      متأخَّرٌ عنه ولا مُتقدِّمٌ  
أجدُ الملامَةَ فِي هَوَاكِ لذِيذَةً      حَبًّا لِذِكْرِكِ فليَلْمَنِي اللُّومُ  
وأهنتني فأهنتُ نفسي صاغِرًا      ما مَنْ يهون عليكِ مِمَّنْ يُكْرَمُ  
أشبهتِ أعدائي فصرتُ أحبُّهم      إذ كان حظِّي منكِ حظِّي مِنْهُمْ

قال: فجعل أبو نُوَاسٍ يَعجَبُ من حُسْنِ الشعرِ حتى ما كاد يَنْقضي عَجْبُهُ، ثم أنشد  
مسلمٌ أبياتًا من شعره يقول فِيه:

فأقسِمُ أنسى الداعياتِ إلى الصِّبا      يمينًا وقد فاجأتُ والسِّتْرُ واقعٌ  
فغطتُ بأيديها ثَمَارَ نُحُورِها      كأيدي الأَسارى أَنقلتها الجوامعُ

قال دِعْبِلُ: فقال لي أبو نُوَاسٍ: هاتِ أبا علي، وكأني بك قد جئتنا بأُمَّ القِلادةِ!  
فأنشدته:

أين الشبابُ وأيَّةُ سَلْكا؟      أم أين يُطَلَبُ ضلٌّ أم هَلْكا؟  
لا تَعْجَبِي يا سَلْمُ من رَجُلٍ      ضحك المشيبُ برأسه فَبكى  
يا ليت شعري كيف صبرُكما      يا صاحبي إِذا دمي سُفِكا  
لا تَطْلُبَا بظلامتي أحداً      قلبي وطرفي في دمي اشتراكا

وللنور الأسودِي فِي جنكِيه:

لبنَتِ شعبانَ جَنكٍ حينَ تَنطِقُه      يغدو بأصنافِ ألحانِ الورى هازي  
لا عَرَوْا إن صادَ ألبابَ الرِّجالِ لها      أما تراه يُحاكي مِخْلَبَ البازي؟

ولي في مَغْنٍ اسمه فواز:

خَفَّفَ فديتِكَ ضَرْبَ عودِكَ إذ أرى      قلبي عليه يرفُّ شبهَ البازي  
قد فزتِ في ملكِ القلوبِ فأنصفوا      إذ لقبوك اليومَ بالفَوْازِ

ولآخر:

كأن فؤادي وطرفي معًا      هما طرفا غصنٍ أخضرٍ  
إذا اشتعلَ الماءُ في جانبٍ      جرى الماءُ في الجانبِ الآخرِ

ولإبراهيم أفندي الحوراني مما كتبه على رسم:

رسمٌ يُشخِّصُني لمُقلِّةٍ من به      ولهي ورُوحِي في حِمَاهِ تَقِيمُ  
يعقوبُ أشواقٍ إليه مُهجتي      وأنا بدينِ الحبِّ إبراهيمُ

وله أيضًا في مثل ذلك:

يا مَعَشَرَ الصَّحْبِ ذَا رَسْمٍ يُذَكِّرُكُمْ      مُوَلِّهًا فِي هَوَاكُم دَائِمًا أَبَدًا  
أودعتُ رُوحِي لَدَيْكُمْ والجِسْمَ بلا الـ      أرواحِ تَفْنَى لَذا أَتَبَعْتُهَا الجِسْدَا

وللمرحوم عزتو سليم أفندي البستاني قوله:

الموتُ صَعْبٌ والصَّبَابَةُ أَصْعَبُ      والكلُّ من هجرِ الحبيبةِ أعذبُ  
والقلبُ يَطْلُبُ قُرْبَ مَنْ أَحْبَبْتُهَا      والموتُ من قُرْبِ الحبيبةِ أقربُ  
دُونَ الدِيَارِ مَنَاهِلٌ وَذَوَابِلُ      وصَوَاهِلُ وَكَتَائِبُ تَتَكَلَّبُ  
يا قَلْبُ صَبْرًا فِي المصائبِ فالفتى      مَنْ كان أَقْتَابَ المصائبِ يَرْكَبُ  
والصَّبُّ مَنْ يَلْقَى المَنُونَ وَفِكْرُهُ      نحوَ التي مَلَكَتْ حَشاهُ يَذْهَبُ  
يا ظَبْيِيَّةَ نَفْتِ الرُّقَادِ وَغادرتِ      قلبي المَعْنَى فِي اللُّطَى يَتَقَلَّبُ  
إِنْ كان طَرْفِي لا يَراكَ فإِنني      أَصبو إلى مَرَأَى حِمَاكِ وَأرْعَبُ

وله:

إِنَّمَا أَخْشَى سَوَادَ اللَّعَسِ      إِنِّنِي لَا أَخْتَشِي بِيضَ الظُّبَى  
وَعَذَابِي لَحَظَ عَيْنِ غُنْجُبِهَا      وَعَذَابِي لَحَظَ عَيْنِ غُنْجُبِهَا  
الْتَقَى الْأَبْطَالَ كَالْمَفْتَرِسِ      الْتَقَى لَيْلَى ذَلِيلًا وَأَنَا

وله:

بِيَاضِ الضَّحَى — إِنْ غَابَ وَجْهُكَ — أَسْوَدُ  
وَإِنْ تُسْفِرِي فَالَلَيْلُ أْبِيضُ يَسْطَعُ  
وَأَنْتِ حَيَاتِي وَالفِرَاقُ أَعْدُهُ  
مَمَاتِي فَمِنْكَ العَيْشُ وَالموتُ يَتَبَعُ

وللمعلم بطرس كرامة من قصيدة بعث بها من مصر إلى الأمير أمين ابن الأمير بشير

الشهابي:

مِنْ سَفْحِ لُبْنَانَ أَمْ مِنْ ذَيْلِ لُبْنَانَ  
كَيْفَ الْمَنَازِلُ هَلْ مِنْ بَعْدِنَا ابْتَسَمَتْ  
وَهَلْ كَعَهْدِي عَلَى الْأَفْنَانِ صَادِحَةٌ  
حُيِّيتَ لُبْنَانُ مِنْ طَوْدٍ يُبَاكِرُهُ  
حَكَى الْجِنَانَ بِأَنْهَارٍ مَدْفَقَةٍ  
دَارَتْ بِهِ جَارِيَاتُ الْمَاءِ سَاقِيَةٌ  
تَحْمِي جُفُونَ الظُّبَا أَحْيَاؤُهُ وَتَرَى  
تَشَبُّ نَارَ قِرَى مِنْهُ وَنَارَ جَوَى  
تَقَاسَمَ الْفَتَكَ أَهْلُوهُ فَأَصْبَحَ فِي  
حَكَّتْ قَدُودُ غَوَانِيهِ مَرْنَحَةٌ  
أُمْسِي وَأَصْبَحَ ذَا وَجْدٍ يُوَاصِلُنِي  
لَمْ أَنْسَ يَا صَاحِ أَيَّامًا بِهِ سَلَفَتْ  
مَضَتْ وَأَبَقَتْ لَنَا فِي الْقَلْبِ بَاقِيَةٌ  
بِاللَّهِ يَا مَشْرِقَ الْأَقْمَارِ هَلْ نَبَأُ

يَا نَسْمَةً هَيَّجَتْ شَوْقِي وَأَشْجَانِي  
تُغَوِّرُهَا الْبِيضُ عَنْ دَرٍّ وَمَرْجَانِ؟  
وَرُقُّ الرِّيَاضِ بِتَغْرِيدِ وَأَلْحَانِ؟  
وَدُقُّ الْغَمَامِ بِهَطَّالٍ وَهَتَّانِ  
شَهْدًا تَفِيضُ لَدَى حَوْرٍ وَوِلْدَانِ  
مِثْلَ السَّوَاقِي تَجَارَتْ بَيْنَ لُبْنَانَ  
ظُبَاءَهُ تَقْتُلُ الْأَحْيَا بِأَجْفَانِ  
بَيْنَ الْمَرَابِعِ مِنْ أَسَدٍ وَغَزْلَانِ  
لِحَاظِ غَيْدٍ وَفِي أَسْيَافٍ فِتْيَانِ  
رِمَاحِ فُرْسَانِهِ يَا خَجَلَةَ الْبَانِ  
مِنْهُ فَيَهْجُرُنِي صَبْرِي وَسَلْوَانِي  
قَضِيَّتْهَا بَيْنَ أَحْبَابٍ وَخِلَّانِ  
تَبَثُّ بَيْنَ الْحَشَا أَنْفَاسَ نِيرَانِ  
عَنْ سَاكِنِ الْغَرْبِ يَشْفِي قَلْبَ وَأَلْهَانَ؟

غصنٌ من البان يعلو فوقه قمرٌ  
أجفانه سكرت من خمر ريقته  
بمُهجتي أفتدي بدرًا يُشاكله  
مُكحلَّ الطُرف من سحرٍ ومن حورٍ  
بذمة الله ذات الخال إن لها  
دهنانه لا يزال التيه يصحبها  
يا أسم لا تجزعي إن بات يُبعدي  
سقى زمانك يا أسماء صوب حيا  
عصرُ سعدنا به وقتًا كما سعدت

ظبيُّ بلُبنانَ لا ظبيُّ بعُسفانِ  
فغازلُتنا بفتاكِ وقتانِ  
مُهفهُقا مثلما أهواه يهواني  
مُضرجُ الخدِّ من وردٍ ورِيحانِ  
عهدًا يدوم لدى وصلٍ وهجرانِ  
لحاظُها وسيوفُ الهندِ مثلانِ  
عنك الزمانُ فإن الشوقُ أدناني  
فإنه كان عندي خيرَ أزمانِ  
أم العلى بأمينٍ ما له ثاني

وللمرحوم أديب بك إسحاق في مقدمة روايته المعروفة بـ«الباريسية الحسناء»:

حَسِبَ الْمِرْأَةَ قَوْمٌ آفَةٌ  
وَرَأَاهَا غَيْرُهُمْ أُمْنِيَّةً  
فَتَمَنَّى مَعْشَرٌ لَوْ نُبِذَتْ  
وَتَمَنَى غَيْرُهُمْ لَوْ جُعِلَتْ  
وَصَوَابُ الْقَوْلِ لَا يَجْهَلُهُ  
إِنَّمَا الْمِرْأَةُ مِرْأَةٌ بِهَا  
فَهِيَ شَيْطَانٌ إِذَا أَفْسَدَتْهَا

مَنْ يُدَانِيهَا مِنَ النَّاسِ هَلْكَ  
فَازَ بِالنُّعْمَةِ فِيهَا مَنْ مَلَكَ  
وِظْلَامُ اللَّيْلِ مَشْتَدُّ الْحَلْكَ  
فِي جَبِينِ اللَّيْثِ أَوْ قَلْبِ الْفَلْكَ  
حَاكِمٌ فِي مَسْلكِ الْحَقِّ سَلْكَ  
كُلُّ مَا تَنْظُرُهُ مِنْكَ وَلَكَ  
وَإِذَا أَصْلَحَتْهَا فَهِيَ مَلِكٌ

وله رحمه الله في رسامة:

رَسَامَةٌ قَدْ جَرَى تَوْقِيعُ حَاجِبِهَا  
تَحَكَّمَتْ فِي قُلُوبِ الْعَاشِقِينَ كَمَا  
كَرِيمَةٌ غَيْرَ أَنْ الْبُخْلَ عَادَتْهَا  
وَأَفَتْ لِتَرْسَمِ أَزْهَارَ الرِّيَاضِ ضَحَى  
وَاسْتَقْبَلَتْ أَقْحَوَانَ الرُّوضِ فَابْتَسَمَتْ  
فَقُلْ لَوَاصِفِهَا: مَا أَنْتِ مُنْصِيفُهَا  
مَا الْبَدْرُ إِنْ سَفَرَتْ مَا الْغُصْنُ إِنْ خَطَرَتْ

بِظُلْمِ أَهْلِ الْهَوَى وَالْأَمْرِ مَا رَسَمَتْ  
شَاءَ الْجَمَالَ وَلَمْ تَعْدِلْ بِمَا حَكَمَتْ  
يَا حُسْنَ بَاخِلَةٍ فِي الْحُسْنِ قَدْ كَرُمَتْ  
فَكَانَ فِي خَدِّهَا بَعْضُ الَّذِي رَسَمَتْ  
عَنْ مِثْلِ مَا صَوَّرَتْ مِنْهُ وَمَا عَلِمَتْ  
فَقَدْ عَلَتْ عَنْ مَعَانِي وَصِفِهَا وَسَمَتْ  
مَا الظَّبْيُ إِنْ نَفَرَتْ مَا الدَّرُّ إِنْ بَسَمَتْ

وللبهاء زهير من قصيدة يرثي بها بعض من يعز عليه، وإنما نشرتها في مقام الغزل لما فيها من المعاني البديعة، ولما أنها في رثاء محبوب الشاعر:

نهاك من الغواية ما نهاكا  
بروحي من تذوب عليه روحي  
لقيت من الهوى وشقيت فيه  
فدع يا قلب من قد كنت فيه  
لقد بلغت به روحي التراقي  
حبيبي كيف حتى غبت عني  
أراك هجرتني هجرًا طويلًا  
عهدت لا تطيق الصبر عني  
فكيف تغيّرت تلك السجايا؟  
فلا والله ما حاولت غدرا  
وما فارقتني طوعًا ولكن  
فيا من غاب عني وهو روحي  
لقد حكمت بفرقتنا الليالي  
فليتك لو بقيت لضعف حالي  
يعز علي حين أدير عيني  
ولم أر في سواك ولا أراه  
ختمت على وداك في ضميري  
لقد عجلت عليك يد المنايا  
فوا أسفي لجسمك كيف يبلى  
وما لي أدعي أنني وفي  
تموت وما أموت عليك حزنا  
ويا خجلي إذا قالوا: محب  
أرى الباكين فيك معي كثيرا  
فيا قبر الحبيب وددت أني  
سقاك الغيث هتانا وإلا

وذقت من الصباية ما كفاكا  
وذق يا قلب ما صنعت يداكا  
وأنت تجيب كل هوى دعاكا  
ألست ترى حبيبك قد جفاكا  
وقد نظرت به عيني الهلاكا  
أتعرف أن لي أحدا سواكا؟  
وما عودتني من قبل ذاك  
وتعصي في وداي من نهاكا  
ومن هذا الذي عني ثناكا؟  
فكل الناس يغدر ما خلاكا  
دهاك من المنية ما دهاكا  
وكيف أطيق من روحي انفكاكا؟  
ولم يك عن رضاي ولا رضاكا  
وكان الناس كلهم فداكا  
أفتش في مكانك لا أراكا  
شمائك الملاح ولا خلاكا  
وليس يزال مختوما هناكا  
وما استوفيت حظك من صباكا  
ويذهب بعد بهجته سناكا؟  
ولست مشاركا لك في بلاكا  
وحق هواك خنتك في هواكا  
ولم أنفعك في خطب أتاكا  
وليس كمن بكى من قد تباكى  
حملت ولو على عيني تراكا  
فحسبك من دموعي ما سقاكا

وللطائي:

تُعطيك مَنْطِقَهَا فَتَعْلَمُ أَنَّهُ      لَجْنَى عُدُوبَتِهِ يَمُرُّ بِتَغْرِهَا  
وأظنُّ حبلَ وِصالِها لمحَبَّها      أوهى وأضعفُ قوَّةً من خصرِها

وله:

بَسَطْتَ إِلَيْكَ بِنَانَةً أُسْرِعَا      نصفُ الفراقِ ومُقلَّةٌ يَنْبوعَا  
كَادَتْ لِعِرْفَانِ النَّوَى أَلْفَاظُهَا      من رِقَّةِ الشُّكُوى تَكُونُ دموعَا

ولما مات عمر بن أبي ربيعة نُعيَ لامرأته من مولدات مكة، وكانت بالشام، فبكت وقالت: مَنْ لأَبَاطِحِ مَكَّةَ يَمْدَحُ نِسَاءَهَا وَيَصِفُ مَحَاسِنَهُنَّ وَيَبْكِي ظَائِعِنَهُنَّ! فقليل لها: قد نشأ فتى عن ولد عثمان بن عفان على طريقتة، فقالت: أنشدوني له، فأنشدوها:

وقد أرسلت في السرِّ ليلي بأن أقم      ولا تقربننا فالتحُبُّ أجملُ  
لعلَّ العيونَ الرامقاتِ لوصلنا      تُكذِّبُ عنا أو تنام فتغفلُ  
أناسٌ أمناهم فبئثوا حديثنا      فلما كتمنا السرَّ عنهم تقولوا  
فما حفظوا العهد الذي كان بيننا      ولا حين هموا بالقطيعة أجملوا

فتسلت وقالت: هذا أجلُّ عوضٍ وأفضلُ خَلْفٍ، فالحمد لله الذي خَلَفَ على حرمه وأمته مثل هذا.

ولللرصاصي قوله وقد رأى غلاماً يتباكى ويأخذ من ريقه ويضع على عينيه مكان

الدموع:

عَذِيرِي مِنْ جَدْلَانَ يُبْدِي كَابَةً      وأضلُّعه مما يُحاوله صِفْرُ  
أُمَيْلِدُ مَيَّاسٍ إِذَا قَادَهُ الصَّبِي      إِلَى مَلْحِ الإِدْلَالِ أَيْدِهِ السُّمْرُ  
يَبْلُ مَاقِي زَهْرَتِيهِ بِرَيْقِهِ      وَيَحْكِي البُكَاءَ عَمْدًا كَمَا ابْتَسَمَ الزَهْرُ  
ويوهم أن الدمع بل جفونه      وهل عُصِرَتْ يَوْمًا مِنَ النَّرْجِسِ الخُمْرُ؟

وللشيخ خليل اليازجي من قصيدة:

وأشدُّ نفعاً للمحبِّ أضرُّه  
يحلُّو لذوقِ محبِّه فيسرُّه؟  
وكأنما زهرُ الثريا تُغرُّه  
عيدُ فعيْدِ النحرِ يُمسي نحرُّه  
طرْفُ كسيرٍ ليس يُجبرُ كسرُّه  
يردِّي القتيلَ به ويهلكُ ثأرُه  
لكنْ على وجناته مُحمرَّةٌ  
فالكلُّ جمرٌ قد تأججَ حرُّه  
وعقودِ دمعي في هواه ونحرُّه  
وبجندِ هاتيك اللواحي نصرُّه  
فتحاً قريباً ليس يدركُ سرُّه  
ظبياته قد ذابَ وجداً صخرُّه

أحلى الهوى للعاشقين أمرُّه  
أوما ترى غنجَ الحبيبِ ودلُّه  
أفدي غزالاً كالغزالة وجهُه  
قتلُ المحبِّ لديه في أشجانه  
ما إن نظرتُ إليه إلا صابني  
ما بين جفنيهِ مجالٌ للهوى  
أوما ترى الدمَ سائلاً من مُقلتي  
لله وجنته وقلبي والهوى  
ونحيلُ جسمي في الغرامِ وعطفُه  
ملكُ الجمالِ سطا على ملكِ الهوى  
نصرٌ من الله العزيز بفتحها  
لا درُّ درُّ هوى لدى الخنساءِ من

وله:

أرى منهما جيشاً تلاه رديفه  
وأرماحه مسنونةٌ وسيوفُه  
عليّ ومرتٌ في فؤادي صفوفُه  
أليفَ الذي قد بان عنه أليفُه  
إذا ألفَ الإنسان فهو حليفُه  
عليه قويُّ الحب حتى ضعيفُه  
هوى فنسيّاتِ الرياض تخيفُه

تليدُ الهوى في مهجتي وطريفُه  
مواقعه شعواء في كلِّ غارةٍ  
بأيدي صفوفٍ من عساكره سَطَّتْ  
وإنَّ الهوى ما زال لا درُّ درُّه  
أليفٌ يُراعي في الولا حقَّ إلفِه  
ألا في زمامِ الله صبِّ لقد سطا  
فصار إذا هبَّ الهواء يظنُّه

وله:

غداة اللقا والليل أكتمُ للسرِّ  
فشا سرُّنا مما تألق في الثغرِ

مخافةٍ وإش أسبَلتْ غاسقَ الشَّعرِ  
ولكنَّها لما دنت فتبسَّمتْ

بَكَتْ حِينَ جَدَّ الْبَيْنُ دَمْعًا سَقَتْ بِهِ  
ولكنني لما بكيتُ على النوى  
موردة الخدين من نارِ حُسْنِهَا  
إذا شَبَّ جَمْرُ الخدِّ زاد نضارَةً

وله:

يا قلبُ ما للصبرِ فيك مقامُ  
تلك العيونُ منوننا فكأنما  
ولربما نام الزمانُ هنيهَةً  
وإذا توهَّمتِ امرءًا لتُصيبَهُ  
وإذا رأت في النومِ طيفَ خياله  
الله أكبر ما ظلامُ سوادِها  
وسُطورِ ذِيكَ العذارِ فإنما  
شرعُ ظلومٍ غيرَ أنْ ملوكُهُ  
هي كالطلامِ ليس يُقرأ خطُّها

وله:

لو كان يحدو بشجوي سائقُ الإبلِ  
ولو درى العيسُ ما بي قبل أن رحلتُ  
أستودعُ الله قلبًا تحت أرجلِها  
لئن يكن ظمأها عشرًا لقد تركتُ  
وردي الذي أشتهيه عندهنُّ كما  
لئن شكوتُ من الرَّمضاءِ محرقةً  
وقد شكوتُ من الدمعِ السَّخينِ على  
أو كنتِ تشكين من حرِّ السَّمومِ فلي  
تمشين في فلواتِ البِيدِ مُثقلَةً  
الله أكبر قد حُمِلتِ أنفُسنا

لرقَّ من أسفِ قلبِ الركائبِ لي  
توقفت رحمةً لي دون مُرتحلِ  
ومهجةً علقت منهنَّ بالكلِّ  
في طيِّ قلبي غليلاً لا إلى أجلِ  
عندي الذي تشتهي من دمعي الهطلِ  
ففي القُفولِ غداً تشكين من بللِ  
خدِّي فهل أنا شاكٍ مدمعِ الجدْلِ؟  
نظيرها زفاراتُ القلبِ في الشغلِ  
وإنني من حَمولِ الشوقِ في ثقلِ  
لكن بشكلِ ذواتِ الأعينِ النجلِ

ضمن الهودج والرايات قد خفقت  
كأنها بلسان الحال هاتفة  
حمراء ترهب منها مَهجةُ البطلِ  
حذارِ هذي بما عَشَقنا الأوَّلِ

وقال يحيى بن إبراهيم حفاف:

إنني بعدَ بُعْدِكُم قد سُقِيتُ  
لم يَزَلْ بي سَاقِي التَّسْلِي يُسَاقِي  
وَعَدًا يُصْبِحُ الفَوَادُ وَيُمْسِي  
وَكأني على الصَّبَابَةِ والتَّجَبُّ  
وَكأني على مِفَارِقَةِ الرُّو  
نُزِعَ الحَبُّ من فَوَادِي فُسَبِحَا  
وصحَا القَلْبُ من هَوَاكُم فلم يَحْ  
حُبُّ تَلِكِ الثَّغُورِ عَنِّي تَوَلَّى  
أَبْلَغُوا الأَعْيُنَ المِرَاضِ اللُّوَاتِي  
وَآخِرُوا تَلِكُمُ الحُضُورَ جَمِيعًا  
قَسَمًا بِالوَفَاءِ والعَهْدِ والمِي  
يَشْهَدُ البَرَقُ والتَّسِيمُ وذَاتُ الط  
لَا أَحْيِيكُم مَعَ الكَلِّ من هـ  
طالَمَا قد أُمِرْتُ فَيَكُم بِسِيفِ  
فَانقَصُوا مِن جَمَالِكُم أَوْ فزِيدُوا  
وَطِنْتَنِي النِّعْمَاءُ إِنْ أَنَا يَوْمًا  
مَا الحِصَى لَوْلَا بِحِيثُ حَلَلْتُم  
لَسْتُ أَدْرِي وقد رَمِيتُ بِسَهْمِ  
لَيْتَ شِعْرِي مَا لِي غَدَاةُ التَّقِينَا  
لَمْ أَكُنْ قد دُهِيتُ بَعْدُ وَلَكِنْ  
كَمْ وَكَمْ قد جَنَيْتُ زَهْرَ التَّلَاقِي  
قد تَرَكْتُ الهَوَى وَعُدْتُ كَأَنِّي  
يَا خَلِيلِي خَبْرَانِي بِصَدَقِ

من مُدَامِ السُّلُوكِ حَتَّى رَوَيْتُ  
نِي كُنُوسًا مِن بَعْدِهَا مَا صَحِيتُ  
خَالِيًا مِن هَوَاكُم وَيَبَيْتُ  
رِيحِ والشُّوقِ والهَوَى مَا رُبِيتُ  
حَ لَجَسَمِي لَوْلَا النُّوَى مَا حَشِيتُ  
نَ إِلَهِي يُحْيِي الهَوَى وَيُمِيتُ  
لُ لِعَيْنِي عَيْنٌ وَحَدٌّ وَلَيْتُ  
مَا كَأَنِّي يَوْمًا عَلَيْهَا وَلَيْتُ  
كَنَّ أَمْرَضَنِي بِأَنِّي شَفِيتُ  
أَنَّنِي بِالسُّلُوكِ عَنْهَا رَضِيتُ  
ثَاقٍ لَا ضَمَنِي وَأَنْتُمْ مَبِيتُ  
فَوَقِ أَنِّي مِنَ التَّصَابِي بَرِيتُ  
ذَا وَمَنَا وَهَذِهِ مَا حَايِيتُ  
سَلَّهُ البَرَقُ مَوْهِنًا وَنَهَيْتُ  
لَسْتُ أَلِي عَلَيْكُم مَا بَقِيتُ  
فِي مَغَانِيكُم زَمَانِي رَوَيْتُ  
لَا وَلَا التَّرَبُّ فِيهِ مِسْكٌ قَتَيْتُ  
مِن سَهَامِ العَيُونِ كَيْفَ رُمِيتُ  
فِي زُرُودِ لَبَّيْتُ حِينَ دُعِيتُ  
مِن عَيُونِي وَقَتَ التَّلَاقِي دُهِيتُ  
طَيِّبَاتٍ فِي الحَيِّ فِي كَيْفِ شَيْتُ؟  
مِن سُلُوكِي مَا كَانَ مَا قد هَوَيْتُ  
كَيْفَ طَعْمُ الهَوَى فَإِنِّي نَسِيتُ

وقال إلياس أفندي صالح كنعان في لغوية:

قد أَتَّنتِي يوماً تُسائلُ معنَى  
لفظةٍ أشكَّلتُ على كلِّ فطنٍ  
قلتُ: إني كما تَرَيْنَ عليلٌ  
وبذاك الصَّحاحُ أخبرُ مني

وله في شَمَّاس:

قل لنا يا شَمَّاس تَفديكِ رُوحِي  
كيف يَرْضَى المولى بهذي الذبائِحُ؟  
وأخبراني بالله يا وَجنتِيهِ  
كيف يُجْزَى بالنار مَنْ هو صالحُ؟

وله في مُحَنَّى:

لستُ أنسى حينما جاءني  
بخدودٍ موقِداً نارَها  
وَيَنانٍ لم يقللَ لونَها  
من دمي بل ودَّ إنكارَها  
أَحلالُ ذاك يا سيدي  
تُنكرُ الحنَّ وأثارَها

وله مما يكتب على رسم:

ألا يا مَنْ أَحذتُم قَبَلَ قَلبِي  
ولم تَرثُوا لتعذِبي وحالي  
خذوا جسمي الذي أضحى خيالاً  
لأنني صرتُ أفزعُ من خيال

ولابنُ نباتة:

عهدتُ فؤادي مَلانَ مِن  
شُجوني ولا موضعُ لازديادٍ  
إلى أن تعشقتُ حُلُوَ اللَّمى  
وللحلوِ زاويةٌ في الفؤادِ

ولأبي حسن أفندي الكستي البيروتي في قَيْنة اسمها ليلي:

غناءً ليلي كَبنتِ الحانَ حيثُ بهِ  
تُحرِّكُ الصخرَ لو يُصغي وتُطربُه  
فالسمعُ يأخذه منها ويقراءُه  
للفكرِ وهو بلُوحِ القلبِ يكتبُه

ولي عند ورود رسالة:

فديتُك يا رسولُ وقد أتتني رسالةً من أحبُّ على يديكا  
ولولا أنَّ روعي في يديه لجدتُ وما بخلتُ بها عليك

ولبشار العقيلي:

أشبهك المسكُ وأشبهته قائمةً في لونه قاعدة  
لا شك إذ لونكما واحدٌ أنكما من طينةٍ واحدة

ولعبد الله بن جندب:

ألا يا عبادَ الله هذا أخوكمُ قتيلاً فهل منكم له اليومَ واترُ  
خذوا بدمي إن متُّ كلَّ خريدةٍ مريضةٍ جفنِ العينِ والطرفِ ساهرُ

ولي من أبيات:

لعمري لما النومُ أصبح هاجري وسُهدي تولاني وقد جرت في أمري  
عذرت الكرى في الهجر منه لأنه أتاني فلم يلق سوى الذكر من أمري

وللمعلم بطرس كرامة قوله في نهر على جانبيه شجرتان مُتقابلتان: إحداهما قد  
تقنعت الأزهار في أكامها وتلاعب النسيم في قوامها ريانة الأغصان مَلَانة الأفنان، والثانية  
محمية القوام خالية من الأوراق مبسوفة الذراعين عليها أثر الاحتراق:

انظر إلى النهر كم أبدى لنا طرباً آن السرور كصافي مائه اندفقاً  
حكّت عوارضه صدغ الحبيب وقد دبّ العذار على خديه وافترقا  
قامت على جانبيه دوختا شجر تقابلا مثل معشوقٍ ومن عشقا  
كأن إحداهما ذات الجمال بدت وتلك عاشقها يشكو لها الحرقا

ذكرت في مقدمة كتابي هذا بعض ما يتعلق بالعفة، ووضعت عليه بعض ملاحظات  
اختصرت فيها تمام الاختصار، على أنه لا بأس في معرض الكلام الآن من العود إلى ذلك،

لا سيما وقد وقفتُ على بعض ما يتعلَّق بالموضوع من جميع أطرافه، فقلتُ: هي أمنيَّة من الأمانى، والكتاب وقفٌ على العفة، جارٍ في هذا السبيل، من ذلك أن جميلاً مرض بمصر مرضه الذي مات فيه، فدخل عليه العباس بن سهل فقال له جميلٌ: ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق؟ قال العباس: أظنه قد نجا، وأرجو له الجنة، فمَنْ هذا الرجل؟ قال: أنا، فقال له: ما أحسبك سلمت وأنت منذ عشرين سنةً تُشَبَّب ببُنيَّة، فقال: إني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا فلا نالتني الشفاعة يوم القيامة إن كنتُ وضعت يدي عليها لريبة قط، وما لبث بعد قوله هذا حتى توفِّي رحمه الله وأجزل ثوابه.

وليس بخافٍ أنَّ جميلاً عُذري، وأمر هذه القبيلة مشهورٌ معروف مشكور، وقال رجلٌ لعروة بن حزام العُدري: أصحيحٌ ما يقال عنكم أنكم أرقُّ الناس قلوباً؟ قال: نعم، والله لقد تركتُ ثلاثين شاباً في الحي قد خامرهم الموت ما لهم داءٌ إلا الحب. هؤلاء قوم حافظوا على مبادئ المحبة أيَّ محافظة، وقيل لأحدهم وقد طال عِشقه لجارية من قومه: ما أنت صانعٌ إن ظفرتَ بها لا يراكما إلا الله؟ قال: والله لا جعلته أهونَ الناظرين! لا أفعل بها خالياً إلا ما أفعله بحضرة أهلها؛ حين طويل، ولحظٌ من بعيد، وأترك ما يكره الربُّ ويُفسد الحب، وما تناقلَ الناسُ عنا إلا ما نمُّ به الواشي وحدثَ به الحسود، ووالله إنَّ بي إليها من الحياء ما يزرني عن سوى ذلك، ولها لَدَيَّ ولي لَدَيْها من الرتبة والوقار ما يرفعنا في خلوتنا عن التطرُّف، والله وكيلي في صدق قولي. قلت: وإن كل ما صدر عن خاطري الفاتر من الأبيات ليس إلا على هذا النمط؛ على حدِّ قولي من أبياتٍ في واقعة حال:

أنا في حُبِّك عُذريُّ	وقومي قومٌ عُذرة
فلنا في الحبِّ طهرٌ	ولكم في الحسنِ شهرة
رَبَّة الخالينِ حَسبي	منك يا زينبُ نظرة
بعدها إن كنتُ أقضي	فعلى خيرٍ مبررة

في البيت الأول إشارة إلى قول مَنْ قال حين سئل: من أي القوم هو؟ قال: من قومٍ إذا عَشقوا ماتوا، فقيل: لِمَ ذلك؟ قال: لأن في وجوه نساتنا صباحةً وفي فتياننا عفة.

وللغزالي:

وهان عليّ اللومُ في جنبِ حُبِّها      وقولُ الأعادي إنه لخليعُ  
أصمُّ إذا نُوديتُ باسمي وإنني      إذا قيل لي يا عبدها لسميعُ

ولنفظويه:

قلبي عليك أرقُّ من خديكا      وقوأي أوهى من قوى جفنيكا  
لم لا ترقُّ لمن يُعذب نفسه      ظلماً ويعطفه هواه عليكَا؟

وقال أبو الوليد ابن زيدون فيمن أصابه جُدري:

قال لي: اعتلَّ من هويتِ حسودٍ      قلتُ: أنت العليل، ويحك، لا هو  
ما الذي قد أنكرتِ من بئراتٍ      ضاعفتِ حسنهَ وزادتِ حلاه؟  
جِسمه في الصفاءِ والرقةِ الما      ءُ فلا عَرُو إن حُبابَ علاه

وقال الهيثم فيمن أصابه جرب:

قالوا: به جربٌ فقلتُ لهم: قفوا      تلك النُدوب مواقعُ الإبصارِ  
هو روضةٌ والقُدُ غصنٌ ناعمٌ      رأيتمُ غصناً بلا نورِ

وقال أبو بكر محمد بن عياض القرطبيُّ في مخضوبةِ الأنامل:

وعَلِقْتُهَا فتَانَةً أعطافُها      تُزري بغصنِ البانَةِ الميَّادِ  
مَنْ للغزَالَةِ والغزالِ بحُسنِها      في الخدِّ أو في العينِ أو في الهادِ  
خضبتِ أناملها السَّوادَ وقلمًا      أبصرتِ أقلماً بغيرِ سوادِ

وللنفيس القطرسي:

قل للحبيب أطلت صدكُ      وجعلت قتلي فيك وكذكُ  
إن شئت أن أسلو فرُدُّ      عليّ قلبي فهو عندكُ  
أخلفت حتى في زيا      رتنا بطيفٍ منك وعدكُ

وأنا عليك كما عهد  
أحرقت يا ثغر الحبيب  
وشهدت أني ظالم  
أتظن غصن البان يُع  
أويخدع التفاح أَل  
أم خلّت آس عذارك أَل  
لا والذي جعل الهوى  
يا قلب من لانت معا

ت وإن نقضت علي عهدك  
ب حشاي لما ذقت بردك  
لما طلبت إليك شهدك  
جبني وقد عاينت قدك  
حاضي وقد شاهدت خدك؟  
منشوق يحمي منك وردك  
مولاي حتى صرت عبدك  
طفه علينا ما أشدك

ولشهاب الدين بن النقيب في التصغير:

لييلات تمر مع الحبيب  
أحيلي من كرى في جفين  
عشقت ظبية بمقيلتها  
سقيمة اللحيظ لها جبين  
حوجبها قويس ذو نبيل  
خويد في وجينتها وريد  
رشيقة القديد إذا تبدت  
مليحة المنيطق من ثغير  
صبيحة الوجيه بها بهي  
لويئة العطيف إذا تثنت  
قويية القلب على حبيب  
صويمة الحشي في قلبي  
ثعابين تثنى من شعير  
إذا بريقع خطرت سحيرا  
لهيف نفيسي لو أسعفتني  
سطت بهجيرها فسبت فويدي  
وأضنت يا أصحابي جسيمي

بذياك الحمي بلا رقيب  
أشيهي للظمي من الشريب  
سويف أبرزته من القريب  
يهيم به البعيد والقريب  
به يسبي العويقل واللبيب  
يفوق على مبيسهما الشريب  
ممشيق قويمها القضيب  
مسيكي خميري الضريب  
يلوح على منيظرها العجيب  
تفوق على غصين نقي رطيب  
دويرته نات فهو الغريب  
لبعد منيزلي عنها لهيب  
يدب على كفيها الكتيب  
تخال شميسة تحت السحب  
يويمًا أن تميط لي النقيب  
فما لي في وصيلها نصيب  
فصرت عليًا وهي الطيب

وجارت بالصُّدِيدِ على ضَعِيفٍ  
وتنفر كالغُزِيلِ إذ تراني  
بَعثت مع النَّسِيمِ في سُحَيْرٍ  
تُبِيرِيحِ الجُويِّ بدا فَمِنَهُ  
كُتْمَتُ هُويِّها جهدي وإني  
وقد رَقَّتْ حُويِّشيتي فأهوى  
نظمت قصيدةً أضحَت نُجِيمًا  
ففاقت ما تقدمَ من نُظْمِ  
فلا تنظر إلى ما قال وانظر  
وقد طال البُعِيدُ مع الحُجِيبِ  
وتبخل بالسُّلِيمِ وبالكَتِيبِ  
رُسَيْلَةً فلم يأتِ الجُويِّبِ  
دُهَيْرِي قد تقضى في عُذِيبِ  
لأقنع بالوَعِيدِ والعتِيبِ  
نُظْمِها الغُزِيلِ والنَّسِيبِ  
ألِّفَاظُ لها تحكى الشَّهيبِ  
وأصبح ما سواها كالترِيبِ  
إلى ما قلت يا ذِيَّ الأريبِ

وفي التصغير أيضًا قول الشيخ تقي الدين بن حجة الحموي:

طُرِيفِي من لِييلاتِ الهُجِيرِ  
بُعِيدِ غزِيلِي وجُويرِ قلبي  
بُدَيُويُّ تَريكيُّ المحيَّا  
عُبَيْسيُّ اللُّحِيظُ له وُجِيهٌ  
حياءٌ مُقِيلَتِيه سبا عُقيلي  
رُويضٌ وُجِينَتِيه له عُندي  
مُسَيْبِلُ الشَّعِيرِ على كُفِيلِ  
بُدَيْرٌ في الظُّهَيْرِ له نُويِرٌ  
شُفِيقتَه قَفِيلٌ من عقيقِ  
عُذِيرَه العُويِزِلِ دارِ حتى  
لنَمْتُ حُدِيدَه فَجَرى دُمِيعِي  
دُنِينِيرُ الوُجِيه له بقلبي  
أتاه سُوَيْثَلًا يَوْمًا دُمِيعِي  
شُهَيْرٌ وُصِيلَه عُندي يُوَيْمٌ  
تَبَسَمَ لي سُحِيرًا عن رُويِضِ  
نَثَرْتُ دُمِيعَتِي بِنُظْمِ نَغْرِ

مُقِيرِيحُ الجفونِ من السُّهَيْرِ  
دُمِيعِي في وُجِينَاتِي جُويِرِي  
عُويِبٌ من عُوَيْشِقَه الحُضِيرِ  
ضُويُّ نُويِرَه لبني بُدِيرِ  
ولكنَّ الخُدِيدُ غدا جُمِيرِي  
نُسَيْبٌ في النُّظْمِ إلى زُهَيْرِ  
يُذَكِّرنا مَويِجاتِ البُحِيرِ  
مِثِلِ شُكْبِيلِه ما في العُصِيرِ  
مُقِيْفِيلٌ على درِّ النَّغِيرِ  
تَشوِّقُ لِلغُزِيلِ والنُّويِرِ  
فما أحلى الزُّهَيْرِ على النَّهِيرِ  
نُقِيدٌ ليس يَصْرَفُ عن صُدِيرِ  
فقال: أنا جُعِيدِي الشَّعِيرِ  
ويومٌ هُجِيرَه مِثِلِ السُّهَيْرِ  
فقلت ولي دُمِيعُ كالمُطِيرِ  
فما أحلى النُّظْمِ مع النَّغِيرِ

لُفِيظِكَ وَالْمُقِيلَةَ مَعَ نُظَيْمِي  
سُحَيْرٌ فِي سَحِيرٍ فِي سُحَيْرِ  
شُعَيْرِكَ مَذْ أَوْلَّ عُوَيْشَقِيهِ  
هُدَيْنَا فِي الظُّلَيْمَةِ بِالنُّوَيْرِي

ولأبي الحسن أفندي الكستي:

فِي صُدْغِهِ فَرَحٌ إِذَا مَا سَرَى  
مِنْ عَادَةِ الْبَدْرِ عَلَى مَا أَرَى  
نَحْوَ مَحْيَاهُ فَلَا تَعَجَبُوا  
فِي ضَوْئِهِ يَنْطَلِقُ الْعَقْرُبُ

وله أيضاً من المعنى الجديد:

يَا بَدْرُ لَا تَعَجَبْ بِحَالِي إِذَا  
فَالْغَصْنَ عِنْدَ الْقَطْعِ غَضًّا يُرَى  
هَجَرْتَنِي وَلَمْ يُصْبِنِي النُّحُولُ  
وَبَعْدَ حِينَ يَعْتَرِيهِ الذُّبُولُ

ولأبي تمام:

تَلَقَّاهُ طَيْفِي فِي الْكَرَى فَتَجَنَّبَا  
وَحُبَّرَ أَنِي قَدْ مَرَرْتُ بِبَابِهِ  
وَلَوْ مَرَّتْ الرِّيحُ الصَّبَا عِنْدَ أُذُنِهِ  
وَلَمْ تَجِرْ مِنِّي خَطْرَةَ بَضْمِيرِهِ  
وَقَبَلْتُ يَوْمًا ظِلَّهُ فَتَغَضَّبَا  
لَأَخْلَسَ مِنْهُ نَظْرَةً فَتَحَجَّبَا  
بِذَكَرِي لِسَبِّ الرِّيحِ أَوْ لَتَعْتَبَا  
فَتَظْهَرَ إِلَّا كُنْتُ فِيهِ مَسْبَبَا  
وَمَا زَادَهُ عِنْدِي قَبِيحُ فِعَالِهِ  
وَلَا الصَّدُّ وَالْإِعْرَاضُ إِلَّا تَحَبُّبَا

وللشباب الظريف:

بَدَا وَجْهُهُ مِنْ فَوْقِ أَسْمَرِ قَدِّهِ  
فَقَلْتُ: عَجِيبٌ كَيْفَ لَمْ يَذْهَبِ الدُّجَى  
وَقَدْ لَاحَ مِنْ لَيْلِ الذَّوَائِبِ فِي جُنْحِ  
وَقَدْ طَلَعَتْ شَمْسُ النَّهَارِ عَلَى رُمَحِ

ولآخر:

تَرَكْتُ حَبِيبَ الْقَلْبِ لَا عَنْ مَلَالَةٍ  
أَرَادَ شَرِيكًا فِي الْمَحَبَّةِ بَيْنَنَا  
وَلَكِنْ جَنَى ذَنْبًا يَتَوَلَّى إِلَى التَّرِكِ  
وَإِيْمَانُ قَلْبِي لَا يَمِيلُ إِلَى الشَّرِكِ

وللأمير شكيب أرسلان من قصيدة معارضة للامية كعب:

ففيه للشاربين الماء مبذولُ  
كأنه مُنهلٌ بالراح معلولُ  
كأن مرشفه بالشهد معسولُ  
تصفو عليها من النعمى سراويلُ  
راحت عليها من الريا مثاقيلُ  
قامت ومنها وشاح الصدر محلولُ  
على قضيب على الكُثبان محمولُ  
وإنما قولنا يا صاح تمثيلُ  
بانة سعاد فقلبي اليوم متبولُ  
منها على طلل بالجزع مطلولُ

تجلو عوارض ذي نعج إذا التفتت  
أضحى يسلسل ماء الحسن عارضها  
بمثل ما إن غدت تفتّر عن شنب  
بانة سعاد على ذا كليله وغدت  
إذا تمر الصبا في خدها غلسا  
كذاك حتى إذا شمس الضحى طلعت  
قامت سعاد تحيينا فما قمر  
نقول بدر وغصن كي نشبها  
حتى إذا شغف القلب الذي اجتذبت  
فاعطف على طلل بالجزع إن دمي

وله من قصيدة:

وبرح الهوى حتى تهون المعارك  
وحمل النوى حتى تضيق المسالك  
لها لذة عند الرجال تشارك  
تلذ لنا والله تلك المهالك  
ونهوى رنو الطرف والترف فاتك  
ونوتر رعي النجم والليل حالك  
ونهوى لو أنا للدماء سوافك  
ألا فاعجبوا من ميته وهو ضاحك

هو الحب حتى لا تحيط المدارك  
ونار الجوى حتى كأننا على اللظى  
عذاب يراه الصب عذبا، وذلة  
مهالك أصحاب القلوب وإنما  
نحب افتنان القد والقد طاعن  
ونحمل عبء الشوق والصدر ضيق  
نسر بأن تجري شئون دموعنا  
ترانا على وشك الردى بمسرة

وللشيخ يوسف أفندي الأسير من قصيدة:

أقول لدمعي: حان وقت البكا فاجر  
فما ومض ذاك البرق من ذلك الثغر  
فلست بخال مثلكم فالهوى عذري

إذا ابتسم البرق الحجازي في الفجر  
إخال سلمي بالتنايا تبسمت  
فرققا رفاقي بالذي عمه الضنى

فإني إذا أمسيتُ أصبح كالنهرِ  
غريبٌ وقيسٌ قاسٌ ذلك بالسَّحَرِ  
وسلطانهُ في عرشه غالبُ الأمرِ  
إذا مدُّ ماءَ النهرِ فاض على الجسرِ  
مُحالاً على مثلي وفَضَحَ الهوى قهري  
ومارجهُ في القلبِ يَسْطَعُ كالجمرِ  
كما طار كزوانٌ فضلاً عن الوكْرِ  
ولكنَّ هجرَ العاذلين مع الهجرِ  
وبُخِلَ الفتى بالزُّوحِ في شرِّعه مُزري  
بزورةٍ من أهوى فأحصَرَ في قبري  
أسيراً وأبقى عنده دائمَ الأسرِ  
وإنَّ يَحْفَ يوماً ضاق صدري عن الصبرِ  
وأعوَرنِي بابٌ إلى طاقة السرِّ  
إذا عَرَدَتْ وَرَقَاءُ في وارق السُّدرِ  
فيَهْمِي له دَمْعِي فيُصبحُ ذا سطرِ  
وأشكو له ضرِّي وأودِعُه سرِّي  
بأفقِ عوالي طيبة الكوكبِ الدرِّي

فكونوا معي وارثوا لسائلِ مدمعي  
وأمرُ الهوى عند الذي لم يُقاسِه  
وشرعُ الهوى صعبٌ فيعسر شرحه  
وما كلُّ حُبٍ يُمكن الصبِّ كتمه  
وحاولتُ كتمان الهوى فوجدته  
أوارِي أوارِي والدموعُ تُذيعه  
وقد طار من عيني الكرى ثم لم يُعد  
وإنَّ هواني في الهوى غيرُ ضائري  
وفذلُ الهوى عزٌّ، وعذبُ عذابه  
وإني لأخشى أن أموت ولم أفز  
وإني لأرضى أن أسير لأرضه  
غرامي غرامٌ إنَّ بدا لامَ عاذلي  
إذا جنَّ ليلي زاد ويلي ووَحْشتي  
ويوحِذُ من صدري فؤادي دَعْرَةٌ  
ويخلبُه البرقُ التُّهاميُّ خَلْبًا  
وأطربُ من سرِّ النسيمِ إذا سرى  
وفي مُهجتي يَهْتَاجُ وَجدي إذا بدا

وله أيضًا:

وهبتُ صباً نجدٍ فهاج بي العشقُ  
مقرُّ الهوى والطرفِ والجدُّ بي رفقُ  
أجنُّ الجوى قلبي وأرَّقني الخفقُ  
ولم تُنجِدْ أُنْجِدْ ولو طالط الطُّرُقُ  
ولكنَّما بيني وبينكما فرقُ  
وفي طرفها ودق وفي كبدي حرقُ  
فريدةٌ عصر ما بهٍ مثلها خلقُ  
فكادت عليها في الفلا تقف الورقُ

خليلي سيرا بي فقد أشرق الشرقُ  
رفيقي جدًّا بي لنجدٍ فلي به  
وإن لم تسيروا بي دجى خيفة الوجى  
وما بكما وجدني فإن تبقياً هنا  
نعم في فراق الإلف والأهل كلنا  
فإنَّ التي قد ودعتني ودعتها  
خريدةٌ خدر غادةٌ بدويَّةٌ  
قد التبتت في اللبس بالغصن وارقاً

ورخمةُ صوتِ والنواظرِ والعنقُ  
كشمس الضحى صيفاً إذا غيم الأفقُ  
فيلمع منه خاطفاً لُبِّي البرقُ  
يكاد لنا يُبديه من لطفه الحلقُ  
سوى فرعها الليليِّ وهو به فرقُ  
مدى الدهر ما لي من يدي أسرها عتقُ

بها من ظباء القاع حسنُ التفاتةِ  
ويسطع من تحت الشنوف شعاعها  
وتبسم عن دُرٍّ ولله دُرُّها  
وإن نزل المشروبُ في جوفِ حلقها  
نوارٌ من النور المجسّد جسمها  
وإني لأرضى أن أكون أسيرها

وله أيضاً من بحر السلسلة:

قد أصبح قلبي من الصّباية ملأً  
حتى أتسلّى عن الحبيب بسُلوانُ  
للعشق جمال به فأصبح ولهانُ  
أن بان فيا حَجَلَة الغصون من البان!  
كالخمر وكالجمر ريق فيه وخذانُ  
في روضة أنس بها النسيم له شأنُ  
تجلى وعليها من الملابس ألوانُ  
والورق تغنّت على الغصون بألحانُ  
أوراق دفوفٍ إذ الرواقص أغصانُ  
شتى ودواليبها تخر بتختانُ  
عينيّ وقلبي لبعد خلي إذ بانُ  
في وقت وداعي مقال أغير غيرانُ  
إذ إن رقيبتي عليك عندك سهرانُ  
يا صاح تحمّل كلام عاذلك الآنُ  
إذ يبذل نصحاً لنا بأكمل كتمانُ

يا عاذل دعني مع الهوى فأنا الآنُ  
لا العشق حرام ولا المحبة نكرُ  
أفديه غزلاً قد استجرّ فؤادي  
ما أطف ما فيه من رشاقة قدُ  
كالرمح وكالصبح قامةً ومحياً  
لم أنس كئوس الطلا بنا وإنها  
والروضة تزهو بزهرها كعرويسُ  
والغيد تهادي بها ثلاث ومثني  
ألحان قيان عزفن في يدهن الـ  
والماء خلاخيل عسجد ولجّين  
تُحكي بحنين لها وصب شئونُ  
إذ بان بقلبي دجى وأودع سمعي  
إياك تصافي سواي بعد بعادي  
قد أسكرني لفظه وقال بلطف  
إن كنت بحبي متيماً فتجمل

وللشيخ مصطفى أفندي نجا البيروتي من قصيدة:

روضُ أنس منه طيبُ الورد فأخ  
حارسُ من جفنها شاكي السلاحُ

يا لها من غادةٍ في خدّها  
كلّما رُمّت الجنى عارضني

ومنها:

تَخَذَ الوجدُ بقلبي مَسْكَنًا  
يا لقومي هل وجدتم طائرًا؟  
وبه قد طار من غير جَنَاحٍ  
عُشَّه طار به شوقًا وراح؟

ومنها:

صدم الشوقُ اصطبَّاري صدمةً  
فتلاشى عَزمُه حتى غداً  
لم يُطِقَ معها بِرَازًا أو كَفَاحَ  
كَهَشِيمِ راح تَذَرُوهُ الرِياحُ

وله من قصيدة:

إذا رُمْتَ انشراحَ الصدرِ يومًا  
وبادِرَ للرِّياضِ بنا وباكِزُ  
وحُذُّها من يدي رَشِيًّا رَشِيقُ  
فَعِينُ الدَّوْحِ ترمقُها إذا ما  
غزالُ فاترِ الأَجْفانِ أضحى  
له وجهُ يَفوقَ البدرَ حَسَنًا  
وخذُ عَمَّه بالحسنِ خالُ  
وطرفُ فاترٍ وَسنانُ لَكُنْ  
وأعطافُ سَبَتِ أَعْصانَ بانِ  
بنفسي أفتديه وليس نَفْسي  
وما أنا في الأنامِ له بِقَالِ

وله من قصيدة:

سلي يا مُبِيتي عن فرطِ وَجْدي  
فإن النَجْمَ دون الناسِ أدرى  
إلى ماذا الجفا من غير ذنْبِ  
تعاهدنا على ودِّ فما لي  
وما قاسيته في حالِ بُعدي  
بما ألقاه من سَهْري وسُهْدي  
وإظهارِ العداوةِ والتعدِّي؟  
إخالِكِ قد قَطَعَتِ حبالَ ودِّي

ومنها:

يقول العاذلون: انزك هواها  
وما علموا بأن الروح تصبو  
وخل القلب من هزلٍ وجدٍ  
إليها لا إلى دعدٍ وهندٍ

ومنها:

طلبتُ وصالها يوماً فقالت:  
فقلت لها: نعم ما كنتُ أنسى  
أوصلي تترجي من بعد صدِّي؟  
ليالي الوصلِ يا أملي وقصدي  
تضيءُ شمسوها ببروج سعدي  
ليالٍ كانت الأفرحُ فيها

وله من قصيدة:

حبيبٌ يرى الهجرانَ ظلماً وهكذا  
إذا ما انثنى تيهها تظنُّ قوامه  
بشوش المحيا الطلق ما رام قربه  
به بطلت لا شكُّ بُغيةً عاذلي  
يهزُّ على الواشي من القدِّ أسمرًا  
فلله كم أحياء المحبِّ بوصله  
رعى الله ذاك الوجهَ كم بضيائه  
كما تهتدي الأفكارُ في مدح سيدٍ

وله في قصيدة:

باللثم جُد كرمًا من خدك القاني  
وارفق بصبِّ سلاه البينُ وهو على  
يبيت يا مفرِّدًا بالحسن مشتغلًا  
وأنتَ لم تدرِ فيما قد ألمَّ به  
يا غصنَ بان بنارِ الهجرِ ألقاني  
حكم الهوى صابرٌ من غير سُلوانٍ  
بأمر لُقياك لم يخطر له ثاني  
وما يلاقيه من همٍّ وأحزانٍ  
إلى متى يا كثيرَ التَّيه تَحرمهُ  
منك الوصالَ بلا ذنبٍ وعصيانٍ؟

وظلمه في الهوى يُرضيك وهو يرى      لك الإطاعة في سرٍّ وإعلان  
عاملٌ بفعلٍ جميلٍ مثل وجهك يا      كلَّ المراد ولا تُسرِّف بهجران

ولآخر قوله:

أنبتَ وردًا ناضرًا ناظري      في وَجْنَةٍ كَالْقَمَرِ الطالِعِ  
فلمْ منَعْتُم شَفْتِي لثُمَّه      والحقُّ أن الزرعَ للزارعِ؟

فأجابه آخرُ بقوله:

لأنَّ أهلَ الحُبِّ في حيننا      عبيدنا في شرعنا الواسعِ  
والعبد لا ملكٌ له عندنا      فزرعهُ للسيد المانعِ

ولصفيِّ الدين الحليِّ في غلامٍ وقعت عليه شمعةٌ فأصابت شفته:

وندي هيفٍ زارني ليلةً      فأضحى به الهمُّ في معزلي  
فمالت لتقبيله شمعةً      ولم تخش من ذلك المحقلِ  
فقلت لصحبي وقد حكمت      صوارمٌ لحظيه في مقتلي  
أتدرون شمعتنا لم هوت؟      لتقبيلِ ذا الرِّشِّ الأَكحلِ  
درت أن ريقته شهدة      فحنت إلى إلفها الأوَّلِ

ولأسعد أفندي طراد من قصيدة:

قل للذي قد ردَّ صبًّا سائلًا      ما ردَّ طرفي قطُّ دمعا سائلًا  
لو كنتَ تنظر جودَ عيني مرةً      ما كنتَ تبقى في وصالك باخلًا  
أخبرتُ عن نار الصدود بما رأته      عيناَي من نار الخدودِ مشاعلًا  
وعلمتُ هجرَكَ للمحبِّ لأنني      قبل الرحيل وجدتُ قلبي راحلًا  
عطفًا على مَنْ بات يُنجله الهوى      يا مَنْ نراك حويتَ عطفًا ناحلًا  
لو كنتَ من أهل المطال تُعدُّ، ما      حاولت قتلي في صدودك عاجلًا

هيهات يَسَلَمِ مِنْ جَفونِكَ عاشقٌ وهي التي بالسَّحَرِ تَفْتَنُ بِأَبْلا  
يا عاذلي في حَبِّه مهلاً فما من عاشقٍ قبلي أطاع العاذلاً  
إني قتيلٌ في الغرامِ على رِضَى وبمُهَجَّتِي أخفيتُ ذاك القاتلاً  
أترى لِمَنْ أشكو الحبيبَ ولا أرى لي من قِضاةِ الحبِّ شخصاً عادلاً

وقال الشيخ إبراهيم اليازجي:

ومصوِّراً بالشمس وهو نظيرُها وأهدتُه صورتَها برسمِ مثاله  
ولو أن شمساً صوّرتُ بضيائها ما صوّروه بغير نورِ جماله

وله أيضاً:

بَحْصَرِ جَبِّي هَمْتُ بل نَحْرِهِ بل خدّه بل نَغْرِهِ الباردِ  
بكلِّ شيءٍ فيه مُسْتَحْسِنٍ لم أهوّه من سببٍ واحدِ

ولابن أبي حجلة:

قل للهِلالِ وَغَيْمِ الأفقِ يَسْتَرُهُ حَكَيْتَ طلعةً من أهواه فابتهجِ  
لك البِشارةُ فاخلعْ ما عليك فقد ذكرتُ ثم على ما فيك من عوجِ

ولابن نباتة:

سألتُه عن قومِه فانثنى يَعَجِبُ من إفراطِ دمعي السَّخِي  
وأبصرَ المسكَ وبدرِ الدجى فقال: ذا خالي وهذا أخي

ولصالح بن إسماعيل العباسي:

غابوا فغاب الصبرُ من بعدهم يَطويه عني بَعْدَهُمْ طِيًّا  
بأبي وجهٍ أتلقاهمُ إذا رأوني بَعْدَهُمْ حيًّا؟  
وا حَجَلتِي منهم ومن قولهم ما فَعَلَ البَينُ به شيئاً

ولي عند اطلاعي على هذه الأبيات:

وَنَلْتُ مِمَّا قَلْتَهُ شَيْئًا      خَفَّفَ مِنَ الْهَمِّ فَإِنْ أَقْبَلُوا  
بَعْضَ الَّذِي أَمَلْتُ مِنْ ذِيَا      فقل عذيري أنني لم أمت  
لَكُنْتُ أَشْوَى بَعْدَكُمْ شَيْئًا      بِالْوَجْدِ لَوْلَا مَا أُوْمَلُّهُ

ولآخر:

وَكْتَمْتُ الْهَوَى فِمَتُّ بَوَجْدِي      باح مجنونٌ عامرٌ بهواه  
مَنْ قَتَلُ الْهَوَى؟ تَقَدَّمْتُ وَحْدِي      فإذا كان في القيامة نودي

ولابن الوردي فيمن طال شعره إلى قدميه:

وَهُوَ كَانَ الشَّفِيعَ فِي لَدَيْهِ؟      كيف أنسى جميل شعر حبيبي  
فَرَمَى نَفْسَهُ عَلَى قَدَمَيْهِ      شعر الشعر أنه رام قتلي

وله أيضًا:

قَفُوا وَتَأَمَّلُوا قَلْبِي وَدُوبُوا      ذُوَابَتُهُ تَقُولُ لِعَاشِقِيهِ:  
عَلَيْهِ تَحَسَدُ الْحَدَقُ الْقُلُوبُ      فإنني قد وصلتُ إلى مكانٍ

ولآخر في أعمى مليح:

طَرَفُهُ مِنْ حَيَاتِهِ لَيْسَ يُلْمَحُ      قد تعشقتُ فاتنَ اللَّحْظِ أعمى  
فَهُوَ فِي الْحَسَنِ نَرَجِسُ لَمْ يُفْتَحْ      لا تَعْيِبَنَّ نَرَجِسَ اللَّحْظِ مِنْهُ

ولابن الرومي فيمن أصابه جدري:

إِلَى وَجْهِهِ بِهِ أَثَرُ الْكُلُومِ      وقالوا: شأنه الجدريُّ فانظُرْ  
وَمَا حُسْنُ السَّمَاءِ بِلَا نَجُومِ      فقلتُ: مَلَا حَةُ نُبِّرَتْ عَلَيْهِ

## خطرات أفكار

وقال أبو بكر السراج في ابن ياسر المغنّي، وقد أصابه الجدري:

لي قمرٌ جدُّر لما استوى      فزاده حُسناً وزاد الهمومُ  
كأنما غنى لشمس الضحى      فنقطته طرباً بالنجومُ

ولآخر في محموم:

لا أحسد الناس على نعمةٍ      وإنما أحسد حُمّاكا  
فما كفاهما أنها عانقت      قدك حتى قبّلت فاكا

ولابن الوردي في مَليحٍ يلعب بالنرد مع مَليحة:

مُهفَهفان لِعِبا      بالنَّرد أنثى ونكز  
قالت: أنا قمرُّته      قلت: اسكّتي فهو قمرُّ

ولآخر في مَليحٍ يَحْرث:

لله حرّاتٌ مَليحٌ غداً      في كفه المحراثُ ما أجملُه!  
كأنه الزُّهرة قُدّامُه      ثورٌ يُراعي مطلع السُّنبلة

وللشريف البياضي:

لقد مدَّ الفراقُ إلى جفوني      أكفّ الدمع فاستلّبت رُقادي  
كأنَّ العيس تشرب من دموعي      فتُنبت أرضها شوك القَتادِ

وقال عزتلو نقولا أفندي نقاش:

لِمَا يا وردٌ لم يُذِلك شوقُ      لروضِك؟ قال: دعني يا حَسودي  
ألم ترني وروض الصُدغِ ظلّي      فعشتُ بجيرتي ورد الخدودِ

وله:

تَخَاصِمُ السَّيْفُ وَالْأَجْفَانُ أَيُّهُمَا      أَمْضَى وَأَفْتَكُ فِي قَلْبِ الصَّنَادِيدِ؟  
وَاشْتَدَّ بِالْخُودِ وَالْأَبْطَالِ غَيْظُهُمَا      فَمَجْلِسُ الْحُسْنِ أَعْطَى الْحَقَّ لِلخُودِ

وله ليكتب مطرراً على عصابة منديل لإحدى السيدات:

هَذِي عِصَابَةٌ ذَاتُ الْحَسَنِ قَدْ لَمَعَتْ      فِي لَيْلَةِ الْوَصْلِ أَمْ تَرْصِيعُ إِكْلِيلِ؟  
كَلًّا وَلَكِنَّمَا وَاشِي الصَّبَاحِ بَدَا      مِنَ الْجَبِينِ فَأَخْفَتُهُ بِمَنْدِيلِ

وللنظام:

أَتَتْنِي تَوْتُبْنِي بِالْبُكََا      فَأَهْلًا بِهَا وَبِتَأْنِيْبِهَا  
تَقُولُ وَقَدْ هَمَلْتَ أَدْمُعِي      أَتَبْكِي بَعِينِ تَرَانِي بِهَا  
فَقُلْتُ إِذَا اسْتَحْسَنْتَ غَيْرَكُمْ      أَمَرْتُ الدَّمُوعَ بِتَأْدِيْبِهَا

ولابن النكك وقد علق صغيراً:

قَالُوا: عَشِقْتَ صَغِيرًا قُلْتُ: أَرْتَعُ فِي      رَوْضِ الْمَحَاسَنِ حَتَّى يَبْلُغَ الثَّمْرُ  
رَبِيعُ حُسْنٍ دَعَانِي لِافْتِتَاحِ هَوَى      لَمَّا تَفْتَحَ فِيهِ النُّورُ وَالزَّهْرُ

وللصنوبري:

تَرَكَ الظَّاعِنُونَ قَلْبِي بِلَا قَلْبِ      سِبِّ وَعَيْنِي عَيْنًا مِنَ الْهَمَلَانِ  
وَإِذَا لَمْ تَفِضْ سَحَائِبُ أَجْفَا      نِي عَلَيَّ إِثْرَهُمْ فَمَا أَجْفَانِي  
وَوَرَاءَ الْحَمُولِ أَحْسَنُ خَلْقِ اللَّهِ      خَلَقًا عَارٍ مِنَ الْإِحْسَانِ  
حَلًّا فِي نَاطِرِي فَلَوْ فَتَّشَوْهُ      كَانَ ذَاكَ الْإِنْسَانَ فِي إِنْسَانِي

ولعزتلو نقولا أفندي نقاش من قصيدة:

هَذَا الصَّبَاحُ بَدَا أَمْ ذَا مَحِيَّائِكَ؟      وَذَاكَ بَرَقَ أَمْ افْتَرَّتْ ثَنَايَاكَ؟  
أَمْ الْغَزَالَةُ مِنْ بَيْنِ الْغُصُونِ بَدَتْ؟      أَمْ وَجْهُ هِنْدٍ بَدَا مِنْ خَلْفِ شُبَّاكَ؟  
مَصُونَةٌ عَنِ خِيَالِ الْوَهْمِ قَدْ حُجِبَتْ      كَأَنَّ إِدْرَاكَهَا مِنْ فَوْقِ إِدْرَاكِي

ولم يَرُقْ لي به إلاك إلاك  
كأنَّ في البدر نورًا من محيِّاك  
ولم يكن غيرَ عينِ الله ترعاك  
سبَّحتُ من بديعِ الحُسنِ أغناك  
بُردَ العفافِ الذي حاكته يَمناك  
إذ خفتُ إشراقَ صبحٍ منه هتَّاك

أيا رعى الله وقتًا بالرُّبوع مضى  
فكم به بتُّ أرعى البدرَ عن شَغَفِ  
وكم سَعِدْتُ دَجَى إذ كنتِ غافلَةً  
نزهتُ طرفيَ في روضِ الجمالِ كما  
معانقًا يدك اليسرى ومتَّشحا  
فلم أمدَّ لمنديلِ الجبين يدًا

ومنها:

همَّت على قتله أجفانُ أتراك  
وطيفُ حنةٍ وافى طرْفُه باكي  
بدلتَ حُسنَ الوفا في قُبْحِ إشراك  
إلايَ قلتُ: وما في القلبِ إلاك  
أنتِ الشريكة في عمري وأملاكي  
عينني بطعم الكرى والله لولاك  
لعلَّني في الكرى أحظى بلُقبك  
أفُزُ بشيءٍ سوى شوقي لِمراك

يا أمة العُرب هلاً تُنقذون فتَّى  
ما تمَّ قولِي إلا والخلاصُ دنا  
فقلتُ: أهلاً فقلت: أين عهدك لي  
ما القلبُ إلا محلِّي ليس يسكنهُ  
يا مهجةَ العمر بل يا مُنتهى أَملي  
لولاك ما راق لي عيشٌ ولا سَعِدْتُ  
قالت: أترقد مذُ غبنا فقلتُ: نعم  
وهكذا تمَّ حلمي وانتبَهْتُ ولم

ولآخر:

لها من مسكِ نكهته ختامُ  
متى عُصرت من الورد المدامُ؟

أقول: لأهيفِ وافى بكأسِ  
أمن خديك تعصر؟ قال: كلاً

ولآخر:

أودعتها يومَ الفراقِ مُودعي  
قلبي لأنني لم أجدْ قلبي معي

بين الأظاعنِ حاجةٌ خلَّفَتْها  
وأظنُّها لا بل يقيني أنها

وللمعلم بطرس كرامة:

من لوعةِ البينِ والفراقِ  
من بعدِ بُعْدِكَ ذو احتراقِ

أشكو إلى الله ما أَلقي  
يا مُفردًا بالجمالِ قَلبي

الندى الرطيب في الغزل والنسيب

سُقَيْتَ يَوْمَ الْوَدَاعِ خَيْرًا  
فَأَنْتَ عِنْدِي أَخُو التَّلَاقِي  
فَفِي اللَّقَا وَالْوَدَاعِ كَانَتْ  
وَسِيلَةُ الضَّمِّ وَالْعِنَاكِ

وله في مליح من دير القمر، وفيه نوعُ المذهب الكلامي:

ظَبِيٌّ بَلْبُنَانٍ قَدْ سَلَّتْ مَحَاجِرُهُ  
بِذِمَّةِ اللَّهِ ذَاكَ الرَّيِّمِ إِنَّ لَهُ  
أَفْئِدِيهِ مِنْ قَمَرٍ كَمْ بَتُّ أَرْصُدُهُ  
لَوْ لَمْ يَكُنْ قَمَرًا ضَاءَتْ مَحَاسِنُهُ  
لِلْعَاشِقِينَ سَيُوفَ الْغَنَجِ وَالْحَوْرِ  
بَيْنَ الْجَوَانِحِ عَهْدًا غَيْرَ مُنْدَثِرِ  
شَوْقًا وَقَدْ حَلَّ فِي سَمْعِي وَفِي بَصْرِي  
مَا أَصْبَحَتْ دَارُهُ تُعْزَى إِلَى الْقَمَرِ

ولي في هدية ذهبية:

هَذَا هَدِيَّتُنَا تُبْرِهِنُ بَعْضَ مَا  
نَهَبَ بِلَا غَشٍّ مُصَفَّى شَانِنَا  
وَالْحُبُّ أَحْسَنُ مَا يَكُونُ دَوَامُهُ  
مِنْ حَبِّكَ فِي الْقَلْبِ يَرُويهِ الشَّجْنُ  
فِي حِفْظِ عَهْدٍ وَدَادِكُمْ طَوْلَ الزَّمْنِ  
وَكَذَاكَ بِالذُّكْرِى يَدُومُ الْمُؤْتَمَنُ

ولأبي عبد الله الأندلسي:

قَفَّ بِالْقَبَابِ وَأَيْنَ ذَاكَ الْمَوْقِفُ  
وَأَنْشُدْ فَوَادِكَ إِنْ عَرَفْتَ مَكَانَهُ  
عِنْدَ الَّتِي رَمَتْ الْحِجَارَ عَدِيَّةً  
نَفْسِي الْفِدَاءَ لَهَا وَإِنْ لَمْ تُبْقِ لِي  
وَاسَأَلَهُمْ بِمَا مَهْمُ أَنْ يَعْطِفُوا  
بَيْنَ الْقَبَابِ وَمَا إِخَالِكَ تَعْرِفُ  
وَبِنَانُهَا بَدَمَ الْقُلُوبِ مُطْرَفُ  
نَفْسًا تُذَكِّرُنِي بِهَا وَتُعْرِفُ

ولشاكر أفندي شقير من قصيدة:

طَالَ الْبِعَادُ فَطَالَ فِيهِ سُهَادِي  
يَا مَنْ بِلَطْفِكَ قَدْ مَلَكْتَ حُشَاشَتِي  
تَفْدِيكَ رُوحٌ بِالْفِرَاقِ قَتَلَتْهَا  
قَسَمًا بِحُبِّكَ إِنْ صَبْرِي عِنْدَكَ فِي  
حَتَّى حُرِمْتُ أَيَا سِنَاءِ رُقَادِي  
وَهَوَاكِ غَلَّ الْقَلْبَ بِالْأَصْفَادِ  
أَيَجُوزُ لِلْمَفْدِيِّ قَتْلُ الْفَادِي؟  
وَادٍ وَقَلْبِي هَائِمٌ فِي وَادٍ  
لَمْ يَدِرْ أَنَّ الْقَلْبَ فِي مَرْصَادِ  
شِمَتِ الْعَذُولُ بَعْدُنَا لَكُنْهُ

عَيْنُ تَرَكَ هُنَاكَ فِي الْإِبْعَادِ  
 قَلْبِي عَنِ الْإِلْمَامِ وَالتَّرْدَادِ  
 وَهَمًّا بَعِينَ الْقَلْبِ مَعَكَ فُوَادِي  
 وَهَوَاكَ بَيْنَ جَوَارِحِ الْأَكْبَادِ  
 فَلِذَاكَ لَيْسَ النَّوْمُ لِي بِمُرَادِ  
 وَكَفَى بِهَا لَشْفَاءِ قَلْبِي الصَّادِي  
 شَرَفٌ إِذَا لَمْ يَقْتَرِنْ بِفَسَادِ  
 وَسِوَاهُ عِنْدِي عُدٌّ مِثْلَ جَمَادِ  
 وَلِمَنْ أَضَلَّ إِلَيْهِ مَا مِنْ هَادِ  
 وَأَخُو الْهَوَى مَعَ عَفَّةٍ وَرِشَادِ  
 مِنْ رِقَّةِ الْإِلْطَافِ وَالْإِرْشَادِ  
 بِهَوَاكَ فَادْرِيهِ رَقِيقٌ وَدَادِ  
 جَوْرَ النَّوَى وَشِمَاتَةَ الْحُسَادِ  
 مَا فِيهِ أَطْرَحُ ثِقَلَةَ الْأَوْغَادِ  
 مَاذَا تَرَيْنَ بِإِلْفَةِ الْأَضْدَادِ؟  
 وَيَرَى كَثِيرًا جَاءَ بِالْأَعْوَادِ  
 فِيهِ وَهَذَا الْحَبُّ كَالصِّيَادِ  
 سَدَ وَالرَّقِيبَ قَلُوبَهُمْ كَرْمَادِ

فَحُجِبَتْ عَنِ عَيْنِي وَلَكِنْ فِي الْحَشَى  
 وَاللَّهِ إِنْ أَبْعَدْتَ لَسْتُ بِمُبْعَدِ  
 إِنْ لَمْ تَرَى جِسْمِي بَعَيْنِكَ فَانظُرِي  
 إِنْ يَحْجُبُوكَ فَإِنَّ ذِكْرَكَ فِي فَمِي  
 وَخِيَالِ شَخْصِكَ بَيْنَ أَجْفَانِي ثَوَى  
 وَمُنَى فُوَادِي مِنْ جَمَالِكَ نَظْرَةً  
 شَرَفِي بِحَبِّكَ يَا سِنَاءَ وَفِي الْهَوَى  
 فَانْعَمَ بِقَلْبٍ ظَلَّ يَشْغَلُهُ الْهَوَى  
 وَانْعَمَ بِمَنْ بِهَوَاهُ قَدْ نَالَ الْهَدَى  
 فَأَنَا الْهَوَى وَأَبُو الْهَوَى وَابْنُ الْهَوَى  
 عَلَّمْتَنِي نَظْمَ الْقَرِيضِ أَرْقُهُ  
 لَكِنَّمَا عَلَّمْتَ قَلْبِي رِقَّةً  
 وَأَهَا لِأَيَّامِ الْلِقَاءِ وَأَهْ مِنْ  
 وَالذُّمُّ لَمَقَى يَشْتَفِي قَلْبِي بِهِ  
 أَبَدَلْتِ لِي لَطْفَ النَّسِيمِ بِصِرْصِرِ  
 وَالْبَحْرُ يَقْدَفُ تَارَةً مِنْ دَرِهِ  
 فَالْدَّهْرُ بِحَرٍّ وَالصَّحَابُ ذَخَائِرُ  
 وَأَنَا أَحْبُّكَ وَالْعَوَاذِلُ وَالْحَوَا

ولأسعد أفندي طراد:

رَهِينَةٌ عَهْدٍ بَيْنَنَا فَاحْفَظِي الرَّهْنَا  
 فَلَا أَعْرِفُ السَّلْوَى وَمَنْ أَنْزَلَ الْمَنَّا

سَلَبْتِ فُوَادِي الْآنَ أَيَّتَهَا الْحَسْنَا  
 وَلَا تَحْسَبِي أَنِّي سَلَوْتُكَ سَاعَةً

وقال إلياس أفندي طراد في عادة ترتل:

عَيْنِي حِينَ عَدَا الْحَبِيبُ يُرْتَلُ  
 مَا دُمْتُ فِي هَذِي الْمَحَاسِنِ أُشْغَلُ؟

عَجِبَ الْعَوَاذِلُ إِذْ رَأَوْنِي مُغْمِضًا  
 فَأَجَبْتُهُمْ أَنِّي أَلِدُ بِصَوْتِهِ

ولابن الخياط:

فقد كاد رِيَّاهَا يطيرُ بلبِّه  
إِذَا هَبَّ كَانَ الْوَجْدُ أَيْسَرَ خَطْبِهِ  
مَتَى يَدْعُهُ دَاعِي الْغَرَامِ يُلْبِّه  
تَبَيَّنَ مِنْهَا دَاوَهُ دُونَ صَحْبِهِ  
مَكَانَ الْهُوَى مِنْ مُغْرَمِ الْقَلْبِ صَبِّهِ  
وَشَوْقٍ عَلَى بُعْدِ الْمَزَارِ وَقُرْبِهِ  
يَتَوَقَّعُ وَمَنْ يَعْلُقُ بِهِ الْحَبَّ يُصْبِهِ  
وَفِي الْقَلْبِ مِنْ إِعْرَاضِهِ مِثْلُ حَبِّهِ  
حِذَارًا عَلَيْهِ أَنْ تَكُونَ لِحَبِّهِ

حَذَا مِنْ صَبَا نَجِدُ أَمَانًا لِقَلْبِهِ  
وَأِيَّاكُمْ ذَاكَ النَّسِيمَ فَإِنَّهُ  
وَفِي الْحَيِّ مَحْنِي الضَّلُوعَ عَلَى جَوِّي  
إِذَا نَفَحَتْ مِنْ جَانِبِ الْغُورِ نَفْحَةً  
خَلِيلِي لَوْ أَبْصَرْتُمَا لَعَلِمْتُمَا  
غَرَامٌ عَلَى يَأْسِ الْهُوَى وَرَجَائِهِ  
تَذَكَّرُ وَالذُّكْرَى تَشُوقُ وَذُو الْهُوَى  
وَمَحْتَجِبٌ بَيْنَ الْأَسِنَّةِ وَالظُّبَا  
أَغَارُ إِذَا أَنْسَتْ فِي الْحَيِّ أَنَّه

ولبولس أفندي زين:

غَزَالَةٌ تَرْتَعِي فِي سَفْحِ لُبْنَانٍ  
وَرْدٌ وَفِي صَدْرِهَا أَثْمَارُ رُْمَانٍ  
وَالجُلُنَارِ سِوَى رَوْضِ وَبُسْتَانٍ  
فَإِنَّ خَدِّي وَصَدْرِي الرَّحْبَ رَوْضَانٍ  
مَنْ أَيُّ رَوْضِ جَنَاهُ كَفَكَ الْجَانِي؟  
لَا تَجْهَلَنَّ فَذَا مِنْ وَرْدِ نَيْسَانَ  
عَنْ رُؤْيَا الْوَرْدِ مَرَأَى وَجْهَكَ الْقَانِي  
وَمَنْ يُمَارِي فَفِي عَيْنَيْكَ بُرْهَانِي

رَنَتْ بِطَرْفٍ لِقَلْبِ الصَّبِّ فَتَانَ  
مَرَّتْ وَفِي خَدِّهَا وَرْدٌ وَفِي يَدِهَا  
فَقُلْتُ: لِمَ أَدِرُ أَنَّ الْوَرْدَ مِنْبَتُهُ  
وَاسْتَضْحَكْتَ ثُمَّ قَالَتْ: لَيْسَ مِنْ عَجْبٍ  
فَقُلْتُ: هَذَا الَّذِي نَاوَلْتَنِي كَرَمًا  
فَجَاوَبْتَنِي وَقَدْ دَارَتْ لَوَاحِظُهَا  
فَقُلْتُ: يَا فَتْنَةَ الْأَلْبَابِ أَذْهَلْتَنِي  
الْحَسَنُ أَنْتِ وَمَعْنَاهُ وَجُوهَرُهُ

وله مشطرًا أبيات:

وَفِيهَا شَتْوٌ لِلهُوَى وَفَنُونَ  
لَهَا عِنْدَ تَحْرِيكِ الْجَفُونِ سَكُونٌ  
سَيُوفٌ غَمُودٌ أَعْيُنٌ وَجَفُونٌ  
تُسَالِمُهَا الْعُشَاقُ وَهِيَ تَخُونُ

عَيُونٌ بِهَا السَّحَرُ الْمَبِينُ يَبِينُ  
وَلَا عَجَبٌ أَنْ حَرَكَ الشُّوقِ سَاكِنٌ  
مَرَاضٍ صِحَاحٌ نَاعَسَاتُ يَواقِظُ  
لَقَدْ مَارَسَتْ نَقْضَ الذَّمَامِ فَأَصْبَحَتْ

إذا ما رأَت قلبًا خَلِيًّا من الهوى  
تُنَاجِيهِ إِيْمَاءً إِلَيْهِ كَأَنَّهَا  
وليس به وَجْدٌ بِهَا وَجَنُونُ  
تَقُولُ لَهُ كُنْ مَغْرَمًا فَيَكُونُ

ولعمر بن أبي ربيعة:

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادِي  
ثُمَّ قَالُوا: تُحِبُّهَا؟ قُلْتُ: بَهْرًا  
وَهِيَ مَكْنُونَةٌ تَحَدَّرَ مِنْهَا  
بَيْنَ خَمْسِ كَوَاعِبِ أَتْرَابِ  
عَدَدِ الْقَطْرِ وَالْحَصَى وَالتَّرَابِ  
فِي أَدِيمِ الْخَدَّيْنِ مَاءُ الشَّبَابِ

ولنجيب أفندي مشعلاني:

عَجَبًا مَتَى يُرَوَى الْفَوَادُ  
فَلَقَدْ صَلَّى قَلْبِي بِنَا  
فَتَكَّتْ بِهِ أَيْدِي النَّوَى  
وَأَنَا الَّذِي لَوْلَا وَعُو  
وَإِنِّي حَسْرَتَاهُ فَإِنَّ لِي  
فَإِذَا رَقَدْتُ فَحِيلَةٌ  
مِنْ مِيمٍ تُغْرِكُ وَهُوَ صَادُ  
رِجْوَى تَلَطَّتْ فِي السَّوَادُ  
ظُلْمًا وَأَحْيَاهُ الْوَدَادُ  
دُكِّمْتُ مِنْ دَاءِ الْبِعَادُ  
عَيْنًا أَلَمَّ بِهَا السُّهَادُ  
لِللَطِيفِ فِي سِنَةِ الرَّقَادُ

وله، وأنشدتهما في محفل أنس:

يَا هَذِهِ الْكَأْسُ إِنِّي بَعْدَمَا فَتَكَّتْ  
يَا لَهِ يَا مَنْ سَقَانِي الْكَأْسَ وَاحِدَةً  
أَيْدِي النَّوَى فِيكَ قَدْ أَمْسِيَتْ أَبْكَيكِ  
تَنْ وَلَا تَجْعَلْنَهَا بِيضَةَ الدَّيْكِ

فأجبتُه بما يَأْتِي:

يَا مَدِيرَ الْكُؤُوسِ قَدْ قَالَ قَوْمٌ:  
قَدْ سَكِرْنَا قَبْلًا بِرِيْقٍ لِهَذَا  
إِنَّ مِنْ كَأْسِكَ الْهَمُومُ تَبَدَّدَ  
وَحَدَّ الْكَأْسِ فَالْحَبِيبُ مَوْحَدٌ

ولعضد الدولة:

وقالوا: أَفَقُّ مِنْ لَذَّةِ اللَّهْوِ وَالصَّبَا  
فَقُلْتُ: أَخْلَأْتِي دَرُونِي وَلِدَّتِي  
فَقَدَ لَاحَ شَيْبٍ فِي الْعِذَارِ عَجِيبُ  
فَإِنَّ الْكُرَى عِنْدَ الصَّبَاحِ يَطِيبُ

ولآخر في مليح على عذراه خال:

على لام العذار رأيتُ خالاً      كُنْقَطَةُ عَنِيرٍ بِالمسكِ أَفْرَطُ  
فقلتُ لصاحبي: هذا عَجِيبٌ      متى قالوا بأن اللام تُنْقَطُ

وللسلطان المنصور مُعَمِّياً باسم حَظِيَّتِهِ نسيم:

يا هلالاً طلوعه بين جَفَنِي      وغزالاً كُنَّاسُهُ بين جنبي  
إن سهماً رميتَ غادرَهماً      لو تناهى ما شكَّ أحرُّ قلبي

وحكى ابنُ رشيقي قال: كنتُ أجالس محمد بن حبيب، وكان كثيراً ما يُجالسنا غلامٌ نو خالٍ تحت حنكته، فنظر إليَّ ابنُ حبيب يوماً وأشار إلى الخال، ففهمتُ أنه يصنع فيه شيئاً، فصنعتُ أنا بيتين فلما رفع رأسه قال لي: اسمع، وأنشدني:

يقولون لي لِمَ تحت صفحةِ خَدِّهِ      تنزَّلُ خالٌ كان مَنزَلَهُ الخدُّ  
فقلتُ: رأى حُسْنَ الجمالِ فهابهُ      فحطَّ خضوعاً مثلما يَخضع العبدُ

فقلتُ له: أحسنتَ ولكن اسمع، وأنشدتُ:

حبذا الخالُ كامناً منه بين الـ      خَدٌّ والجيدِ رُقْبَةً وِحْذاراً  
رام تقبيله اختلاساً ولكن      خاف من سيفِ لَحْظِهِ فتواری

فقال: فضحنتني قطع الله لسانك!  
ولفرنسيس أفندي مراش الحلبي:

قد طلبتُ الوصلَ من قمرٍ      حُسْنُهُ المعجِزُ آياتُ  
قال لي: لا لا فقلتُ له:      إنَّ نَفِيَّ النَفِيَّ إثباتُ

ولي وقد قدَّمْتُها إلى الأديبِ الذكيِّ سليم أفندي مسديه تَبَرِكَةً بعيد:

ما القلبُ إلا رهنُ ذا الوجهِ الأغرِ      سالٍ سواه وليس يأملُ من مفرٍ  
روحي الفداءُ لغادةٍ فتكتُ بنا      لما نضتَ عضباً ليختطف البصرُ  
يا من يردُّ عليَّ قلباً بالهوى      يفنى ولولا الصبرُ لم يأتِ الظفرُ  
ما لي سوى الملجأ لذمةٍ فرقها      مستسلماً وبذاك أعرفُ ما الخبرُ

سهماً يُصيب القلبَ مستقصي الأثر  
 رقصت جيداً الحسن فيها بالطرز  
 فنفت هموم فتى تولاه الضجر  
 يتلو على الأسماع آيات السور  
 سادت بعاشقها إلى أوج المقر  
 إنني ألوذ فليس بأس يُنتظر  
 وعلا على أعلى عليا القمّر  
 خضع الذي قد كان صعباً ثم خر  
 سام سَموح منه يُسترجي الوطر  
 إن السليم الأصل موضوع الفكر  
 عظمت وقد كثرت فمن يُحصي كفر  
 عُقدت لعلياه بألوية الظفر  
 بل روح ذاك الجسم محمود الفطر  
 أنتم بعيد أم بكم عيداً حضر؟  
 بيد مؤيدة وقول معتبر  
 عز وجهه وافتخار مع ظفر  
 والحق أورثها النفيس المعتبر  
 والشمس يُشرق نورها فيرى البشر

حال النوى ما بيننا فغدا الهوى  
 دعت الفؤاد فسار يبغي ندوة  
 دارت سقاة الخمر من لحظاتها  
 الله أكبر ما أشد نفارها  
 دون المذلة في هواها رفعة  
 بجمي العزيز جنابه ورحابه  
 فتى ارتقى أوج المعارف رفعة  
 علم إذا ضامي البصيرة هزة  
 طلق بشوش الوجه مفتاح النهي  
 يا من يحدث عن كرام معالم  
 يا ابن الكرام ومن مكارمهم لقد  
 ما أنت إلا هامة المجد الذي  
 أهل العلى جسم وإنك هامة  
 قد جرت أيكما أجيء مهنئاً  
 هُنئت ألقاً ثم ألقاً مثلها  
 وارق المعالي يا سليم بأربع  
 باكورة فردوس فكري صاغها  
 لا زلت مثل النجم ترقى للعلی

وللخيرازي:

إذا كانت الأجساد عنهن نوماً  
 ولكنه ما بيننا قد تقسما  
 له مُهجتي بالغيب لما تألما

ولكن أرواح المحبين تلتقي  
 وأحسب روحينا من الأصل واحداً  
 ولو لم يكن هذا كذا ما تألمت

ويقال: إن جميلاً سرح إبله يوماً بوادي البغيض، فأنت بثينة مع جوار يملأن الماء  
 فبعثت له بفصيل، فتساباً، وكان هذا سبب عشقه لها؛ بدليل قوله:

بوادي بغيض يا بثين سباب  
 لكل كلام يا بثين جواب

وأول ما قاد المودة بيننا  
 وقلت لها قولاً فجاءت بمثله

وإن أبا نُواسٍ مرض، فدخل عليه بعضُ أصحابه يَعودونه، فوجدوا به خِفةً، وانبسط معهم وقال: من أين جئتم؟ قالوا: من عند عنانِ جاريةِ الناطفي، فقال: أكانتِ عليلة؟ قالوا: نعم، وقد عُوِفيتِ الآن، فقال: والله لقد أنكرتُ عَلَّتِي هذه ولم أعرف لها سبباً، غير أنني توَهَّمْتُ أن ذلك لعة نالت بعضُ من أحب، ولقد وجدتُ في يومي هذا راحة، ففرحت طمعاً أن يكون الله عافاه منها قبلي، ثم دعا بدواة وكتب:

إني حُمِمتُ ولم أشعرُ بحمَّكِ      حتى تحدَّثَ عُوادي بشكواكِ  
فقلتُ ما كانت الحمى لِتطرُقني      من غير ما سببٍ إلا بحُمَّكِ  
وحَصَلَةٍ كنتُ فيها غيرَ متهمٍ      عافاني اللهُ منها حين عافاكِ  
حتى إذا اتفقتُ نفسي ونفسكِ في      هذا وذاك وفي هذا وفي ذاكِ

ولي من قصيدة قدَّمتها لسليلاً الملوك الكرام وفرع شجرة المعالي، سمو الدوك أوف أدنبرج، نجل جلاله ملكة إنكلترا، وأميرال أسطول البحر المتوسط، عند قدومه إلى بيروت يصحبه ابن أخيه البرنس جورج أوف ويلس:

هو البعاد ولا شيء يُسلِّينا      في مثله غيرِ ذِكْرى من محبِّينا  
إن يَخْلوا همُ بذكْرانا فذكْرهمُ      دوماً نجود به في الحق تَبِيننا  
إذا تذكَّرتُ أيامي التي سلَّفت      والدار تجمَعنا والخطُّ داعينا  
حيث الليالي صرَفنا بالصفاء ولا      واشٍ يَشِي أو عذولٍ قد يُعادينا  
حيث اختلَّسنا لقاءً بالحبِّيبِ ولم      نَسرق سوى ما لنا يا من يُعادينا  
حيث اغتنَّينا ولم نحتجْ إلى أحدٍ      سوى المهيمِنِ مُدْنينا ومُقْصينا

ومنها:

ومُدّ مضى لي زمانٌ لا أفوزُ بما      رجوتُ قصَّرتُ عن تذكّارِ ماضينا  
وقلتُ لي سلوةٌ عنه بمدحِ علي      نجل المليكة من بالبِشْرِ آتينا  
قوموا انظروا يا صحابي البَحْرِ كيف بدتْ      فيه العمائرُ كالأبراج تُحصينا  
لدولةٍ من ذواتِ المجدِ قُدْرَتُها      ليست تُقدِّرها الأقوالُ تخميننا  
قامت مَلِيكَتُها بالحزمِ قابضةً      سيفَ العدالة عنها الكونُ راوينا  
لها ثواقِبُ أفكارِ تَضِيءُ على      أقصى البلادِ وما فاتتِ مغانينا

سَلِيلَةُ الْمَجْدِ فَرَعُ الْمَلِكِ قَابِضَةٌ  
 إِنَّ التَّقَادِيرَ قَادَتِ نَحْوَ بِلَدَتِنَا  
 هَذَا الَّذِي طَارَتِ الْأَخْبَارُ عَنْهُ وَكَمْ  
 فَرَعُ الْمَعَالِيِّ أَمِيرُ الْبَحْرِ سَيِّدُهُ  
 أَهْلًا بِكُمْ وَعَلَى الْإِكْرَامِ وَفِدَاكُمْ  
 وَمَعَكُمْ نَجْلُ أَخِيكَ الشَّهْمُ خَيْرٌ فَتَى  
 كَأَنَّمَا أَنْتَمَا بَدْرَانِ فِي أَفُقٍ  
 فَهَا الْكُوسُنْدَرَا فِي الْبَحْرِ قَائِمَةٌ  
 تُقَلُّ رَوْحَ الْعِلَا جِسْمُ النَّهْيِ خَلَدَتْ  
 وَغَيْرُهَا سَائِرَاتُ طَوْعِ خِدْمَتِهِ

أَزِمَّةُ الْمَلِكِ تُخَيِّي الْقَوْمَ تَأْمِينَا  
 شِبْلُ الْمَعَالِيِّ وَمَا قَصَّرَتْ تَبْيِينَا  
 قَامَتْ لَهُ حِكْمٌ فِي الْمَدْحِ تُغْنِينَا  
 تُغْنِيكَ شَهْرَتُهُ عَنْ سَمْعِ شَادِينَا  
 فَفِي قُدُومِكُمْ الدُّنْيَا تَهْنِئِنَا  
 مَنْ بَاتَ لِلْمَجْدِ طَوْرًا وَالْعُلَى سِينَا  
 طَلَعْتُمَا مِنْكُمَا الْأَنْوَارَ تَهْدِينَا  
 فُلُكُ حَكَّتْ فَلَكَا بِالنُّورِ يَهْدِينَا  
 أَعْوَامٌ أَفْرَاحُهُ فِي الْأَرْضِ آمِينَا  
 تَقِي بِذَلِكَ حَقُوقَ الْمَلِكِ تَحْسِينَا

ولعزتلو خليل أفندي الخوري:

عَتَبْتَ عَلَيَّ فَاتِنْتِي لِذَنْبٍ لَسْتُ أَعْرِفُهُ  
 وَلَكِنْ قَدْ حَكَمْتَ بِهِ وَمَنْ لِلصَّبِّ يُنْصَفُهُ  
 تَحَجَّبَ بِالذَّلَالِ وَقَدْ أَشْرَتْ وَمَا أَبْنَتْ لَهُ  
 فِرَاقٌ مِنَ الْعِتَابِ إِلَى صَرِيحِ الْحَبِّ الْطُفُّهُ  
 دَعِينِي مِنَ عِتَابٍ جَفًّا وَجُودِي فَالزَّمَانِ وَفَا  
 يُدِيرُ لَنَا زُلَالَ صَفَا وَكَأَسًا طَابَ قَرُوقُهُ  
 بَرِّبِكَ مَا ضَلَلْتُ وَفِي عَيْوَنِكَ لِلْعَقُولِ هُدَى  
 تَجُودُ بِهِ فَتُرْشِدُهَا وَإِنْ أَهَدْتَهُ تَخَطَّفُهُ  
 عَيْوَنُكَ غَازِيَاتُ بِالْقُلُوبِ حِرَابُهَا فَتَكَّتْ  
 نِصَالٌ لِحَاطِظِهَا عَمَدَتْ لَطَرْفِ الصَّبِّ تُطْرِفُهُ  
 نِصَالٌ بِالْجِفُونَ لَهَا غَمُودٌ زَانَ رَوْنُقُهَا  
 مِنَ الْأَهْدَابِ إِذْ لَعَبَتْ نِجَادٌ صَالَ مُرْهَفُهُ  
 رَأَيْتُ بِظُلْمِهَا سَبِيلًا مِنَ الْأَكَامِ مُنْسَبِلًا  
 بِهِ يَجِدُ النَّدَى سُبُلًا لَوْرِدِ الْخَدِّ يَأْلَفُهُ  
 نَدَى مِنْ مَدْمَعِيَّ هَمَا عَلَى خَدِّ يَمُوجُ دَمًا  
 بِكَيْتِ لُورِدِهِ أَلْمَا لِأَنِّي لَسْتُ أَقْطِفُهُ

وللنَّغْرِ البهْيِّ بدا اختلاجٌ في تبسُّمِهِ  
كوعِدٍ للبروقِ زها وليس الغيثُ يُرِدِفُهُ  
وبين مَعارجِ النهْدَيْنِ في صدرِ الصبّاحِ جَرَى  
غديراً من مياهِ الحسنِ لكن لست أَرشِفُهُ  
قوامِكِ للعيونِ بدا قواماً تستعزُّ بهِ  
وعِطْفُكِ مالِ عني جِرْتُ فيه كيف أعطِفُهُ؟  
لقد ألبَسْتِه زرداً كأنكِ قد حَسَيْتِ عَدَى  
فديتِكِ مَنْ يمدُّ يداً وسيفُ اللَّحْظِ يَرِجِفُهُ  
بدا للمِعْصَمِ الزاهي شعاعٌ لاحَ يَسْتَرُهُ  
غشا شَفَقٌ وأنفاسي تهبُّ به فتَكشِفُهُ  
كأنَّ عموده خَفَرُ لروضِ الصِّدْرِ يحرسُهُ  
إذا مدَّ الهوى كَفًّا له بالنارِ يَقتَظِفُهُ  
محاسِنِكِ التي سَفَرَتْ بها شمسُ الضحى استتَرَتْ  
جمالِكِ شعلَةٌ ظهَرَتْ أمامَ البدرِ تَكسِفُهُ  
بأفاقِ البلادِ غدا غرامي فيكِ مُشْتَهَرًا  
أنا بين العبادِ أنا أسيرُ هواكِ مُدْنِفُهُ  
وظلمكِ قد غدا مَثَلًا ومِثْلِي مَنْ تحمَّلَهُ  
رضيتُ به خضعتُ له بطَوْعٍ لست أُخْلِفُهُ  
ألفتُ الهَجْرَ مبتعدًا لبستِ من السقامِ رَدَى  
وأورثني الصدودُ صدَى ولا وصلُ يُلطِّفُهُ  
شربتُ هواكِ قبل الماءِ يروي كلَّ جارِحَةٍ  
ويَحرقُ ما روى أبداً بنارِ جوَى ويُتَلِفُهُ  
وقفتُ لديكِ منكسِراً وجئتُ اليومَ ملتجئًا  
لكعبةِ حسنكِ الباهي بقلبٍ دمتُ أوقِفُهُ  
فعهدي ثابتٌ أبداً كتبتُ بحفظه سَنَدًا  
حلفتُ به يمينَ هدىٍ لغيركِ لست أُحْلِفُهُ

وقال أحمد أفندي القباني:

أهل الهوى أذكرتهم نشوة التملُّ  
أراحت الروح مني شدة الوجَلِ  
لواوِ صُدغِكَ معنَى لو تأمَّله  
ومذُّ تظاهر لي في الحال عقربُه

وله مشطراً مع تغيير المعنى:

فأسرع عند رؤيتها الفرارِ  
أقبلُ ذا الجدارِ وذا الجدارِ  
ولا ملك الهوى قلبي اقتدارِ  
ولكن حبُّ من سكنَ الديارا  
أمرُّ على الديارِ ديارِ ليلي  
وكنْتُ من الجهالة قبل هذا  
وما حبُّ الديارِ شغفن قلبي  
وإن لم يكُ مذموماً هواها

وله مجاوباً بيتين للشَّيخ الساعاتي:

من ثغر ريم الحمى إذ جاء يُحِيننا  
فامزج به راحةً من كفِّ ساقينا  
أسرع لرشف اللّمي يا صاحٍ مغتنماً  
وإن أردت التداوي من سقام هوَى

أما البيتان فهما:

على غيوم النّدامى مشرقاً فينا  
فما يراه سماءُ العلم مفتينا  
إذا جلا الشمس بدرٌ ثم طاف بها  
ولاح برقٌ وصالٍ منه دون قلَى

ولي من غزلٍ قصيدةٌ رفعتها إلى من قدّمت هذا الكتاب هدية برسَم فضله؛ تهنئةً  
بدخول عام جديد:

حديثٌ لو ان الدرَّ منه تنظَّمَا  
ووجهٌ كأنَّ البدر منه مُقلصُ  
وطرفُ غزاني في جمايٍ ومذُّ رأَى  
وطارحني من بعد طول بعاذهِ  
وثغرُ خميريٍ سكرت برشفه  
وعنقُ كأنَّ الظبي مذ شامهُ جرى  
لألى أتباعِ العشقِ والحبِّ كيفما  
لألى أتباعِ العشقِ والحبِّ كيفما

يخرُّ لها ذُلًّا ولو كان حيثما  
كبلبل روض فوق وردٍ ترنُّما  
كتابه عمي فوق قرطاسه وما  
نهيت فؤادي للهوى حين أحجما  
وحاز ارتفاع القول كيف تكلما

ولو قربت من مالك فوق عرشه  
رأيت سواد الخال في صحن خدها  
حكى فوق مبيض الخدود سواده  
وإذ كان بين العم والخال نسبة  
وقلت عذيري سيد ساد في العلى

وللإمام الفارض:

إنما أنت سائق بفؤادي  
لربيع الربوع غرثى صوادي  
غير جلد على عظام بوادي  
من جواها في مثل جمر الرماد  
خلها ترتوي ثمال الوهاد  
فأسقها الوخد من جفار المهاد  
تترامى به إلى خير واد  
ينبع فالدهنا فبدر غادي  
ن إلى رابع الروي الثماد  
ت قديد مواطن الأمجاد  
ن فمر الظهران ملقى البوادي  
ناء طرًا مناهل الوراد  
هر نورًا إلى ذرى الأطواد  
ت ازديارًا مشاهد الأوتاد  
عن حفاظ عريب ذاك النادي  
من غرام ما إن له من نفاذ  
منكم بالجمي بعود رقادى؟  
وأحلى التلاق بعد انفراد  
بين أحشائه كورى الزناد  
وجواه ووجده في ازدياد  
ب شامًا والقلب في أجياد

خفف السير واتتد يا حادي  
ما ترى العيس بين سوق وشوق  
لم تبق لها المهامه جسمًا  
وتحقت أخفافها فهي تمشي  
وبراها الونى فحل براها  
شفها الوجد إن عدمت رواها  
واستبقها واستبقها فهي مما  
عمرك الله إن مررت بوادي  
وسلكت النقا فأودان ودا  
وقطعت الحرار عمدًا لخيما  
وتدانيت من خليص فعسفا  
ووردت الجموم فالقصر فالدك  
وأتييت النعيم فالزاهر الزا  
وعبرت الحجون واجتزت فاختر  
وبلغت الخيام فابليغ سلامي  
وتلطف واذكر لهم بعض ما بي  
يا أخلاي هل يعود التداني  
ما أمر الفراق يا جيرة الحي  
كيف يلتذ بالحياة معنى  
عمره واصطباره في انتقااص  
في قرى مصر جسمه والأصيا

تِ رَوَاحًا سَعِدْتُ بَعْدَ بَعَادِي  
 حَيْثُ نُدُّعَى إِلَى سَبِيلِ الرِّشَادِ  
 مِنْ سِرَاعًا لِلْمَأْزَمِينَ غَوَادِي  
 وَلِيَّيَلَاتِ الخَيْفِ صَوْبَ عَهَادِي  
 فَمُنَائِي مَنَى وَأَقْصَى مُرَادِي  
 رُبُّ بَبِينِ قَضَاءِ حَتْمِ إِرَادِي  
 وَوِدَادِي كَمَا عَاهَدْتُمْ وَدَادِي  
 هُ وَ مِنْ مُقْلَتِي سِوَاءِ السَّوَادِ  
 شَادِيًا إِنْ رَغِبْتَ فِي إِسْعَادِي  
 وَسَبِيلِ الْمَسِيلِ وَرُدِّي وَزَادِي  
 وَمِقَامِي الْمَقَامُ وَالْفَتْحُ بَادِي  
 وَإِرْدَاتِي وَلَمْ تُدِيمِ أَوْرَادِي  
 فَعَسَى أَنْ تَعُودَ لِي أَعْيَادِي  
 تَارِ وَالْمَرْوَتَيْنِ مَسْعَى الْعِبَادِ  
 زَابِ وَالْمُسْتَجَابِ لِلْقَضَا  
 لِفَوَادِي تَحِيَّةً مِنْ سُعَادِ

إِنْ تَعُدْ وَقْفَةً فُوَيْقَ الصُّحَيْرَا  
 يَا رَعَى اللَّهُ يَوْمَنَا بِالمِصْلَى  
 وَقِبَابِ الرِّكَابِ بَيْنَ العُلَيْمِ  
 وَسَقَى جَمْعَنَا بِجَمْعِ مُلْتَا  
 مَنْ تَمَنَّى مَالًا وَحُسْنُ مَالٍ  
 يَا أَهْيَلِ الْحِجَازِ إِنْ حَكَمَ الدَّهْ  
 فِغْرَامِي الْقَدِيمِ فَيَكُمُ غْرَامِي  
 قَدْ سَكَنْتُمْ مِنَ الْفَوَادِ سُوَيْدَا  
 يَا سَمِيرِي رُوحَ بِمَكَّةَ رُوحِي  
 فَذُرَاهَا سِرْبِي وَطَيْبِي تَرَاهَا  
 كَانَ فِيهَا أَنْسِي وَمِعْرَاجُ قُدْسِي  
 نَقَلْتَنِي عَنْهَا الْحِظْوُظُ فَجَذَّتْ  
 آهَ لَوْ يَسْمَحُ الزَّمَانُ بِعَوْدِ  
 قَسَمًا بِالْحَطِيمِ وَالرَّكْنِ وَالْأَسْ  
 وَظِلَالِ الْجَنَابِ وَالْحَجْرِ وَالْمِي  
 مَا شَمَمْتُ البِشَامَ إِلَّا وَأَهْدَى

وقال الصَّمَّةُ بن عبد الله وكان قد هَوِيَ ابنة عم له يُقال لها: رِيًّا، فخطبها إلى عمه، فزوجه إياها على خمسين من الإبل، فجاء إلى أبيه فسأله ذلك، فساق عنه تسعًا وأربعين، وقال: عمك لا يُناظرنا بنُقْصانِ ناقة، فساقها إلى عمه وذكر له ما قال أبوه، فأبى أن يقبلها إلا كَمَلًا، فلجَّ أبوه، ولجَّ عمه، فقال: والله ما رأيتُ أُمَّمَ منكما جميعًا، وإني لألام إن أقمْتُ معكما! فرحل بها إلى الشام:

مَزَارِكِ مِنْ رِيًّا وَشَعْبَاكَمَا مَعَا  
 وَتَجَزَعِ إِنْ دَاعِي الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا  
 وَقَلِّ لِنَجِدِ عِنْدَنَا أَنْ يُودَعَا  
 وَمَا أَحْسَنَ الْمُصْطَفَا وَالْمُتْرَبَعَا!  
 عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنَيْكَ تَدْمَعَا  
 وَحَالَتْ بِنَاتُ الشُّوقِ يَحْنَنَّ نَزَعَا

حَنَنْتَ إِلَى رِيًّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ  
 فَمَا حَسَنٌ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعَا  
 قَفَا وَدَعَا نَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحَمَى  
 بِنَفْسِي تَكَ الْأَرْضُ مَا أَطْيَبَ الرُّبَا  
 وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتِ الْحَمَى بِرَوَاجِعِ  
 وَلَمَا رَأَيْتُ الْبِشْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا

بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى فَلَمَّا زَجَرْتُهَا  
تَلَقَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي  
وَأَذْكَرَ أَيَّامَ الْحِمَى ثُمَّ أَنْثَنِي  
عَنِ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحَلْمِ أَسْبَلْتَا مَعًا  
وَجَعْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعَا  
عَلَى كَيْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصَدَّعَا

وللحسين بن مطير الأسدي:

لَقَدْ كُنْتُ جَلْدًا قَبْلَ أَنْ تَوَقَّدَ النَّوَى  
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو أَنْ تَمُوتَ صَبَابَتِي  
فَقَدْ جُعِلْتَ فِي حَبَّةِ الْقَلْبِ وَالْحِشَا  
بَسُودٍ نَوَاصِيهَا وَحُمْرٍ أَكْفُهَا  
فَمُخْضِرَّةِ الْأَوْسَاطِ زَانَتْ قُدُودَهَا  
يُؤْمِنُنِنَا حَتَّى تَرَفَّ قَلُوبُنَا  
عَلَى كَيْدِي جَمْرًا بَطِيئًا حُمُودُهَا  
إِذَا قَدَّمْتَ أَيَّامُهَا وَعَهْودُهَا  
عَهَادَ الْهُوَى تَنْمُو بِشَوْقٍ يُعِيدُهَا  
وَصُفْرَ تَرَاقِيهَا وَبَيْضِ خُدُودُهَا  
بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيْنَتْهَا عَقُودُهَا  
رَفِيفَ الْخُزَامِيِّ بَاتَ طَلٌّ يَجُودُهَا

ولآخر:

وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّهَا يَوْمَ أَعْرَضْتَ  
فَلَمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنَظْرَةٍ  
تَوَلَّتْ وَمَاءُ الْعَيْنِ فِي الْجَفَنِ حَائِرٌ  
إِلَيَّ التَّفَاتَا أَسْلَمَتْهُ الْمَحَاجِرُ

ولآخر:

وَلَمَّا رَأَيْتَ الْكَاشِحِينَ تَتَبَّعُوا  
جَعَلْتُ وَمَا بِي مِنْ جَفَاءٍ وَلَا قَلَى  
هَوَانًا وَأَبْدُوا دُونَنَا نَظْرًا شَزْرًا  
أَزُورُكُمْ يَوْمًا وَأَهْجُرُكُمْ شَهْرًا

وخرج أبو بكر بن مخرمة إلى الشام، فلما كان ببعض الطريق ذكر امرأته سالحة بنت أبي عبيدة بن المنذر بن الزبير وكان شديد الحب لها، فضرب وجوه رواجه إلى المدينة وقال:

بَيْنَمَا نَحْنُ بِالْبَلَاكِثِ فَالِقَا  
خَطَرَتْ حَظْرَةً عَلَى الْقَلْبِ مِنْ ذِكْ  
عِ شِرَاعًا وَالْعَيْسُ تَهْوِي هَوِيًّا  
رِ هَوَاكِ وَهَنَا فَمَا اسْتَطَعْتُ مُضِيًّا  
قُ وَلِلْحَادِيَيْنِ حَتَّى الْمَطِيًّا  
قُلْتُ: لَبِيكَ إِذْ دَعَانِي لِكَ الشُّو

فلما رأت رجوعه من أجلها وسمعت الشعر قالت: لا جرمَ والله لا أستاثر عليك بشيء!  
فشاطرته مآلها، وكانت تَضُنُّ عليه بمآلها.  
ولإبراهيم أفندي الحوراني مُعَمِّيًا في مريم:

لي في مغانِي الصِّفا هيفاءُ غانِيَةٌ      غَدَاءَ لِقَبِي وطَرْفي من مغانِيها  
ما بين ذَيْلي نَسِيمٍ من خمائلها      رِيًّا الخِزَامِي رَمَتْ بِالْحَبِّ هاويها

ولعمر بن أبي ربيعة:

ولما تَفَاوَضْنَا الحَدِيثَ وأسْفَرَت      وجوهُ زَهاها الحُسْنُ أن تتقَنَّعا  
تَبالَهَنَ بِالعِرْفانِ لما عَرَفُنِي      وقلنَ امرؤُ باغِ أَكَلٍ وأوضعا  
وقَرَّبِنَ أسبابَ الهوى لمتيِّمٍ      يقيسُ زِراعًا كلما قَسَنَ إصْبعا  
وقلْتُ لمطريهنَّ: ويحكِ إنمَّا      ضررتَ فهل تَسْطِيعُ نَفْعًا فتَنفعا؟

وقال عبد الله بن الدمنية الخثعمي:

ولما لَحِقْنَا بِالْحَمولِ ودونَها      قَميصُ الحشا تُوهي القميصَ عواتقُه  
قليلُ قَذَى العَيْنينِ يَعْلَمُ أَنه      هو الموتُ إن لم تُصَرَ عَنَّا بوائقُه  
عَرَضْنَا فسلَّمْنَا فسلمَ كارهاً      علينا وتبريحُ من الغيظِ خانقُه  
فسايرتُه مِقْدارَ ميلٍ وليتني      بكَرهي له ما دام حياً أرافقُه  
فلما رأت أن لا وصالَ وأنه      مدى الصَّرمِ مضروبٌ علينا سُرَادِقُه  
رَمَتني بطَرْفٍ لو كُميئًا رَمَتْ بِهِ      لبلَّ نَجيعًا نحرُه وبِنائِقُه  
ولَمَحَ بعينيها كأنَّ وميضَه      وميضُ الحيا تُهدى لنجدٍ شقائِقُه

ولآخر:

تشكَّى المحبُّون الصبابةَ لیتني      تحمَّلتُ ما يُلْقون من بينهم وحدي  
فكانت لِنفسي لذَّةَ الحَبِّ كُلِّها      فلم يَلْقها قبلي محبُّ ولا بعدي

ولابن ميادة:

مُحَاذِرَةٌ أَنْ يَقْضِبَ الْحَبْلَ قَاضِبُهُ  
أُظِنُّ لِمَحْمُولٍ عَلَيْهِ فَرَاجِبُهُ  
إِذَا قَلَّ جَدُّ الْبَيْنِ أَمْ أَنَا غَالِبُهُ؟  
فَمِثْلَ الَّذِي لَاقَيْتُ يُغْلَبُ صَاحِبُهُ

كَأَنَّ فَوَادِي فِي يَدٍ ضَبَّتَتْ بِهِ  
وَأَشْفَقَ مِنْ وَشِكِ الْفِرَاقِ وَإِنِّي  
فَوَاللَّهِ لَا أُدْرِي أَيُّغْلِبُنِي الْهُوَى  
فَإِنْ أَسْتَطَعَ أَغْلَبُ وَإِنْ يَغْلِبُ الْهُوَى

ولآخر:

بِأَمْثَالِهَا حَتَّى تَجُودُوا بِهَا لِيَا  
وَإِلَّا وَجَدْتُ رِيحَهَا فِي ثِيَابِيَا

فِيَا أَهْلَ لَيْلَى كَثُرَ اللَّهُ فِيكُمْ  
فَمَا مَسَّ جَنبِي الْأَرْضَ إِلَّا ذَكَرْتُهَا

وقال حفص العليمي:

وَلِلشَّيْبِ لَا تَذَعِرْ عَلَيَّ الْغَوَانِيَا  
وَسِيرْتُ فِي نَجْدِيهِ مَا كَفَانِيَا  
قَذُورَ لَهُمْ وَاقْبِضْ قَذُورَ كَمَا هِيََا  
قَضَى بَيْنَ كُلِّ اثْنَيْنِ إِلَّا تَلَاقِيَا

أَقُولُ لِحَلْمِي: لَا تَزْعَنِي عَنِ الصَّبَا  
طَلَبْتُ الْهُوَى الْغُورِيَّ حَتَّى بَلَغْتُهُ  
فِيَا رَبِّ إِنْ لَمْ تَقْضِهَا لِي فَلَا تَدَعْ  
وَيَا لَيْتَ أَنَّ اللَّهَ إِنْ لَمْ أُلاقِهَا

وقال ابن الطثرية:

فَدِعْصُ وَأَمَّا حَاصِرُهَا فَبَتَيْلُ  
بِنُعْمَانَ مِنْ وَادِي الْأَرَاكِ مُقْبِلُ  
إِلَيْكَ وَكَلًّا لَيْسَ مِنْكَ قَلِيلُ  
لَنَا مِنْ أَخْلَاءِ الصِّفَاءِ خَلِيلُ  
عَدُوٌّ وَلَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِ دَخِيلُ  
وَخَوْفَ الْعِدَى فِيهِ إِلَيْكَ سَبِيلُ  
بَعِيدٌ وَأَشْيَاعِي لَدَيْكَ قَلِيلُ  
فَأَفْنَيْتُ عَلَاتِي فَكَيْفَ أَقُولُ؟

عُقَيْلِيَّةَ أَمَّا مُلَاثُ إِزَارِهَا  
تَقِيظُ أَكْنَافَ الْحَمَى وَيُظَلُّهَا  
أَلَيْسَ قَلِيلًا نَظَرْتُهَا إِنْ نَظَرْتُهَا  
فِيَا خَلَّةَ النَّفْسِ الَّتِي لَيْسَ دُونَهَا  
وَيَا مَنْ كَتَمْنَا حُبَّهُ لَمْ يُطَعْ بِهِ  
أَمَّا مِنْ مَقَامِ أَشْتَكِي غَرِبَةَ النَّوَى  
فَدَيْتُكَ أَعْدَائِي كَثِيرٌ وَشَقَّتِي  
وَكَنْتُ إِذَا مَا جِئْتُ جِئْتُ لَعْلَةٍ

## خطرات أفكار

فما كلَّ يومٍ لي بأرضِك حاجةٌ  
صحائفٌ عندي للعتاب طويئُها  
ولا تحملي ذنبي وأنت ضعيفةٌ  
ولا كلَّ يومٍ لي إليك رسولٌ  
ستُنشَرُ يوماً والعتابُ طويلٌ  
فحمل دمي يومَ الحسابِ ثقيلٌ

ولآخر:

تحمل أصحابي ولم يجدوا وُجدي  
أحبُّكم ما دُمت حياً فإن أُمْتُ  
وللناس أشجانٌ ولي شجنٌ وُحدي  
فوا كيدا ممَّن يُحبُّكم بَعدي

وللصفيِّ الحليِّ:

قالت: كحلتَ الجفونَ بالوسنِ  
قالت: تسلَّيتَ بعدَ فُرقَتنا  
قالت: تشاغلَتَ عن محبَّتنا  
قالت: تناسيتَ قلتُ: عافيتي  
قالت: تخليتَ قلتُ: عن جُلدي  
قالت: أذعتَ الاسرارَ قلتُ لها:  
قالت: فماذا ترومُ؟ قلتُ لها:  
قالت: فعينُ الرقيبِ ترصدُنا  
أنحلتني بالصدودِ منكِ فلو  
قلتُ: ارتقاباً لطيفكِ الحسنِ  
فقلتُ: عن مسكني وعن سكني  
قلتُ: بفرطِ البُكاءِ والحزنِ  
قالت: تسلَّيتَ قلتُ: عن وطني  
قالت: تغيرتَ قلتُ: في بدني  
صيرَ سرِّي هواكِ كالعلنِ  
ساعةً سعدٍ بالوصلِ تُسعدني  
قلتُ: فإني للعينِ لم أبين  
ترصدتني المنونُ لم ترني

ولآخر:

صبرتُ على ما لو تحمَّل بعضُهُ  
ملكتُ دموعَ العينِ حتى رددتها  
جبالُ شِراةٍ أصبحتَ تتصدعُ  
إلى باطنِ فالعينِ في القلبِ تدمعُ

وللشيخِ عمرِ أفندي الأنسي يمدح الشيخِ حسينِ أفندي بدران:

أدِّي الرسالةَ يا ريحَ الحجازِ لنا  
ورَوْحي القلبِ مِن ذِكرِ الأحبَّةِ يا  
وعنِ حمى طيبةٍ لي كُرري خبراً  
فقد وضعتِ عن العاني الشجِّي عناً  
ريحَ الصِّبا فمُنَى قلبي ديارُ منى  
إن المكرَّرَ أحلى الطيباتِ جنَى

حيًا الحيًا ذلك المَعْنَى الكَرِيمُ وَمَنْ  
حيث المكارمُ والفضلُ الأعمُّ وما  
لله مُهْجَةٌ صَبٌّ قَطُّ ما سَكَنْتَ  
ولا تَأَلَّقُ بَرَقُ الأَبْرَقِينَ سَنًا  
ما بين قلبِي وَرَكْبِ الظاعنين أرى  
لولا مدامعُ أَجفانٍ بها خمدت  
رُدُّوا فَوادِي فَقَدَّ رَدَّ الإلهُ لَهُ  
واستطلِعوا خَبْرًا جاء البشِيرُ به  
لم يَقْنَعِ المجدُ أَنْ سَمَّاهُ بَدْرَ هُدَى

ولابن نباتة:

هويتُ أعرابِيَّةً ريقُها  
رأسي بها شَيِّبانٌ والطَّرْفُ مِنْ

ولابن الغدوي في تاجر:

وتاجرٍ أَبْصَرْتُ عَشَّاقَهُ  
قال: عَلامَ اقْتَتَلُوا هَهنا؟

ولآخرَ كان أحولَ:

شَكَرْتُ إلهِي إِذْ بُلَيْتُ بِحَبِّها  
نَظَرْتُ إِلَيْها وَالرَّقِيبُ يَخالُني

ولامرئ القيس ويُرَوَى لغيره:

سَبَقْتُ بِمِضْمارِ المَحَبَّةِ وَالهُوى  
فَقُلْنَا حروفِ الدَّمْعِ لا كُلُّها دَمٌّ

ويُرَوَى: سَبَقْتُ بِمِضْمارِ المَطالِبِ لا العُلا.

وللسراج الوراق:

يا ساكنًا قلبي نكرتكَ قبلَهُ  
وجعلته وقفاً عليك وقد غدا  
وبدا جرى الإعراب في نحو الهوى  
وأريت قبلي من بدا بالساكن  
متحرِّكًا بخلاف قلب الآمن  
وإليك معذرتي فليست بلاحن

ولآخر:

بأبي حبيب زارني متنكراً  
فكأنني وكأنه وكانهم  
فبدا الوشاة له فولى معرضاً  
أملٌ ونيلٌ حال بينهما القضا

ولعلي بن الجهم، ومطلعها مشهور:

عيون المها بين الرصافة والجسر  
أعدن لي الشوق القديم ولم أكن  
سلمن وأسلمن القلوب كأنما  
خليلي ما أحلى الهوى وأمره  
كفى بالهوى شغلاً وبالشيب زاجراً  
بما بيننا من حُرمة هل علمتُما  
وأفصح من عين المحب لسره  
وما أنس م الأشياء لا أنس قولها  
فقال لها الأخرى: فما لصديقنا  
صليه لعل الوصل يحييه وأعلمي  
فقال: أذود الناس عنه وقلما  
وأيقنتنا أن قد سمعنا فقالتا:  
فقلت: فتى إن شئتما كتّم الهوى  
على أنه يشكو ظلوماً وبخلها

وللصفي الحلي في غلام جميل قلّع ضرسه:

لحى الله الطيب فقد تعدى  
أعاق الطبي عن كلتا يديه  
وجاء لقلع ضرسك بالمحال  
وسلّط كلبتين على غزال

وعن كُثَيْرٍ قال: سألتني جميلٌ أخذَ موعدَ عن بُثينة. فقلتُ: هل بينكما موعدٌ؟ قال:  
بِوادي الدوم وهي تَغسلُ الثياب، فجتُّ أباهَا وهو جالسٌ فحادثته قليلاً، ثم أنشدته قولي:

وقلتُ لها: يا عَزَّ أُرسلُ صاحبي      على نأْيِ دارٍ والموَكَّلُ مرسلُ  
فإن تَجعلي بيني وبينك موعداً      وإن تأمُريني بالذي فيه أفعلُ  
وأخر عهدٍ منك يومَ لقيتيني      بأسفلِ وادي الدوم والثوبُ يُعسلُ

فضربت سجاجف البيت وقالت: احسأ، فقال أبوها: ما هذا؟ فقالت: كلبٌ يأتينا من وراء هذه الرابية إذا نام الناس. فأخبرته، وكان اجتماعهما.  
وخرج كُثَيْرٌ عزة يريد زيارتها يوماً، ومعه أداة ماء، فجفت من الحر، ورُفعت له نار، فأَمَّها وإذا بعجوز، فناشدته: مَنْ الرجل؟ فقال: صاحبُ عزة، فقالت له: أنت القائل:

إذا ما أتينا خلَّةَ كي نزيدها      أبينَ وقلن الحاجبيَّةَ أوَّلُ  
سنُليك عُرُفاً إن أردتِ وصالنا      ونحن لتلك الحاجبيَّةِ أوصلُ

قال: نعم، قالت: هَلَّا قلتَ كما قال جميل:

يا رَبَّ عارضةٍ علينا وصلها      بالجدِّ تخلطه بقولِ الهازلِ  
فأجبتُها بالقول بعد تأمُّلٍ      حُبِّي بُثينةً عن وصالِكِ شاغلي  
لو كان في قلبي كقدرِ قلامَةٍ      فضلاً لغيرِكِ ما أتتِكِ رسائلي

والله لا سَقَيْتُك شيئاً! فتركها وانصرف.

قلتُ: لو أدركتُ هذه العجوز لأنشدتها قولي:

وأقسِم لو قالت بوصولِ أجبتُها      بهجرانها والحبُّ يُفسده الوصلُ  
ثلاثُ حروفٍ لا أحب استماعها      تركبُ منها الوصل وهو لنا قتلُ  
وأقسِم بالخالين لو ذكرت لنا      وصالاً لِمات الحبُّ إذ إنه الأصلُ

ودخلت عزة على عبد الملك فقال لها: أتروين قولَ كُثَيْرٍ:

لقد زعمت أني تغيرت بعدها      ومَنْ ذا الذي يا عَزَّ لا يتغيرُ؟  
تغير جسمي والخليقة كالتي      عهدت ولم يُخبر بسرِّك مخبرُ

فقلت: لا أروي هذا، ولكن أروي قوله:

كأني أنادي صخرةً حين أعرّضت      من الصمّ لو تمشي بها العضمُ زلت  
صَفوحًا فما تَلْقاك إلا بِخَيْلَةٍ      فَمَنْ ملَّ منها ذلك الوصلَ ملّت

فضحك من ذلك وقال: عجبتُ منه، يهواكِ بمثل ما اشتهر عنه، وأنتِ مُعرِضة هذا الإعراض! فكيف به لو كنتِ تُظهِرين له اللين عوضَ القسوة؟! وإن جميلًا لما حضرته الوفاة قال: مَنْ ينعاني إلى بثينة؟ قال رجل: أنا، فأعطاه حُلّته، فسار حتى جاء الحيّ فأنشد:

بكر النعيّ وما كُنِي بجميلٍ      وثوى بِمصرَ ثواءَ غيرَ قُفولِ  
بكر النعيّ بفارسِ ذي همّةٍ      بطلٍ إذا حمَّ اللقاءُ مُذيلِ  
قومي بُثينةُ واندبي بعويلٍ      وابكي خليكِ دونَ كلِّ خليلِ

فسمعتِ بثينةُ فخرجتْ مكشوفةً تقول:

وإن سُلويّ عن جميلٍ لساعةٍ      من الدهر لا حانت ولا حان حينها  
سواءً علينا يا جميلُ بنَ معمرٍ      إذا متَّ بأساءِ الحياةِ وليئها

ثم قالت للناعي: يا هذا، إن كنتَ صادقًا فقد قتلّني، وإن كنتَ كاذبًا فقد فضحتني، فقال لها: والله إنني لصادق، وأخرج الحُلّة، فلما رأتها صرخت، وصغت وجهها، وأقبل النساء يبكين معها حتى خرّت مغشيًا عليها، ثم أفاقت وأنشدت: «وإن سُلويّ ... البيتين» فلم يُسمع منها غيرهما حتى قُبِضت. ولكتّير قوله:

قضى كلُّ ذي دينٍ فوقَيّ غريمه      وعزةٌ ممطولٌ مُعنى غريمها

وذكرتُ في أول هذا المجموع قصة رُويت عن هذا البيت، والآن أذكر غيرها؛ ذلك أنه كان لكتّير غلام يتّجر على العرب، فأعطى النساء إلى أجل، فلما قضى ما له منهنّ ماطلته عزة، فقال لها يومًا وقد حضرّت في نساء: أما أنّ أن تُقي بما عندك؟ فقلت: كرامة، لم يبق إلا الوفاء، فقال: صدق مولاي حيث يقول: «قضى كلُّ ذي دين ... البيت»، فقلن

له: أتدري مَنْ غريمْتُكَ؟ فقال: لا، قلن: هي والله عزة! فقال: أُشْهِدُكَ عَلَى أَنَّهَا فِي جِلِّ  
مما عندها. ومضى فأخبر مولاه بجلية الأمر، فقال له: وأنت حرٌّ وما عندك لك. وفي روضة  
الدولتين أن الذي وهبه كُثِيرٌ كان ألف دينار، وأنشد حين أعتق الغلام:

سِيَهْلِكَ فِي الدُّنْيَا شَفِيقٌ عَلَيْكُمْ      إِذَا غَالَهُ مِنْ حَادِثِ الدَّهْرِ غَائِلُهُ  
يُودُّ بِأَنْ يُمْسِيَ سَقِيمًا لَعَلَّهَا      إِذَا سَمِعَتْ عَنْهُ بِشَكْوَى تُرَاسَلُهُ  
ويَهْتَرُ لِلْمَعْرُوفِ فِي طَلَبِ الْعُلَا      لِتُحَمَّدَ يَوْمًا عِنْدَ عَزِّ شِمَائِلُهُ

فانظر إلى رقة هذه الأبيات، واعلم شرفه في حبه عند قوله: «ويَهْتَرُ لِلْمَعْرُوفِ ...  
إلخ»؛ فإنه قدح فيه فأورى، وما أبقى لسواه من الشعراء غايةً يتطلَّبونها.  
واعترضته يوماً عجوز معها نار في روثه، فقالت: مَنْ أنت؟ قال: صاحب عزة، فقالت:  
أنت القائل:

وما روضةً بِالْحَزْنِ طَيْبَةُ الثَّرَى      يَمْحُجُّ النَّدَى جَنَجَانُهَا وَعَرَاوِهَا  
بِأَطْيَبِ مَنْ أَرْدَانَ عَزَّةً مَوْهِنًا      إِذَا أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبَ نَارُهَا

قال: نعم، قالت: ويحك! إذا أوقد المندل الرطب على هذه الروثة أو بُخَّرَتْ به أمك  
العجوز الشنعاء كانت كذلك، فهلا قلت كما قال امرؤ القيس:

ألم تَرَيَانِي كُلَّمَا جِئْتُ زَائِرًا      وَجَدْتُ بِهَا طَيْبًا وَإِنْ لَمْ تَطْيِبْ

فناولها مطرف خزُّ كان معه، وقال: استُري عليّ ذلك. وعن التزيين أن قد ورد في  
تاريخ ابن خلكان قول بعض مشايخ الأدب أن ليس على كُثِيرٍ شيء من الملازمة والتقريع؛  
فإن قوله: «إِذَا أَوْقَدَتْ بِالْمَنْدَلِ الرَّطْبَ نَارُهَا» نعتٌ للروضة المذكورة.  
ولي وقد قدمتها لجناب الفاضل الأديب عزتلو سليم بك تقلا صاحب جريدة الأهرام  
الغراء؛ تهنئة بزفافه الميمون الطالع:

نَهَاها عَنِ مَحَبَّتِنَا نَهَاها      فَتَاهَ تَعَجِبًا مِنْهَا فَتَاهَا  
سَرَى أَرْجُ النَّسِيمِ لَذَا أَرَاهُ      كَثِيبًا حَيْثُ أَنْبَأَ عَنْ جَفَاهَا

وَحُلِقِ قُلُوبُ: تَبَارَكَ مَنْ بَرَاهَا  
فَكَانَ لَعْدِرِهَا نَهْرٌ سَقَاهَا  
بِهَا أَبَدًا أُسَائِلُ عَنْ رِضَاهَا  
وَلَا أَلْقَى مُجِيرًا مِنْ هَوَاهَا  
حَمَائِمُ رَامَةٌ وَمَهَى نَقَاهَا  
فِإِلَاتِنَا لِحَظَّتُنِي مُقَلَّتَاهَا  
بِمَدْحِ سَلِيمٍ فَهُوَ يَرَى دَوَاهَا  
مِنَ الْعُلَيَاءِ قَامَ عَلَى ذُرَاهَا  
مَحَامِدَ شَخِصِهِ وَبِهَا تَبَاهَى  
هِيَ الْعُلَيَاءُ تَدْعُوهُ أَبَاهَا  
فَنَالَ مَرَاتِبًا تَعْلُو سَمَاهَا  
يَدُ الرَّحْمَنِ مِنْ أُبْهَى حُلَاهَا  
وَلَكِنْ قَدْ عَلَا فَضْلًا عُلَاهَا  
وَإِنْ تُنْكَرُ عَلَيْهَا انْظُرْ بِهَاهَا  
رَكَائِبُهُ فَإِنَّ بِهِ رَجَاهَا  
فَقُلْتُ: الشَّمْسُ قَدْ زَارَتْ أَحَاهَا  
لِتَرَوِي بِاللِّقَا يَوْمًا ظَمَاهَا  
تَجَلَّى فِي سَمَاهَا نَيْرَاهَا  
مَجَالِي الْأَنْسِ الْوَيْةَ نَرَاهَا  
لِرَوْضِكُمْ ارْتَوَاءً مِنْ نَدَاهَا  
تَوَمَّلْ فِي حِمَاكُم مَّا حَمَاهَا  
وَإِلَّا فَاسْتَرَوْا عَيْبًا عَرَاهَا  
لِنَادِيكُمْ أَقْدَمَهَا شَفَاهَا  
مَمْنَعَةٌ فَلَا تَخْشَى اشْتِبَاهَا  
مَهَاءً تَرْتَجِي مِنْهُ انْتِبَاهَا  
مَدَى الْعَمْرِ الطَّوِيلِ وَذَا مَنَاهَا  
لَكُمْ وَبِمَسْكِ مَدْحِكُمْ انْتِبَاهَا

فَتَاءٌ زِيْنَتْ بِكَمَالِ خَلْقِ  
أَرَأَيْتَ مِنْ دِمَائِي وَمِنْ دُمُوعِي  
لَقَدْ طَالَ الْوَقُوفُ عَلَى رِبُوعِ  
سَقَمْتُ فَلَا أَرَى فِي الْحَبِّ مَلْجًا  
لَقَدْ عَلِمْتُ بَعِزَّتَهَا وَذُلِّي  
مَضَى زَمَنِي وَمَذَّأَمْتُ مِنْهَا أَنْ  
لِذَاكَ أَتَيْتُ أَبْغِي لِي خِلَاصًا  
عَزِيْزٌ عِنْدُنَا وَلَدَى سِوَانَا  
رَوَى رَاوِي فَضَائِلُهُ عَلَيْنَا  
وَهَا الْأَهْرَامُ تَخْطُبُ بَيْنَ قَوْمِي  
هَمَامٌ عَارِكُ الْأَيَّامِ جَهْدًا  
فَعُجْجُ بِي نَحْوَ دَارِ زِيْنَتِهَا  
تَرَى أَهْرَامَ مِصْرٍ حَلًّا فِيهَا  
أَرَى أَرْضَ الشَّامِ بِهَا اسْتِنَارَتْ  
شَرِيفٌ حَلَّ مَجْدٌ حَيْثُ حَلَّتْ  
بَدَا فِي أَفْقِ أَرْضِ الشَّامِ بَدْرًا  
رَأَتْ مِنْهُ التَّقَرُّبُ فَاسْتَفْرَزَتْ  
هِيَ الدَّارُ الَّتِي فِيهَا عَجِيبٌ  
زَفَافِكُ حَافِلٌ عَقَدَتْ عَلَيْهِ  
نَهْنُتِكُمْ عَلَى بُعْدٍ وَنَرَجُو  
تُسَاقُ إِلَيْكُمْ أَبْيَاتُ شَعْرِ  
فَإِنْ قَامَتْ بِخِدْمَتِهَا بِصَدَقِ  
وَإِنِّي لَوْ بُوَسْعِي كُنْتُ أَسْعَى  
مَطْرَزَةً بِمَدْحِكُمْ لِهَذَا  
إِلَى رَبِّ الْقَرِيضِ يَزْفُ عَبْدٌ  
فَلَا زِلْتُمْ بِتَوْفِيْقِي وَحِظُّ  
فَمَطَّلِعَهَا التَّغْزُلُ فِي صِفَاتِ

وأرسلت أم قيس ابن ذريح إليه يوماً بناتٍ يعبنُ لُبْنَى ويُلْهِنُه بالتعرُّضِ إلى وَصلهنَّ،  
فأنشد:

يَقْرُّ لِعَيْنِي قُرْبُهَا وَيَزِيدُنِي      بها عَجَبًا مَنْ كَانَ عِنْدِي يَعْيبُهَا  
وَكَمْ قَائِلٌ قَدْ قَالَ: تُبُّ فِعْصِيَّتَهُ      وتلكَ لِعَمْرِي تَوْبَةٌ لَا أَتُوبُهَا  
فِيَا نَفْسُ صَبْرًا لَسْتُ وَاللَّهِ فَاعْلَمِي      بأولِ نَفْسٍ غَابَ عَنْهَا حَبِيبُهَا

فلم ينصرفن، ودمنَ على ما كنَّ فيه، فنادى: يا لُبْنَى، فقلن: ما لك؟ قال: خَدِرتِ رِجْلِي «وكان من المعلوم عند العرب أنه إذا خدِرت رِجْلُ الرَّجُلِ وذَكَرَ لها أَحَبَّ النَّاسِ إليه سَكَنَتْ». ثم قال:

إِذَا خَدِرَتْ رِجْلِي تَذَكَّرْتُ مَنْ لَهَا      فنَادَيْتُ لِبْنَى بِاسْمِهَا وَدَعَوْتُ  
دَعْوَتُ التِّي لَوْ أَنَّ نَفْسِي تُطِيعُنِي      لِفَارَقْتُهَا فِي حُبِّهَا فَقَضَيْتُ  
بَرَّتْ نَبْلُهَا لِلصَّيْدِ لِبْنَى عَشِيَّةً      وَرَشَّتْ بِأُخْرَى مِثْلَهَا وَبَرَيْتُ

ودخل عليه، وهو قد برَّحَ به الهَجْرُ وآلَمَه الفراق، طيبٌ مع قَيْنَاتٍ يَسْأَلُونَ عن حاله ويُلْهُونُه، فلما أطالوا عليه أنشد:

عِنْدَ قَيْسٍ مِنْ حُبِّ لِبْنَى وَلِبْنَى      دَاءُ قَيْسٍ وَالْحُبُّ صَعْبٌ شَدِيدٌ  
فَإِذَا عَادَنِي الْعَوَائِدُ يَوْمًا      قَالَتِ الْعَيْنُ: لَا أَرَى مَنْ أُرِيدُ  
لَيْتَ لِبْنَى تَعُودَنِي ثُمَّ أَقْضِي      أَنِهَا لَا تَعُودُ فَيَمُنُ يَعُودُ

فقال له الطبيب: من كم هذه العلةُ بك؟ ومن كم وَجَدْتَ بهذه المرأة ما وَجَدْتَ؟  
فقال:

تَعَلَّقَ رُوحِي رُوحَهَا قَبْلَ خَلْقِنَا      وَمَنْ بَعْدَ مَا كُنَّا نَطَافًا وَفِي الْمَهْدِ  
فَزَادَ كَمَا زِدْنَا وَأَصْبَحَ نَامِيًا      وَلَيْسَ إِذَا مِتْنَا بِمُنْفِصِ الْعُقْدِ  
وَلَكِنَّه بَاقٍ عَلَى كُلِّ حَادِثٍ      وَزَائِرَتِي فِي ظِلْمَةِ الْقَبْرِ وَاللَّحْدِ

وقال فرنسيس أفندي مراش الحلبي:

لِمَ الذُّلُّ لَا حَزْتُ المَعزَةَ فِي جنسِي  
إِذَا بَعْتُ فِي سِوقِ الهَوَى شَرَفَ النَفْسِ  
أَلَا يَا لِحَى اللّهِ الجَمَالَ فكم بِهِ  
يَذُلُّ لذي ضَعْفٍ قوِيٍّ أخو بَأْسِ  
سَلَوْتُ وَمَا السُّلْوَانُ إِلَّا لِأَنَّنِي  
أَرَى الرَّأْسَ مِنِّي لَا يَمِيلُ إِلَى النُّكْثِ  
وَلَا عَدْتُ أَهْوَى رَبِّةَ الحَسَنِ طَالَمَا  
أَبِي الحُسْنُ أَنْ يُجِدِي المَحَبَّ سِوَى النُّحْسِ  
إِذَا مَا نَأَى عَنكَ الغَرَامُ حَذَارٍ مِّنْ  
مَفَاعِيلٍ رَدَّ الفِعْلُ تَنجُّ مِّنِ البُؤْسِ  
وَإِنْ أَصْبَحْتَ مِثْلَ السِّوْفِ عُيُونَ مَنْ  
تَحَبُّ فَعُضَّ الطَّرْفَ فَالغُضُّ كَالتُّرْسِ  
هَوَيْتُ فَتَاةً وَالهَوَى شَرُّ نَقْمَةٍ  
فَرُحْتُ عَدِيمَ الرِّشْدِ وَالعَقْلِ وَالحَسِّ  
ذَلَلْتُ لَهَا ذُلَّ الفَقِيرِ لَدَى الغَنِيِّ  
فِيَا وَيْحَ ذِي عَزٍّ غَدَا نَاكِسَ الرَّأْسِ  
وَلَكِنَّنِي وَالحَمْدُ لِلّهِ سَالِيًا  
غَدَوْتُ وَسُلْوَانَ الهَوَى رَاِحَةَ النَفْسِ  
غَرَسْتُ بِقَلْبِي نُصْحَ أَهْلِ مَوَدَّتِي  
فَذَقْتُ ثَمَارَ الفَوْزِ مِّنْ ذَلِكَ الغَرِيِّ  
بَسَجْنُ الهَوَى قَدْ غَادَرْتَنِي كَمُجْرِمٍ  
حَبِيْسًا وَهَا إِنِّي خَرَجْتُ مِّنِ الحَبْسِ  
وَقَدْ أَطْلَقْتَ عَيْنِي إِلَى النُّوحِ وَالبُّكََا  
كَمَا قَيَّدْتَ عَقْلِي عَنِ العِلْمِ وَالدَّرْسِ  
عَشَقْتُ أَحْمِرَارَ الخَدِّ مِنْهَا وَلَمْ أَكُنْ  
عَلِيمًا بِأَنَّ الفَضْلَ لِلصَّبْغِ وَالدَّبْسِ

وَمَنْ وَجْهَهُ لَمْ يَكْسُهُ الطَّبَعُ رَوْنَقًا  
 فَمَوْهَ ذَا قَبْرِ تَبْيِضٍ بِالْكَلِيسِ  
 أَرْتَنِي الْبَهَا بَيْنَ الْحَوَاجِبِ وَأَنْتَنَتْ  
 تَقُولُ: أَشَمَّتَ الشَّمْسُ فِي دَارَةِ الْقَوَيْسِ  
 فَقُلْتُ: بَلَى لَكِنَّ ذَاكَ تَصْنَعُ  
 وَمَا الْيَوْمُ قَدْ عَايَنْتُهُ لَمْ يَكُنْ أَمْسِ  
 إِذَا لَمْ يَكُنْ لَوْنُ الْمَحْيَا يَلُوحُ عَنِ  
 تَشَعُّعِ أَنْوَارِ الْجَمَالِ فَذُو فَكْسِ

وقال مكرمتلو رسول حقي أفندي النجاري:

وَأَضْحَى تَغْرَهُ الْخَمَارُ وَرَدِي أَسُودَ الْغَابِ مِنْهُ بَحْدَ هِنْدِي لِأَهْمِيفَ قَدْ مُضْنَاهُ بَقْدُ وَقُوهُ بِأُولِ الْأَعْرَافِ قَصْدِي وَيَحْلُو لِي بِهِ سَهْدِي كَشَهْدِي وَلَكِنْ دُونَهُ الْأَلْحَافُ تُرْدِي لَجَنَاتٍ وَنِيرَانٍ بِحَدِّ وَيَطْفِئُ بِالْدَنُوقِ جَحِيمِ وَجْدِي عَلَيْهِ قَدْ اسْتَعَانَ بِشَدِّ بَنْدِ وَيَتْنِينِي بِهِ عَنِ ذَاتِ نَهْدِ وَصَبْرِ الصَّبِّ عَيْلَ بِمَطْلٍ وَعَدِ يُصَدِّقُ وَصْلُهُ مِنْ بَعْدِ صَدِّ فَفِي رَشْفِ اللَّمَى رَاحِي وَبَرْدِي إِلَيْهِ وَدَعِ هَوَى دَعْدِ وَهَنْدِ جَمَادٍ مَا لَهُ ذَوْقُ كَصَلْدِ وَنَيْلِ الْوَصْلِ مِنْهُ بِالتَّصْدِي بِهِ مَا بَيْنَ إِغْرَاءِ وَرَدِّ	زَهَا فِي خَدِّهِ الْوَضَاحِ وَرَدِي غَزَالٌ قَدْ غَزَا مِنْ مَقْلَتَيْهِ وَهَزَّ بِقَدِّهِ رُمَحًا فَوَاهَا يَصِيدُ بِصَادٍ نَاطِرَهُ فَوَادِي أَشَاهِدُهُ فَيَجْلُو غِبْنَ عَيْنِي وَوَرْدُ الْوَجْنَتَيْنِ جَنَاهُ دَانِ لَهُ خَدُّ حَوَى الضَّدَيْنِ فَاعَجَبُ وَأَعْجَبُ مِنْهُ أَنْ الْخَدُّ نَارُ وَأَنْحَلَ خَصْرَهُ رَدْفُ وَلَكِنْ فَيَجْذِبُنِي لَدَيْهِ بِالتَّتْنِي وَيَحْلُو وَعَدُهُ فِإِلَامٍ يَوْفَى وَإِنِّي مَغْرَمٌ مُغْرَى وَأَنْئَى وَإِنْ أَكْ ذَا اشْتِغَالٍ وَاشْتِعَالِ يَحْدِثُنِي فَوَادِي أَنْ تَصَابِي وَمَرَّةً لَمْ يُحَرِّكُهُ جَمَالُ وَيُغْرِينِي غَرَامِي بِالتَّدَانِي وَعُدَّالِي تَرْدُ فَحَارَ عَقْلِي
--	--

وقال مستعيناً باسمه على لِحْظِ الْأَعْيَدِ الْفَاتِكِ بِجِسْمِهِ:

وغدا يُبَاهِي الْغَيْدَ وَالْغَادَاتِ	رَشَاءُ رَشِيْقٍ جَرَّ ذَيْلَ دلالِهِ
من كُلِّ ذَاتِ أَطْيَبِ اللَّذَاتِ	يَرِنُو فَيَفْتِكُ بِالْفَتَى وَدُنُوهُ
لمن ابْتَلِي مِنْ عَشِقِهِ بِمَمَاتِ	وحياتُهُ ماءُ الحِياةِ بِنُغْرِهِ
يَسْطُو على الْأَسَادِ فِي الْغَابَاتِ	قد قَلْتُ وهو ببأسِ سحرِ عِيونِهِ
حَقًّا رسولَ الشُّعْرِ ذُو الْآيَاتِ	إِنْ كُنْتَ ذَا سِحْرِ الْعِيونِ فَإِنْنِي

ولأحد الشعراء قوله في حبيبٍ ضرب بعود قصب السكَّر:

ما قد جرى فالأمر ليس بمنكَّر	ضربَ الحبيبِ فقلتُ: لا تأسفِ على
ما كنت تُضربُ بالقضيبِ السكَّر	لو لم تكن حُلُو الشمائلِ يا رشا

ولا بأس من ذكر هذه القصيدة، وإن تكن ليست من موضوع الكتاب، فإن قدر المدوح يستلزم الرفع، وقد قدمتها لجناب الشاب الذكي فرع شجرة المعالي عزتو حسن أفندي بيهم؛ تهنئة بزفافه المسعود:

ولا تَسَلْ عن جَوْرِ حَبِّ بَعِيدِ	دع عنك ذِكْرِي إِنْ سِ ظَبِي وَغَيْدِ
ذَكَرِي المَهَى وما لها مِنْ عبيدِ	ولا تَرُمْ في موقِفِ حَافِلِ
نُدْبِجِ الشُّعْرِ الثَّنَاءِ المَجِيدِ	واهُجُرْ مغانِئِها وهِيّا بنا
فرعٌ مَجِيدٌ ما له من نديدِ	وعُجْ بدارِ الفضلِ حيثُ بها
تَرْفُلُ في ثوبِ الهناءِ الجَديدِ	فإنما مِنْ بهجَةٍ قد بَدَتْ
من كُلِّ صَوْبٍ نحو بيتِ العميدِ	تري كِرَامَ الناسِ قد أَقْبَلُوا
وحسُنْ كالبدرِ فيهم فريدِ	كالزَّهرِ في أفقِ العلى أَشْرَقَتْ
في بيهم ساد برأى سديدِ	سليلاً مجدٍ فرعٌ أصيلٌ ذكي
يروي المعالي عن أبيه الرشيدِ	أكرمٌ به من فاضلٍ كاملِ
كأنه في المجد بيتُ القصيدِ	شهُمٌ شهيرٍ من بني بيهم
إلى نواديه بأحلى النشيدِ	مدائحُ تَنقَادُ في عزِّها
فكان فيها مثلُ وَسْطَى العقودِ	مأثِرٌ في شخصه جُمِعَتْ

إِنَّ فَاهَ فِي جَمْعِ فَكْلٍ بِمَا  
 أَقَدَّمَ الْيَوْمَ الْقَرِيضَ إِلَى  
 أَبْدِي التَّهَانِي فِي زَفَافٍ لَهُ  
 يَا لَيْلَةَ الْعُرْسِ الَّتِي أَصْبَحْتَ  
 أَشْرَقَ فِي الْأَفَاقِ مِنْكَ سَنَا  
 وَدَارَتِ الشَّمْسُ عَلَى مَحْوَرٍ  
 وَاجْتَمَعَ الْبَدْرَانِ فَاعْجَبَ لِمَا  
 فِيهَا سَلِيلَ الْمَجْدِ دَامَتْ لَكُمْ  
 لَا زَلَّتْ مَحْرُوسًا بِحِفْظِ الَّذِي  
 شَيْدَ عَبْدُ اللَّهِ فَوْقَ السُّهَى  
 وَإِنَّ عَبْدَ الْقَادِرِ الْمُنْتَمِي  
 وَإِنَّ مُحْيِي الدِّينِ فِي آلِهِ  
 مُحَمَّدٌ حَقَّ الْمَدِيحُ لَهُ  
 وَكُلُّ آلٍ حَسَنٍ أَشْبَهُوا  
 فَلَا بَرَحْتُمْ يَا بَنِي بِيهِمْ  
 مَا أَسْرَعَ الْبَحْرَ السَّرِيحَ إِلَى

وقال فرنسيس أفندي مراش الحلبي من قصيدة بعث بها إلى الفاضل اللبيب جرجي أفندي يني من أدباء مدينة طرابلس:

حَمَى اللَّهُ مَنْ حَنَّتْ فزَارَتْ بِلَا وَعْدٍ  
 لِقَاءً أَطَارَ الْقَلْبَ مَنِي سُرُورُهُ  
 أَمَا وَالْهَوَى الْعَذْرِيَّ حَلْفَةَ وَالِهِ  
 مَهَاءَ شَكَا قَلْبِي تَبَاعَدَهَا كَمَا  
 وَلَمَا نَضَّتْ عَنْ بَدْرِ بَانَ سَحَابَةٌ  
 رَنْتَ بِكَحِيلٍ قَدْ تَوَارَى بِهِ الْحَيَا  
 سَقَنْتَنِي مِنْ كَأْسِ الْأَقَاحِ مُدَامَةً  
 وَقَدْ شَنَّفَتِ سَمْعِي بِنَطِقِ كَأَنَّهُ

حَمَى عَاشِقٍ لَوْلَا اللَّقَا ذَابَ بِالصَّدِّ  
 فَأَنْشَدْتُهُ بَيْنَ التَّرَائِبِ وَالنَّهْدِ  
 تَمَنَيْتُ لَوْ كَانَتْ خُطَاهَا عَلَى خَدِّي  
 شَكَا قُرْطُهَا بَعْدَ الْمَنَاطِ عَنِ الْعَقْدِ  
 وَشَقَّتْ عَقِيْقًا عَنْ جُمَانَ وَعَنْ قَنْدٍ  
 فَأَوْرَى بِقَلْبِ الصَّبِّ وَجَدًا عَلَى وَجِدٍ  
 مُنْبَذَةً مِنْ سَكَّرِ الطَّلَعِ وَالْوَرْدِ  
 حَدِيثُ ابْنِ يَنِي فَاحِرِ الْجِدِّ وَالْجَدِّ

وله:

لا تَكَلِّفْنِي القِرَاءَةَ إِنِّي  
فإِذَا مَا فَتَحْتُ يَوْمًا كِتَابًا  
هائمٌ في هوى الغزالِ النَّفُورِ  
طاف طيفُ الحبيبِ بين السطورِ

وله:

على مَزاياكِ قد دَلَّتْ ثَنائِيكِ  
حُزَّتِ الجمالِ مُزَانًا بالحِياءِ فما  
مِنَ أَيْنَ للبدرِ ذِي الأَنْوارِ وَجْهُكِ أَوْ  
مَنْ لِي بِهَا أَعِينًا إِنْ غازَلْتُ وَغَزَّتْ  
أَفْدي جِمالِكِ بالنَّفْسِ التي قُتِلتْ  
صَلِي إِذا شِئْتِ أَوْ صُدِّي فَحَسْبِي أَنْ  
يَزِيدَنِي الهَجْرُ أَشْواقًا فَأَشْكُرُهُ  
تِيهِي فَكُلُّ جَمِيلٍ عَن جِمالِكِ قَدْ  
ما لِلنَّسِيمِ سَرَّتْ فِي الرُّوضِ عَاطِرَةٌ  
وما لِرِزْنِيقِ ذاكِ الرُّوضِ يَرْفُلُ فِي  
لِوَالِكِ لِمَ يَشْتَمِلُ لَفْظُ الجِمالِ عَلى  
وَكلِّ وَصِفِ أَتى عَن كَلِّ غانِيَةٍ  
فِي كَلِّ جارِحَةٍ مَنِي هِواكِ ثوى  
وَكلِّما لُحِتِ قالتِ كَلُّ كاعِبَةٍ:  
وَإِنْ تَبَسَّمتِ قالِ الدُرُّ وَهو شَجٌّ

فحُسنَ وَجْهِكِ يَحْكِي حُسنَ مَعناكِ  
أَحلى حِياكِ وَما أَجلى مَحياكِ  
لِللُغْصَنِ قَدُّكِ أَوْ لِلطَّبِي عِيناكِ  
صالَتِ عَلى كَلِّ فَتَّانٍ وَفَتَّانِ  
بِهِ فِيا طالِما عاشتِ بِمَراكِ  
تَشِي وَحَسْبُكِ فِي الحالِينَ أَهواكِ  
وَمنه أَشكو فِيا لِلشاكِرِ الشاكِى  
روى وَكُلُّ لَطِيفٍ عَن سَجاياكِ  
لَعَلِها لَثَمَتِ لِما سَرَّتْ فَاكِ  
ثوبِ البِياضِ فَهَلِ ضَمَّتَهُ نَهْداكِ؟  
مَعْنَى وَلم يَدِرِ قَلْبِي العِشْقَ لِوَالِكِ  
بِالحِسنِ يولِغُ فِي مَعناهُ إِلاكِ  
لِذاكِ أَرَجِفُ كُلى عِندَ ذِكرِكِ  
سَبْحانَ مَنْ لِجَمِيعِ الحُسنِ أوالِكِ  
عَلى مَزاياكِ قَدِ دَلَّتْ ثَنائِيكِ

وله:

حُنتُمُ العَهْدَ وَلم تَرَعوْا زِمامًا  
أَسَفَتِ نَفْسي عَلى دَهِرٍ مَضَى  
إِنْ غدا الغَدْرُ حِلالًا عِندَكُمُ  
ما عَلِيكُمُ قَطُّ مَنِي عَتَبُ  
إِنِّني مَلَكْتُكُم قَلْبِي فَلَم  
كَم سَهَرْتُ اللَّيْلَ أَرعى حَبَّكُمُ  
فإِلامَ القَلْبِ يِرعاكُمُ إِلامًا  
بِهواكُمِ حِثِّ لِمَ تَبْلُغُ مَرامًا  
فَهُوَ عِندَ الكَلِّ قَدِ أَضحى حَرامًا  
بَلِ عَلى قَلْبِ بِكُم ضَجٌّ وَهَما  
تَحَرسوا المَلِكَ وَلم تَرَعوْا مَقامًا  
وَلكُم قاسِيتُ وَجَدًا وَهَيامًا

ليت حُسْنَ الوجه لا يَسْبِي الأناما  
 مِن كِرامِ يَسْتَحِبُّونَ لئَامَا  
 تَرِكْكُمْ إِذْ خُنْتُمْ ذاكَ الذِّمامَا  
 رَغِمَ سلطانِ الهوى عَفْتُ الغرامَا  
 حينَ كُنْتُمْ عُرُوَّةً تَأْبَى انْفِصامَا  
 هل تَخَذْتُمْ عِوَضَ النورِ ظلامَا؟  
 لا سَقاكِ اللهُ مِن بعدي العَمَامَا  
 للكلابِ اليومَ أَصْبَحْتَ مَقامَا  
 بنواحيها لئَامَا لا كِرامَا  
 ضَرَبْتَ فيها ذَوو النَحسِ الخيامَا  
 إِذْ رَأى الأحياءَ قد صارتِ رِمامَا

ليت ذاكَ الحَبِّ لا كانَ ويا  
 كم بدا الحَسَنُ على لؤمِ فِكم  
 عِزَّةُ النفسِ دَعَتْ قلبِي إلى  
 ففؤادِي قد سَلَكمَ وعلى  
 كانتِ النفسُ لَكمَ عاشقَةً  
 فِمْمَنَ عَوَّضْتُمونِي يا تُرى  
 يا رُبوعًا قد رعى غيرِي بها  
 كُنْتَ لِلأسادِ غابِاتٍ وها  
 لا سَقى الوَسْمِيُّ دارًا جاوَرْتَ  
 رحَلْتَ عنها مطايا السعدِ مُدًّا  
 وَقَفَ الحاسدُ فيها شامِتًا

وقال الشيخ أحمد أفندي قباني:

نَعَمًا مِن وصاله ودلالًا  
 أَجَلَ البدرِ في البها والهِلالًا  
 فَهَداه بِصَبحِ وجهِ تلالًا  
 لا يرى للغرامِ عنه انْفِصالًا  
 فالهوى قاتِلِي به لا مَحالًا  
 وعلينا قد سَلَّ منها نِصالًا؟  
 في لهيبِ يَزِيدُ لُبِّي اشتعالًا  
 سَقَمًا وهي رامياتُ نِبالًا  
 وعلى اللهِ قد جَعَلْتَ اتِّكالًا  
 مِن حبيبِ لِي البعادِ أَطالًا  
 قابِلُ بالرَضَى لَدِيهِ الفِعالًا  
 أَفلا تَمَنِّحُ المَعْنَى الوِصالًا  
 بفؤادِي ما ضاءَ بدرِ وما لاح  
 صالَ فَتَنَّا على الأسودِ وجالا  
 قلت: يا مُخْجَلِ القَنَا تَهْ دِلالًا

يا غزالًا أحياءِ الفؤادِ وأولاهُ  
 مُذْ تَبَدَّى جَبِينُهُ ومحيَّاهُ  
 كم مُحَبِّ بَطْرَةٍ مِنْه قد تاهُ  
 وكثيبِ غرامُهُ فِيه أَضناهُ  
 ذُبْتُ وَجَدًا ولسْتُ أبرحُ أهواهُ  
 كيف والحربُ قد أَقامتُهُ عِناهُ  
 وفؤادِي مما أَقامتُهُ خَداهُ  
 فإِلامَ بالسَّحَرِ تَنفُثَ جَفْناهُ  
 يا خَلِيًّا دَعْنِي فحُبِّي مِنَ اللهِ  
 لا تَلْمَنِي فَإِنِ وَعْدِي أَلقاهُ  
 فهو إنِ جارٍ أو سَطَا لِمُعْناهُ  
 يا غزالًا جَعَلْتَ قلبِي مرعاهُ  
 إنَّ عهدي القَدِيمَ لا زِلْتُ أَرعاهُ  
 وغزالًا بالأَجْرَعِ الفَرْدِ مأواهُ  
 وعلى العاشقِ المَعْدَبِ قد تاهُ

وليوسف أفندي سنو من قصيدة يمدح بها الشهم الفاضل السيد محمود أفندي الخجا من أعيان بيروت:

مُحْيَاكَ أَمْ قَرْنَ الْغَزَالَةِ أَوْضَحُ  
وَرِدْفُكَ أَمْ دِعْصُ وَقَدُّكَ أَمْ نَقَّا  
إِلَى اللَّهِ شَوْقٌ لَا يَزَالُ رَسِيْسُهُ  
أَحَاوِلُ قَلْبَ الْقَلْبِ عَنْهُ فَيَنْتَنِي  
فَلَوْ رَقَّ بِالْأَشْجَانِ قَوْلُ مَتِيْمٍ  
وَلَوْ يَتَدَاوَى النَّاسُ مِنْ دَمْعِ مَعْرَمٍ  
مَهَاةَ الْحَمَى هَلَّا تَأَلَّفَتِ عَاشِقًا  
وَحَتَّامٌ مِنْ أَنْهَارِ قُرْبِكَ يَرْتَوِي  
فَإِنْ كَانَ حَرْبٌ بَيْنَ جَفْنَيْكَ وَالْحَشَى  
وَإِلَّا فَيَأْنِي عَنْكَ أَرْغَبُ مَا دَحَا  
فَتَى الْحَمِيدِ مُحَمَّدِ الْأَيْدِي وَمَنْ حَوَى  
فَتَى سَادَ بِالْمَعْرُوفِ وَالْحَلْمِ وَالْوَفَا

وَقُرْبِكَ أَمْ صَبْرُ الْمَتِيْمِ أَنْزَحُ؟  
عَلَيْهِ فَوَادِي طَائِرٌ يَتَرَنَّحُ  
جَدِيدًا، عَنِ الْأَحْشَاءِ لَا يَتَزَحْزَحُ  
وَإِنْ رُؤْمَتِ شَخَّ الْعَيْنِ بِالْدمْعِ تَسْمَحُ  
بِتَرْتِيلِ لَفْظِي فِي دُجَى اللَّيْلِ أَفْصَحَا  
شَفَّتْ أَدْمُعِي مَنْ سَقَمُهُ لَيْسَ يَبْرَحُ  
مَتَوْنُ هَوَاهُ فِي الْوَرَى لَيْسَ تُشْرَحُ  
سِوَايَ وَفِي أَبْحَارِ بُعْدِكَ أَسْبَحُ  
أَلَا فَاصِلِحِي بِالْوَصْلِ فَالْصَلْحُ أَصْلَحُ  
فَتَى بِاسْمِهِ أَهْلُ الْكَمَالِ تُسَبِّحُ  
حَمِيدَ صِفَاتٍ مَدَحَهَا النَّاسُ تَرْبِحُ  
وَحُسْنَ السَّجَايَا وَالْوَدَادِ الْمَوْضِحِ

ولي وقد قدّمته لمعالى حضرة العالم العلامة والبحر الفهامة، الجهبذ النحرير والوزير الخطير، صاحب الدولة جودت باشا؛ تهنئة له بتسميته ناظرًا للعذلية:

هُوَ الْحَبُّ مِنْهُ النَّاسُ قَدْ أَصْبَحُوا سَكْرَى  
فَكَمْ مِنْ عَزِيْزٍ ذَلَّ كُرْهًا لِبَآسِهِ  
قَضَى كُلُّ ذِي لَبِّ بَرْفَعَةَ شَأْنِهِ  
هَجَرْتُ هَوَى الْغَادَاتِ مِنْ أَجْلِ أَنْنِي  
وَزِيْرٌ خَطِيْرٌ حَلَّ كُلَّ مَعْقِدٍ  
هَمَامٌ إِذَا مَا أَمَّ يَوْمًا بِخَاطِرٍ  
لَبِيْبٌ لَهُ فِي كُلِّ مَعْنَى مَآثِرٌ  
سَرَى الْبَرْقُ مِنْ دَارِ السَّعَادَةِ مَعْلَنَا  
فَكَمْ مِنْ قَلُوبٍ أَفْعَمَتْ فَرْحًا وَكَمْ

بِرَاحٍ مِنَ الْأَلْطَافِ إِذْ نَفَخَتْ عِطْرًا  
وَنَفْسِي لِنَيْلِ الْفَخْرِ مِيَالَةً جَهْرًا  
سِوَايَ فَلَيْسَ الْحَبُّ لِي آيَةً كَبْرَى  
رَأَيْتُ مَدِيْحِي جَوَدَتِ الشَّهْمُ بِي أُخْرَى  
بِآيَاتٍ عَدَلٍ قَدْ تَبَدَّتْ لَنَا تَنْثَرَى  
لِشَّمِّ جِبَالِ الْغَيِّ دَكَّتْ بِهِ قَسْرَا  
تَأَثَّرَهَا كُلُّ مَنْ النَّاسِ فِي الْمَسْرَى  
بَطْلَعْتَهُ فِي أَفْقِ عَذْلِيَّةٍ بَدْرَا  
نَفُوسٍ رَأَتْ مِنْ بَعْدِ إِعْسَارِهَا يُسْرَا

حديداً الغوى والظلم من رأيه تبرا  
 بهمته غمر الرداء ولا كسرى  
 حريز حماة المستطيل به فخرا  
 له فكر في الحكم كالغيث بل أجرى  
 سكرنا بها من قبل أن نعرف الخمر  
 به خلّب الألباب بل علم السحرا  
 جرت في بحار العلم باسمه تغرا  
 لأعظم آل الملك أرفعهم قدرا  
 ذكاؤك من ذا البيت يأخذه ذخرا  
 لروض عقول الناس تجري بها نهرا  
 تحير فاستهدى بأنوارك الغرا  
 جديراً وإلا قل لعل له عذرا  
 أيطمع في التقبيل من عشق البدر  
 بعالم علم خير ما يبتغي ذكرا  
 ولكن هوى الأوطان والله بي أغرى

يُعيد بإكسير العدالة والنهي  
 إذا عيس الخطب الجليل رأيتُه  
 هو المانع الضيم العزيز جنابُه  
 له همم تعلقو السماكين رفعة  
 ويقدح عن زند التبخر نفثة  
 إذا فاه فالدرّ النظيم كلامه  
 فله فضل في سفينتك التي  
 ويكفيك إماماً قيل هذا مؤرخ  
 دخلت بيوت العلم للعلم فانبى  
 أما أنت من أرسلت ماء معارف  
 لعمرى أنت الحامل الإصر عن فتى  
 يؤم لناديق القريض فإن بدا  
 يكذب عشق النظم حسن صفاتكم  
 أشرف أبياتي بلثم يد لها  
 ولست لعمرى مادحاً لمقاصد

وللشيخ محمد أفندي طيارة من قصيدة يُهنئ بها سليم أفندي البربر بزفافه:

شمس راح عرّفها بي عرفاً  
 نقدّها عني العنا قد عرفاً  
 وبمعناها لسمعي شنفاً  
 حيث تلقى ما حلا مرتشفاً  
 ما يُعاطي عاشقها قرفاً  
 عطّفها بالقرب من بعد الجفا  
 بزفافٍ لسليم ذي الوفا

وعلى وجنة بدر عاطني  
 وأبر صرقاً مُداماً عتقت  
 وعلى صوت المثاني هاتها  
 وأغنم الأنس بأوقات صفت  
 ومهأة الخدر في ميسمها  
 حبذا ليلة حظّ رق لي  
 قد حكّت ليلة أنس أشرقت

وله من أبيات:

وغراماً ساقني للتلف  
 أنني صبّ كثير الشغف

يا مهاة أودعت قلبي شجى  
 إن دمعى وسقامي شهدا

## خطرات أفكار

فبروحي أفتديها عادة  
وغدت تهزأ في شمس الضحى  
سلبت عقلي بريق القرقف  
بجبين قال للبدر: اختف

وقال مشطراً:

تعشقتُها عمياء شاب وليدُها  
وفي مذهبي حبي لها خير مذهب  
على حين ألهى الناس حور كواعب  
وللناس فيما يعشقون مذاهب

ولي في حادثة:

جمعنا من المنثور ما احمر لونه  
فقلنا: لقد كانت محاباتنا له  
فطالبا ما ابيض منه بثاره  
لأن أحرقتنا منه جمرة ناره

ولي من قصيدة رفعتها لمقام من قدمت هذا الكتاب هدية برسم فضله:

مذ بليل الشعر تهنا  
مذ ظمنا من ضرام الـ  
فبألحاظ جداد  
وأدارت كأس لحظ  
فبذا الفرق هدتنا  
هجر بالريق روتنا  
وسهام رشقتنا  
وبريق أسكرتنا

ومنها:

ولقينا خير عمر  
قالت الآداب فيه  
قال وجه الفخر حقاً  
وبنات المجد منه  
هو في البلوى ثقتنا  
قدرة الله برتنا  
شفتاه قبالتنا  
أمننا قد زوجتنا

ولي من موشح بعثت به إلى عزتلو أحمد مهدي أفندي الأيوبي أحد أعيان الشام:

أترى في الحب أشكو ألما  
أسكرتني بعض جرعات اللمي  
من غزال ذي عيون نعس  
من ثغورهن شبه الأكويس

دور:

وَبِحَبِّ الْغَيْدِ أَضَحَّتْ حَيْرَتِي  
يَا لِقَوْمِي قَدْ غَزَّتْنِي جِيرَتِي  
أَعْجَبَ الْأَقْوَامَ مَا فِي سِيرَتِي  
رَيْثَمَا أُطْفِي لَهَيْبِ النَّفْسِ  
فِي بَحَارِ الْحَبِّ ذَاتِ الْقَبَسِ

إِنَّ قَلْبِي فِي الْهَوَىٰ يَا قَوْمَ حَارِ  
وَحَبِيبِي الْيَوْمَ فِي ظُلْمِي جَارِ  
وَحَدِيثِي بَيْنَ أَهْلِ الْعَشْقِ سَارِ  
رُمْتُ رَشْفًا مِنْ تُغُورِ اللَّدْمَى  
فَلْكَ قَلْبِي فِي الْبِحَارِ ارْتَطَمَا

دور:

وَسِيوْفٌ قَدْ أَضَاعَتْ هِمَمِي  
سَتَمْتُ نَفْسِي لِعَيْشِ مَوْلَمِ  
وَحَبِيبِي مِنْ دَمِي نَدَى سَلَمِ  
مَنْ عَيُونَ هُنَّ وَاللَّهِ قَسِي  
أَحْمَدُ الْمَهْدِيَّ بِدْرِ الْغُلَسِ

مَنْ جَفُونَ وَلِحَاظِ بِي سَهَامِ  
مَا لَجْرَحِ الْهَجْرِ وَاللَّهِ التَّنَامِ  
قَدْ تَدَاوَيْتُ فَلَمْ أَلْقِ الْمَرَامِ  
ظَبْيِي عُرِبَ بِلِحَاظِ قَدْ رَمَى  
سَرْتُ أَبْغِي لِي خَلَاصًا بِجَمَى

ولي وقد قدّمته لمن جعلت هذا الكتاب هدية برسوم فضله في زفاف أحد الأدباء:

فَكَانَ لَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ مَعَادُهَا  
فَكَانَ لَهُ فِي الْفَضْلِ مِنْهَا سَوَادُهَا  
وَهَلْ تَنْثَبِتِ الْأَشْيَاءَ وَلَيْسَ عَمَادُهَا  
بَعِيدًا فَنَحْوَ الْبَحْرِ كَانَ ارْتِدَادُهَا  
بِدَارِكِ فِي يَوْمٍ يُزْفُ فَوَادُهَا

خَلِيلِ الْمَعَالِي مِنْهُ كَانَ فَوَادُهَا  
وَفَدَ نَزَلَ الْأَعْنَاقَ مِنْهَا بِسُودِهَا  
عَمَادِ الْعُلَى وَالْفَخْرَ وَالْعِزَّ وَالْهَدَى  
هُوَ الْبَحْرُ وَالْأَنْهَارُ نَحْنُ وَإِنْ سَرَتْ  
عَسَى يَشْهَدُ الْأَقْوَامُ مَا شَهِدُوا هُنَا

وقال مكرمتملو رسول حقي أفندي النجاري في مליح يُسمى داود:

دَاوُدُ دَاوٍ عَلِيًّا عَلَّ فَيْكَ جَوَى  
هَذَا سَمِيكَ قَدْ لَانَ الْحَدِيدُ لَهُ  
كَمْ رَاحَ حَائِرٌ عَقْلٍ إِذْ رَأَى هَوَى  
وَالْفَكْرُ مُشْتَغِلٌ وَالْجَوْفُ مُشْتَعَلٌ  
يَهْزُ سَمْرُ الْقَنَا مِنْكَ الْقَوَامُ كَمَا

بِرَشْفِ فَيْكَ الَّذِي تُشْفَى بِهِ الْعَلُّ  
وَأَنْتَ لِلْمَيْتِ تُحْيِي حِينَمَا تَصَلُّ  
كَأَنَّهُ شَارِبٌ كَأَسِ الْطَلَا تَمَلُّ  
وَالْقَلْبُ يَخْفِقُ وَالْعَيْنَانِ تَنْهَمَلُّ  
تَسَلُّ بِيضُ الظُّبَا مِنْ جَفْنِكَ الْمُقَلُّ

والوجهُ مثل هلالِ الأفقِ دارتُهُ  
والخَصْرُ لولا نطاقُ الخَزِّ يُمْسِكُهُ  
يَشِيقُنِي بِرَشِيقِ العِطْفِ وهو رَشَا  
وكم فَتَى فَتِنَتْ أَلحَاطُهُ لِمَ لا  
بل ذَا يُخَيِّلُ أَشْيَا وَهِيَ باطِلَةٌ  
يا طالما مرَّ صبري إذ أَشاهدُهُ  
لا تعجَبوا مِن زهولي إذ يُقابِلني

وله في غزل مؤنث:

حكمت بسلبِ نُهي الأنامِ بأسرِها  
خودٌ حكّت شمسَ الضحى بجمالها  
كم صبَّ استهدى بصُبحِ جبينها  
نسجت لنا شرًّا بغيرِ جُفونِها  
وتهزُّ عطفًا آه لو عطفت به  
فأنا العليلُ أكاد أن أقضي شجًا  
وتحكّمت فيها بقبضةِ أسرِها  
والبدرَ حسنًا إذ بدت من خدرِها  
ولكم أضلت في دياجي شعرِها  
وغدت تصيد العاشقين بكسرِها  
ردفٌ ثَقيلٌ مع نَحالةِ خصرِها  
إن لم تُداويني برشفةِ ثغرِها

ولصاحب السعادة الأمير محيي الدين باشا بن الأمير عبد القادر الحسني الجزائري  
الشهير:

أبي الحُسنِ إلا نصرَ بِنْدِ الكواعِبِ  
رعى اللهَ أهلَ الحُسنِ أنى توجَّهوا  
لهم زَمَةٌ عندي بزَعِي ذِمَامهم  
وحُبُّهم رُوحِي ورُوحِي وديدني  
وأيدُ ملكِ اللَّحِظِ جيشَ الحواجِبِ  
لأنهم شُهَبٌ بأعلى المراتبِ  
فلا عاش من يَشنو الحِسانَ حَبائبي  
أموت وأحيا والغرامُ مُصاحِبي

وله:

لا تَعِدْ لاني وسيفُ اللحظِ مسلولُ  
الفكرُ في هَرَجِ والقلبُ في حَرَجِ  
أفدي حبيبًا له كلُّ الملاحِ غَدَّتْ  
أهل الغرامِ عبيدي مذ غَدوتُ لَهُ  
وذا فؤادي بأسرِ الحبِّ مَكْبُولُ  
والعين في لَعَجِ والعقلُ مَخْبُولُ  
جُنْدًا وسُلطانَه في الكلِّ مَقْبُولُ  
عبدًا وما لي عن مولاي تحويلُ

وله في الافتتان:

دَعُونِي فَالْغَرَامُ أَذَابَ قَلْبِي  
أَيَا أَهْلَ الْهُوَى كَرَمًا أَعِينُوا  
أَنَا الْمَفْتُونُ وَابْنُ الْوَيْلَاءِ حَالِي  
حَبِيبِي بِالصُّدُودِ أَطْرَتَ نَوْمِي  
مَلَاخَ الشَّرْقِ تِيهُوا قَدْ أَخَذْتُمْ  
رَوَيْتُ الْحَرْبَ عَنْ آبَاءِ صِدْقِ  
لَعْمُرْكَ مَا خَشِيتُ سِوَادَ جَيْشِ  
وَأَحْرَقَ مُهْجَتِي هِجْرَانُ جِيِّي  
جَرِيحٌ لَوَاحِظٌ وَقَتِيلٌ حَبٌّ  
غَرِيبٌ فِي الْهُوَى عَنْ كُلِّ صَبٍّ  
فَدَيْتُكَ يَا رِشَا مَا كَانَ ذَنْبِي  
أَسِيرًا فِي الْغَرَامِ أَمِيرَ غَرْبِ  
فَهَا أَنَا ذَا الْأَسِيرِ بَغِيرِ حَرْبِ  
فَمَا لِي قَدْ خَشِيتُ سِوَادَ هَدْبِ

وله:

تَأَمَّلْ فِي بَدِيعِ الْحَسَنِ وَاعْذِرْ  
مَنْ أَحْدَاقَ الْوَرَى قَدْ صَاغَ حَالًا  
لَهُ لَحْظٌ يَنَادِي مَنْ رَأَهُ  
بِهِ صَبًّا لَقَدْ خَلَعَ الْعِذَارَا  
وَمِنْ أَجْفَانِهَا جَعَلَ الْعِذَارَا  
هَلَمُوا وَاتْرَكُوا عِشْقَ الْعِذَارَى

وله مُورِيًّا بِاسْمِ شَفِيقَةَ:

وَحُودٍ قَدْ سَبَتَ عَقْلِي بِحُسْنِ  
فَقُلْتُ لَهَا: اشْفَقِي بِالصَّبِّ لَطْفًا  
وَأَلْطَافٍ مَعَ الشَّيْمِ الرَّقِيقَةَ  
فَقَالَتْ: يَا فَتَى إِنِّي شَفِيقَةَ

وله وفيه نوعُ الافتتان:

فَوَادِي فِي حَبِّ الْحِسَانِ تَعَدَّبَا  
أَلَا فِي سَبِيلِ الْحَبِّ رُوحِي وَهَبْتُهَا  
سَبَا الْعَقْلَ مَنِي بَلْ جَمِيعِي جُمْلَةً  
صَبَا كُلُّ قَلْبٍ فِي الْأَنَامِ لَقَدَّهُ  
أَيَا رَبَّةَ الْحُسْنِ الْفَرِيدِ تَرَفَّقِي  
وَلَا تَسْمَعِي قَوْلَ الْوَشَاةِ فَإِنَّهُ  
أَيَا وَيْحَ مَنْ بِالْحَبِّ ذَابَ فَوَادُهُ  
مَهَاةَ أَسُودِ الْحَرْبِ تَحْرَسُ خِدْرَهَا  
وَمَا الْعَيْشُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ مَمْتَعًا  
وَمَا أَحْسَنَ التَّعْذِيبَ مِنْهُمْ وَأَعْدَبَا  
لِبَدْرِ تَمَامٍ بِالْهَلَالِ تَنْقَبَا  
وَفَرَّقَ صَبْرِي مِثْلَمَا افْتَرَقَتْ سَبَا  
إِذَا مَا انْتَنَى كَالْغُصْنِ حَرَّكَهَ صَبَا  
بَصَبٌ عَلَى جَمْرِ الْغَرَامِ تَقَلَّبَا  
إِلَى غَيْرِ ذَاكَ الْحُسْنِ فِي الْحَبِّ مَا صَبَا  
وَعَلَّقَ بَدْرًا فِي الْبُرُوجِ مَحْجَبَا  
بَرَى دُونَهَا سُمْرَ الْأَسِنَّةِ وَالظُّبَى  
بِوَصْلِ حَبِيبٍ عَنْ سِوَاكَ تَحْجَبَا

على وصل مَنْ أهواه حَتْفِي تَرْتَبًا  
فليس أميرُ الغَرْبِ والحَرْبِ لي أبًا

سأجهد في نيل الوصال وإن يكنْ  
وإن لم أنلْ صعبَ الأمور بهمّتي

وله:

لعاشقه الذي ألقى السُّلحا  
أسيرٌ وإلهُ يَرجو السَّراحا  
وإن هم حَرَموا الوصلَ المباحا  
تُطاعنُهُ ولا يَخشى الرُّمَاحا  
ولم يَبْلُغْ لَشِقْوَتِهِ نَجاحا  
فهل يَرجو بِذِلَّتِهِ فِلاحا

سَلوا الظُّبِي الذي قد رَاشَ نَبَلًا  
يَروم قتالَ صَبِّ في هِواهُ  
عَدَا حُبَّ الحِسانِ له شِعارًا  
يَهيم بهمُ وإن هَزُّوا قُدودًا  
أيا وَيح المَتيمُ كم يُقاسي  
ولذَّ له التذللُ بعد عَزِّ

وله:

بدرَ السماءِ وبدرنا في المجلسِ  
يَلحُو المَتيمُ في ارتِشافِ الأكُوسِ  
تجلى عليكِ مِنَ الغزالِ الألعيسِ  
وغداً له شغلٌ بقتلِ الأنفيسِ  
وبدا ذليلاً للعيونِ النُّعيسِ  
وغدا طعيناً بالقُدودِ الميِّسِ

اشربْ على البدرينِ شمسَ مُدامةٍ  
واغنمَ زمانَ الأنسِ لا تسمعَ لمن  
ما العيشُ إلا راحةٌ في راحةٍ  
يا أيُّها الظُّبِيُّ الذي ملكَ الحشا  
ارحمَ أميرًا في هِواكِ أهنتَهُ  
ما هابَ من جيشٍ يَضيقُ به الفضا

ولآخر:

ألفَ سمعَ لا للوقارِ وطاعةٍ  
سَ بأيدي السُّقاةِ فينا شراعهُ  
حَقَنَ في نسجها الشتاءِ الصَّناعةِ  
ضُرُّ منهم فُكاهةٌ وبِراةِ  
ودرُوا أن لذَّةَ العُمرِ ساعةِ  
نَشربُ الرِّاحِ كالصَّلَاةِ جماعةِ  
لونَها في الكئوسِ أرهنَ صاعهُ  
حَقى على خَدِّه المُدامِ شعاعهُ

لِدِواعي الهوى وفَرطِ الخلاعةِ  
سَيِّما والصُّبوحِ قد رَفَعَ الكأُ  
في ليالِ سَودِ الملابسِ قد أتُـ  
وَندامايَ فِتْيَةُ يَطربُ الحا  
معشُرُ عازكوا صُروفَ الليلي  
يا نَديمي عَرَجًا بي جَميعةً  
خَمرةً لو رأى العَزيزُ بِمِصرِ  
وغلامُ حَلو السَّمائلِ قد أَلَّ

الندى الرطيب في الغزل والنسيب

يَتَتَّنِي كَالْحَيْزُرَانَةِ بِالرَّاءِ      حِ فِيْحِي بِمُقْلَتَيْهِ الْجَمَاعَةَ  
أَيُّ شَيْءٍ أَلَدُّ مِنْ صَوْتِ شَادٍ      حَسَنِ الْوَجْهِ لَا أَمْلُ سَمَاعَهُ  
لَمْ أَزَلْ مَغْرَمًا بِحَبِّكَ حَتَّى      كَشَفَ الْوَجْدَ وَالْغْرَامُ قِنَاعَهُ  
وَلَاخِرَ مَخْمَسًا مَعَ تَشْطِيرِ الْأَصْلِ:

يَا حُسْنَ قَصَابٍ شُغِلْتُ بِمَدْحِهِ      يَفْدِيهِ عَاشِقَهُ الشَّجِيَّ بِرُوحِهِ  
نَادَيْتُ وَهُوَ مَقْلُدٌ بِسَلَاحِهِ      يَا وَاضِعَ السُّكَيْنِ بَعْدَ ذَبِيحِهِ  
فِي غَمِّهِ وَالْفَعْلُ مِنْ لَحْظَاتِهِ

مَا بِأَلْهَا إِذْ أَسْلَمْتِكَ قِيَادَهَا      لَمْ تَبْلُغِ الْمُهْجَاتُ مِنْكَ مَرَادَهَا  
هَلْ رُمْتَ بِالسُّكَيْنِ مَنَعَ جِهَادَهَا      أَفْدِيكَ ظَبِيًّا إِذْ سَطَا وَأَعَادَهَا  
فِي فِيهِ يَسْقِيهَا رُضَابَ لَهَا تَه

لَيْسَ الْمَنِيَّةُ فِي هَوَاكَ بِمُرَّةٍ      يَا مَنْ سَلَبْتَ النِّيْرَيْنِ بَغْرَةَ  
سَكِرْتَ نِصَالُكَ مِنْ لَمَاكَ بِخَمْرَةٍ      ضَعَهَا عَلَى الْمَذْبُوحِ ثَانِي مَرَّةً  
وَكَفَّفَ حُسَامَ اللَّحْظِ عَنْ فَتَكَاتِهِ  
كَمْ صَالَ لَحْظُكَ فِي الْقُلُوبِ مُعْرِبِدًا      فَافْتِكْ بِهَا إِنْ النُّفُوسُ لَهَا الْفَدَا  
وَاجْعَلْ لَصَبِّكَ مِنْ رُضَابِكَ مَوْرِدًا      لِيَقُومَ حَيًّا بَعْدَ أَنْ ذَاقَ الرَّدَى  
وَأَنَا الضَّمِينُ لَهُ بَرْدٌ حَيَاتِهِ

وَلَاخِرَ:

وَإِنْ كَانَتْ الْأَجْسَامُ مَنَا تَبَاعَدَتْ      وَحَالَتْ بِنَا الْأَيَّامُ عَنْ مَنَازِلِ الْقَرَبِ  
فَأَنْتَ بَقْلِبِي أَيْنَمَا كُنْتُ نَازِلًا      كَأَنَّكَ بِاسْمِ اللَّهِ فِي أَوَّلِ الْكُتُبِ

وَلَاخِرَ جَوَابًا عَلَى كِتَابٍ وَرَدَ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِ خِلَانِهِ وَكَانَ طِيَّهَ شَيْءٌ مِنْ زَهْرِ ذَكِيِّ  
الرَّائِحَةِ:

وَافِي الْكِتَابِ مِنَ الْحَبِيبِ مَضْمَنًا      سِمَةَ الْمَحَبَّةِ مِنْ زَهْوَرِ جِنَانِهِ  
فَغَرَسْنَاهَا فِي الْقَلْبِ ثُمَّ أَجْبَنَهُ      غَرَسَ الْمَحَبُّ وَدَادَكُمْ بِجِنَانِهِ

واحدَرُ ظُبَا لَفَتَاتِ عَيْنِ ظِبَائِهِ  
 مِنْ أَضْلَعِي فَعَسَاهُ فِي وَعَسَائِهِ  
 حَرَّ الْجَوِي فَلَجَّتْ إِلَى أَفْيَائِهِ  
 نَقَضِي لِبَانَاتِ الْفَوَادِ التَّائِهِ  
 وَالنِّمَّ تُغَوِّرُ الدَّرَّ مِنْ حَصْبَائِهِ  
 دَمْعًا يُعَسِّجُ ذُؤَبَ فِضَّةِ مَائِهِ  
 وَقَلُوبِنَا لَعِبَتْ يَدَا أَهْوَائِهِ  
 بِالطَّبِيعِ يَجْذِبُهَا حَصَى مَغْنَائِهِ  
 يُذْكَي الْهَوَى فِي الصَّبِّ بَرْدُ هَوَائِهِ  
 رِيحُ الْقَمِيصِ تَهَبُ مِنْ تَلْقَائِهِ  
 يَوْمًا فَيَشْتَاقُوا ثَرَى أَرْجَائِهِ  
 وَالْبَيْضُ مُشْرِقَةٌ عَلَى أَحْيَائِهِ  
 وَالْعَيْنُ تَبْغَمُ فِي جِجَالِ نَسَائِهِ  
 تَحْتَ الدُّجَى فَيُصَدُّ عَنْ إِسْرَائِهِ  
 وَالطَّيْرُ يُعْرِبُ فِيهِ لَحْنَ غَنَائِهِ  
 تَسْقِي صَوَارِمَهُمُ ثَرَى بَطْحَائِهِ  
 هُمْ أَهْلُ بَدْرِ أَنْتِ مِنْ شُهَدَائِهِ  
 مَا ذَابَ فِي طَرْفِي عَقِيْقُ بَكَائِهِ  
 وَيَرُدُّهَا فِي الْعَيْنِ كَفَّ قَذَائِهِ  
 تَجْرِي وَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى أَحْشَائِهِ  
 مَا يَحْجَمُ الضَّرْغَامُ دُونَ لِقَائِهِ  
 وَالشَّيْءُ مُنْجَذِبٌ إِلَى نَظْرَائِهِ  
 تَعْشُو الْفَرَّاشَ إِلَى ضِيَاءِ بَهَائِهِ  
 شَفَقًا يُعَصِّفِرُ طَيْلَسَانَ سَمَائِهِ  
 وَالْغَصْنُ مِنْهُ يَمِيلُ تَحْتَ رِدَائِهِ  
 فَشَقِيْقَهُ الْأَسْنَى بِرَحْبِ سَنَائِهِ

هذا الحمى فانزل على جرعائه  
 وانشد به قلباً أضاءته النوى  
 وسل الأراك الغض عن روح شكت  
 واقصد لبانات الهوى فلعلنا  
 واضم إليك حدود أغصان النقا  
 واسفح بذاك السفح حول غديره  
 سقياً له من ملعب بعقولنا  
 مغنى به تهوي القلوب كأنما  
 أرح حكي نفس الحبيب نسيمة  
 نفحاته تبرى الضرير كأنما  
 فلتحذر الجرحى به أن يسلكوا  
 عهدي به ونجوم أطراف القنا  
 والأسد تزار في سروج جياده  
 والطيף يطرقه فيعثر بالردى  
 والظل تقصره الصبا وتمده  
 لا زال يسقي الغيث غر معاشر  
 لا تنكرن يا قلب أجرك فيهم  
 لولا جمود الدر بين شفاههم  
 لله نفس أسى يصعدها الأسى  
 حبست بمقلته فلا من عينه  
 من لي بحشف كناس خدر دونه  
 أحوي حوى إلف الجادر في القلا  
 حسن إذا في ظلمة الليل أنجلي  
 يلقي شعاع الخد منه على الدجى  
 فالبرق منه يلوح تحت لثامه  
 لا غرو إن زار الهلال محله

ولأحمد بن حسين الكيواني الدمشقي:

عُد عن جنونك أيها القلبُ  
 كم ذا الدموع وكل نار جوى  
 وإلام يُحْيِيكَ المنى أبداً  
 طال الصدود وما له سببُ  
 لم آتِ ذنباً يَقتضي تَلْفِي  
 وبمُهَجَّتِي مَنْ صَدَّ محتجِباً  
 ازداد وجداً كلما كثرتُ  
 لولا تَحجُّبُهُ لما حملتُ  
 وبمن يَصون جماله أبداً  
 والحرُّ لا يَسبِيه مُبتَدَلُ  
 قال الطبيب وقد رأى سَقَمِي:  
 ودواؤه قُربُ الحبيبِ وإن  
 ولسانِ حالي قال: وا أسفِي  
 هيهات أن يَبْرأ عليلُ هوى  
 وإذا المَجِبُّ صَفَتِ سرائِرُهُ

وله:

مَنْ لِقَلْبٍ يَصْلِي بِنَارٍ بَخْدِي  
 كلما ذابَ مِنْ صُدُودِكَ أَحْيِي

وللقاضي الأرجاني:

كأنك بالأحباب قد جددوا العهدا  
 وعادوا إلى ما عودونا فأصباحوا  
 وأمانِي لا تُدْني نَوِي غيرَ أنها  
 وجمرة شوقٍ كلما لأمَ لائمُ  
 وأنجرتِ الأيامُ من وصلهم وعدا  
 وقد أنعمت نِعْمٌ وقد أسعدت سَعْدِي  
 تُعَلِّلُ منا أنفُسًا مُلِئتُ وَجِداً  
 وردد من أنفاسِه زادها وقدا

حنينَ الذي يَشكو لآلافه فُقدًا  
فلولا العدى أُمسيتُ في جِيدِها عِقدًا  
وكامنُ نارَ الرُندِ لا يَحرقُ الرُندًا  
فهل من سَنًا منها إلى مُقلّة تُهدى؟  
إن انتَقَبتَ عينًا وإن سَفَرتَ خَدًا  
لِتَقصِدها فيمن يزيغ لها فِصدًا  
كما ثار يَحمي النحلُ بالإبرِ الشُهَدَا  
بمُنعرَجِ الوادي وإظعانهم تَحْدَى  
غَيارى غَدَتِ تَغلي صدورُهُم حِقْدًا  
إلى سَجَفِها رُوحى لَقَد رَحُصَتِ جِدًا  
وهل يملك المحزونُ للفائتِ الرِدا؟  
إذا بَعُدوا شوقًا وإن قَرَّبوا صَدَا  
قضى هَجْرُهُم أن يَسْبِقَ الصَدْرَ والورِدا  
وكم عاد بي إن لم أجد منهم بُدَا؟  
من الرائعاتِ القلبَ لا البانَ والرُندًا  
ولا قودُ في الحب ما لم يكن عَمْدًا  
وقد صَرَعتَ يوم النقا فارسًا جَلدًا

أَحنُّ إلى ليلى على قُربِ دارِها  
ولي سَلِكُ جِسمَ مِلئُهُ دُرُّ أدمعِ  
أَكُتَمُ جهدي حَبَّها وهو قاتلي  
هلالِيَّةُ قَوْمًا وبُعْدَ منازلِ  
غزاليَّةُ للناظرين إذا بَدَتِ  
إذا زُرْتها جرَّ الرِّمَاحِ فِوارِسُ  
وحالوا بأطرافِ القنا دون نُغْرِها  
وأخِرُ عهدي يومَ جِرعاءِ مالِكِ  
ولمَّا دنتُ والسُترُ مُرْحَى ودونها  
تَقَدَّمْتُ أبغى أن أبيعَ بنظرةِ  
أَسِفْتُ على ماضي عهودِ أَحَبَّتِي  
أَبُوا أن يَبِيتَ الصَّبُّ إلا مَعْدَبًا  
متى وردوا بي مَنهلاً من وصالهم  
فكم حادَ بي إن لم أجد منهم مَنى  
وما قاتلي إلا لَوَاحِظُ شادينِ  
لغيري دمي بالطَرْفِ لكن أصابني  
عجبتُ لليلى وهى جِدُّ فَرُوقِيَّةِ

ولحسن العقاد:

وما بخديك من وردٍ ومن خَفَرِ  
وما به من رُضابِ فائِحِ عَطِرِ  
وَعُرَّةِ تَرَكَتْ قلبي على غَرِرِ  
وعارِضِ عارِضِ الأَجْفانِ بالسَهَرِ  
في معركِ الوَجْدِ والأهوالِ والحَدِرِ  
ضَرَبَ النِّبالِ فلم تُبَقِ ولم تَدِرِ  
يا مالِكي فاعفُ عني عَفوَ مَقْتَدِرِ

بما بعينيك من غُنَجٍ ومن حَوَرِ  
وما بثغرك من ريقٍ ومن شَنَبِ  
وطرَّةِ حارِبَتْنِي عند رُؤيتِها  
وحاجِبِ حَجَبِ السُّلوانِ عن كَبدي  
وقامةٍ قد أقامَتْنِي على قَدَمِ  
هَبِّ لي أمانًا من الأحداقِ إنَّ لها  
إن كنتُ أذنبتُ ذنبًا غيرَ مَعْتَمِدِ

وللقاضي الأرجاني:

ففيم التّزامي للكرى منّةً أخرى  
فمن نمة الواشي بكم أخذ الجذرا  
ولكن لألقي منه دونكم سئرا  
ومن تهم الأعداء إن رمت أن أبرأ  
إلى الأفق ليلاً ردّ فحمته جمرأ  
وإن لم أعاقر غير كأس الهوى حمراً  
فتطلع لي بالليل من طيفكم بدراً  
من الصبح إلا نفته تبطل السحراً  
إذا رحلت كان الفؤاد لها خذراً  
قلاندها صبحاً حكى عقدها النغراً  
قيوداً على أجساد عشاقها الأسرى  
فلم أر أحلى منه نظماً ولا نثراً  
عن الظبية العفراء كئيبانها العفراً  
ببيض وسمر يكف البيض والسمرأ  
فمن ناظر شدراً ومن طاعن شدراً  
تُغادر عذراً في الحدود لنا عذراً

خيالك من قبل الكرى طارقي ذكراً  
غدا شخصك في العين مني قائماً  
فوالله ما ضمّي الجفون لرقديه  
ومن لي بكتمان الذي بي من الهوى  
ومن نار قلبي لو ترامت شرارة  
أبيت نديم الليل من كلفي بكم  
وتسحرني سحر المقنع مقلتي  
فما رائع والليل يقضي زماءه  
ولله من عليا عقيل عقيلة  
حكى نغرها عقداً فإن أخضل الندى  
وفتانة صاغت سلاسل صدغها  
تبسم عن در تكلم مثله  
خليلي عوجا اليوم نسأل وجدة  
ولا تأمنا غيران أصبح دونها  
وما هي إلا طوفة بفنائها  
وفي الحي إن زرنا ذوات غدائر

ولحسن العقاد:

فتغيب فيه وهو داج أقتم  
وكانه ليل عليها أدهم

عبداء تسري في غياهِبِ شعريها  
فكانها فيه صباح مشرق

وللقاضي الأرجاني:

ومن وراء دمي سمر القنا فحف  
حتى إذا جاء ميعاد الفراق يفي  
واعطف كسائل صدغ منك منعطف

حيث انتهيت من الهجران بي فقف  
يا عابثاً بعداة الوصل يخلفها  
اعدل كفاتن قد منك معتدل

إِذَا رَنَا أَهْيَفُ الْعَيْنَيْنِ ذُو هَيْفٍ  
فِيمَ اعْتَرَاذُكَ بَيْنَ السَّهْمِ وَالْهَدَفِ؟  
لِلْأَعْيُنِ النَّجْلِ عِنْدَ الْأَعْيُنِ الذَّرْفِ؟  
وَأَنْتَ أَصْدَقُ يَا دَمْعِي لَهُمْ فَصِفِ  
وَكَيْفَ وَالْمَاءُ بَادٍ وَالْحَرِيقُ خَفِي؟  
وَالْعَيْسُ تَطَّلِعُ أَوْلَاهَا عَلَى شَرَفِ  
وَالدَّمْعُ مِنْ رُقْبَةِ الْوَاشِينَ لَمْ يَكْفِ  
إِنْ يَنْكَشِفُ سَجْفُهَا لِلشَّمْسِ تَنْكَسِفِ  
مِنْهَا وَعَنْ مَبْسَمٍ بِاللَّحْظِ مُرْتَشِفِ  
سَارُوا وَفِيهِمْ حَيَاةُ الْمَغْرَمِ الدَّنْفِ  
وَإِنْ أُمْتُ هَكَذَا وَجَدًا فَيَا أَسْفِي

وَيَا عَذُولِي وَمَنْ يُصْغِي إِلَى عَذْلِ  
تَلُومِ قَلْبِي إِنْ أَصْمَاهُ نَاظِرُهُ  
سَلُوا عَقَائِلَ هَذَا الْحَيِّ أَيْ دَمٍ  
يَسْتَوْصِفُونَ لِسَانِي عَنْ مَحَبَّتِهِمْ  
لَيْسَتْ دَمُوعِي لِنَارِ الْهَمِّ مُطْفِئَةٌ  
لَمْ أَنْسَ يَوْمَ رَحِيلِ الْحَيِّ مَوْقِفَنَا  
وَالْعَيْنِ مِنْ لَفْتَةِ الْغَيْرَانِ مَا حَظَّيْتُ  
وَفِي الْحُدُوجِ الْغَوَادِي كُلُّ أَنْسَةٍ  
تَبِينُ عَنْ مِعْصَمٍ بِالْوَهْمِ مُلْتَزِمِ  
يَا نَمَّةَ اللَّهِ ذَاتِ الرَّهْطِ إِنَّهُمْ  
فِي أَنْعَاشِ بَعْدِهِمْ فَرْدًا فَيَا عَجَبًا

ولحسن العقاد:

د رفقا بمن فيك يرجو انتصاره  
وقفه في الطريق نصف زيارة

يا غزالاً يدور في مَرَحِ السَّعْدِ  
قَفْ لَنَا فِي الطَّرِيقِ إِنْ لَمْ تَزُرْنَا

وللأرجاني:

وَزِدْ فِكْرَةً تَنْشُرُ صَرِيحَ نَوَاكَا  
أَغَارُ مِنْ اسْمِي أَنْ يُقْبَلَ فَاكَا  
فَمَنْ لِي بَعَيْنٍ فِي الْمَنَامِ تَرَاكَا  
فَلَيْتَكَ تَرْضَى أَنْ أَكُونَ سُهَاكَا  
أَلْزَمْتِ فَتَنًا بِالْمَحَبِّ عَسَاكَا  
فَإِنْ كَانَ يُرْضِي قَتْلَهُ فَهُنَاكَا  
لَأَنْكَ لَوْ أَبْقَيْتَهُ لَفِدَاكَا  
غَرِيمَ غَرَامٍ لَوْ يَشَاءُ قَضَاكَا  
فَلَسْتُ مَطِيقًا مَا حَيَّيْتُ فِكَاكَا  
مَنْ الْوُدُّ قَلَّ لِي لِمَ حَرَمْتُ رِضَاكَا؟

أَعِدْ نَظْرَةً تُبْصِرُ صَنِيعَ هَوَاكَا  
وَدَعْ عَنكَ ذِكْرِي بِاللِّسَانِ فِإِنِّي  
صَعِبَتْ مَرَامًا أَنْ تُرِينِيكَ يَقْظَةً  
أَرَاكَ ابْنَ نَعِيشٍ فِي سَمَاكِ رِفْعَةٍ  
بَطْرُفِكَ تُهْدِي وَهُوَ سَيْفٌ تَحْيِيَّتِي  
أَسِيرٌ هَوَى تَهْوِي إِلَيْهِ مِصَادِمٌ  
لِنَفْسِكَ تَعْدُو ضَائِرًا إِنْ قَتَلْتَهُ  
فَحْتَمًا يَا قَلْبِي تَمَلُّ تَغَاضِبًا  
بِرُوحِي قَلْبِي أَصْبَحَ الرَّهْنُ عِنْدَهُ  
أَيَا مَالِكًا لَمْ أَدْخُرْ عَنْهُ غَايَةً

أُتُنكرُ إعزَازي مَكَانك جَاهِدًا      وَتَجحدُ إحسانِي إليكَ تُراكَ  
ذَكَرْتُكَ فِي مدحِ الوَزيزِ مَشَبَّبا      فَحَسَبُكَ هَذا مَفخرًا وَكَفَفا

ولآخر:

رَأيتُ حَبَّةَ قلبِي حينَ لَاحِ لَها      مَحبوبُها نَفَرَتِ مِن حُرِّ أَفكارِي  
ثمَ استَجارَتِ بَخدً مَنه فَهِيَ بِهِ      كالمَستَجيرِ مِنَ الرَمضاءِ بالنارِ

ولسليم أفندي الغر مما يُكْتَبُ على الجَانِبِ الوَاحِدِ مِن دَفاتِرِ ورقِ السِيارِاتِ قولُه:

أنا الوَرَقُ الَّذِي ألقى حَريقًا      بأفواهِ وَتَسقِينِي رَحيقًا  
أَقبَلُ يَاسمِينَ الثَغرِ مَنها      وَالثَمُّ مِن مِباسِما شَقيقًا

ولهُ أيضًا مِمَّا يُكْتَبُ على الجَانِبِ الأَخرِ:

أنا الوَرَقُ الَّذِي مِن بَعدِ لَفِّي      أَشَبَّهُ بالأَنامِلِ مِن حَقيقِ  
إِذا لَثَمَ الحَبيبُ فَمي تَراهُ      يُلبِّسُنِي الخِواتِمَ مِن عَقيقِ

وقال إلياس أفندي صالح كنعان:

رَأني بَبيروتِ أَجولُ كحائِرِ      وَأَخطِرُ في أسواقِها مَتعَجِّبا  
فقال وَقَد حَيًّا إلى أينَ مِن هَنا      فقلتُ: إلى المِينا لأَقضِي مَأربًا  
أَجابَ وَقَد أومى إلى الوَجِهِ بِاسمًا      إِذا كانَ مِينا الحُسنِ أَهلًا وَمرحبًا

ولهُ:

قَد رَماني بالصدِّ والهَجرِ عَمدًا      وَلحَاني إِذِ مِلتُ لِلسُلوانِ  
ما رَأى نَفسَهُ فلا تَعذِلوهُ      لا تَرى العَينُ نَفسَها بل تَرائِي

ولحسن العقاد في خياط حسن:

وذي قِوامِ كَحيلِ الطَّرَفِ ذُو هِيفِ      يَصولُ عَمدًا على العُشاقِ بِالتَّيِّهِ  
يُفَصِّلُ القَلبَ خِياطًا وَيَدِرزُهُ      مِن مُقلَّتِيهِ وَبالهَجرانِ يَكويهِ  
كَم راحِ يَصنعُ أَثوابًا مَسجَفَةً      لِلناسِ مِن سُقَمِ أَجفانِ بِتَمُويهِ

## خطرات أفكار

فَاعْجَبْ لَهُ وَلَخِيْطِ كَيْفِ يُتْلِفُهُ  
أَوْ كَيْفِ يَفْنِي سَرِيْعًا وَهُوَ يُرْشِفُهُ  
فِي ثَوْبِ صَبْرٍ تَمَزَّقُ مِنْ حَوَاشِيهِ  
مَاءَ الْحَيَاةِ عَلَى التَّكْرَارِ مِنْ فِيهِ

ولآخر في راقص:

وَرَاقِصٍ مِثْلَ غُصْنِ الْبَانَ قَامَتُهُ  
لَا يَسْتَقِرُّ لَهُ فِي رَقْصِهِ قَدَمٌ  
تَكَادُ تَذْهَبُ رُوْحِي مِنْ تَنْقُلِهِ  
كَأَنَّمَا نَارٌ قَلْبِي تَحْتَ أَرْجُلِهِ

ولفضيلتو الشيخ إبراهيم أفندي الأحذب من قصيدة يمدح بها الحاج سعد الله أفندي  
حلابه:

أَعْرَبُ سُرُورِي بِلَحْنِ النَّايِ وَالْعُودِ  
وَحُذِّ مِنَ الْأَنْسِ حُظًّا بِالسَّمَاعِ عَلَى  
يَا حَبْدًا الْعَيْشُ مَعَ رِيْمٍ مَعَاظِفُهُ  
وَسُنَانَ طَرْفٍ عَلَى جَفْنِ الْمَحَبِّ قَضَى  
وَبَرْدَ التَّغْرِ صَبْرِي وَالْمَنَامِ بِهِ  
يَلُوي عَلَى خَدِّهِ صُدْعًا عَقَارِبُهُ  
نُو طَرَّةٍ صَفَفَتْ سَيْنَا بَغْرَتِهِ  
فِيهَا غَرَامِي عُذْرِي أَنْ أَمِيلَ إِلَى  
عَيْدَاءَ فَتْرَةَ جَفْنِيهَا تُقِيمُ عَلَى  
يَا حُسْنَهَا تَتَنَنَّى وَالْحُلِيِّ عَلَى  
وَشَاحَهَا عَلَّمَ الْقَلْبَ الْأَنْيْنَ كَمَا

ولآخر:

لِلْهِ رَاقِصَةٌ تَمِيْسُ كَأَنَّهَا  
تَخْطُو وَتَرْجِعُ كَالْخِيَالِ فَلَا تَرَى  
ظِلُّ الْقَضِيْبِ إِذَا تَمَايَلَ مُزْهَرَا  
حَرَكَاتِهَا إِلَّا كَطَارِقَةِ الْكُرَى

ولغيره:

ظُبِّي مِنَ التُّرْكِ يَرْمِي قَوْسَ حَاجِبِهِ  
تُضِيءُ فِي الْحَلَّةِ الْحَمْرَاءَ طَلْعَتُهُ  
فِي قَلْبِ نَاطِرِهِ سَهْمًا مِنَ الْحَدَقِ  
كَأَنَّهُ قَمَرٌ قَدْ لَاحَ فِي الشَّفَقِ

ولصاحبِ كَنْزِ النَّازِمِ مَوْرِيًّا:

وَذَاتِ فِرْعِ كَعْرَفِ الْمِسْكِ نَفْحَتُهُ  
تَخْطُو فَتَرْفَعُ مِنْ أَطْرَافِهَا دَيْلًا  
لَا بَدْعَ إِنْ صَرْتُ قَيْسًا فِي مَحَبَّتِهَا  
مَا دَامَ تُبْرِزُ لِي مِنْ شَعْرِهَا لَيْلًا

وللشهابِ التَّلْعُفْرِيِّ:

أَبَدَيْتِ شَعْرَكَ فَوْقَ وَجْهِكَ لِي ضَحَى  
فَأَرَيْتَنِي فِي الْوَجْهِ لَيْلًا مُقَمِّرًا  
وَجَعَلْتِ حَظِّي مِنْكَ خَالِكٍ أَسْوَدًا  
فَأَذَقْتَنِي مَوْتًا كَخَدِّكَ أَحْمَرًا

وللصَّلاحِ الصَّفْدِيِّ:

فِي عِذَارِ الْحَبِّ خَالٍ  
قَدِ حَكَى عِنْدَ النَّفْوَسِ  
بَلْبَلًا قَدِ أَوْدَعُوهُ  
قَفْصًا مِنْ أَبْنَوْسِ

ولابنِ الْوَرْدِيِّ:

أَخَذْتُ حَبَّةَ قَلْبِي  
لَقَدْ كَسْتَنِي نَحْوَلًا  
وَصُغْتُهَا لَكَ خَالًا  
كَمَا كَسْتَكَ جَمَالًا

ولحمْدِ رَاغِبِ الْبِزْرِيِّ:

بِرُوحِي غِزَالًا أَحْوَرَ الطَّرْفِ أَكْحَلًا  
أَنْيَسُ وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي كُنَّاسُهُ  
لَهُ طَرَّةٌ تَحْكِي الظَّلَامَ وَغُرَّةٌ  
إِذَا قَامَ يَسْعَى فَالْقَوَامُ مَهْفَهُ  
تَعَشَّقْتُهُ طِفْلًا وَإِنِّي بِحَبِّهِ  
حَدِيثُ غَرَامِي فِي هَوَاهُ مَوْبَدٌ  
بَدِيعَ جَمَالِ حُسْنِهِ قَدِ تَكَمَّلَا  
حَفِيظُ وَدَادٍ لَا يَحِبُّ التَّبْدُلَا  
رُؤِينَا حَدِيثَ الصُّبْحِ عَنْهَا مُسَلْسَلَا  
بَغُصْنِ النِّقَا إِنْ قَسْتَهُ كَانَ أَعْدَلَا  
رَهِينُ لِحَاظِ عِلْمَتِنِي التَّغْرُلَا  
وَلَسْتُ أَرَى السُّلْوَانَ عَنْهُ مَحَلَّلَا

ولأبي الطَّيِّبِ الْمُتَنَبِّيِّ:

مِنْ الْجَاذِرِ فِي زِيِّ الْأَعَارِبِ  
إِنْ كُنْتَ تَسْأَلُ شَكًّا فِي مَعَارِفِهَا  
حُمْرُ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيْبِ  
فَمَنْ بَلَكَ بِتَسْهِيدٍ وَتَعْذِيْبِ

تَجْزِي دُمُوعِي مَسْكُوبًا بِمَسْكُوبِ  
 مَنِيْعَةً بَيْنَ مَطْعُونٍ وَمَضْرُوبِ  
 عَلَى نَجِيْعٍ مِنَ الْفُرْسَانِ مَصْبُوبِ  
 أَدْهَى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زَوْرَةِ الذَّيْبِ  
 وَأَنْثَنِي وَبِيَاضِ الصُّبْحِ يُغْرِي بِي  
 وَخَالَفُوهَا بِتَقْوِيضٍ وَتَطْنِيْبِ  
 وَصَحْبِهَا وَهَمْ شَرُّ الْأَصْحَابِ  
 وَمَالٍ كُلِّ أَخِيذِ الْمَالِ مَحْرُوبِ  
 كَأَوْجِهِ الْبَدَوِيَّاتِ الرَّعَابِيْبِ  
 وَفِي الْبَدَاوَةِ حُسْنٌ غَيْرُ مَجْلُوبِ  
 وَغَيْرِ نَاطِرَةٍ فِي الْحَسَنِ وَالطَّيْبِ  
 مَضُغِ الْكَلَامِ وَلَا صَبْغِ الْأَحَابِيْبِ  
 أَوْرَاكُهُنَّ صَقِيْلَاتُ الْعِرَاقِيْبِ  
 تَرَكْتُ لَوْنَ مَشِيْبِي غَيْرَ مَخْضُوبِ

لَا تَجْزِي بَضْنِي لِي بَعْدَهَا بِقَرِّ  
 سَوَائِرُ رِيْمَا سَارَتْ هَوَادِجُهَا  
 وَرِيْمَا وَخَدَتْ أَيْدِي الْمَطِيِّ بِهَا  
 كَمْ زَوْرَةٍ لَكَ فِي الْأَعْرَابِ خَافِيَةِ  
 أَزُورَهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ بِي  
 قَدْ وَأَفَقُوا الْوَحْشَ فِي سُكْنَى مَرَاتِعِهَا  
 جِيْرَانِهَا وَهَمْ شَرُّ الْجَوَارِ لَهَا  
 فَوَادٍ كُلِّ مُحِبِّ فِي بِيُوْتِهِمْ  
 مَا أَوْجَهُ الْحَضْرَ الْمُسْتَحْسَنَاتِ بِهِ  
 حُسْنَ الْحَضَارَةِ مَجْلُوبٌ بِتَطْرِيَةِ  
 أَيْنَ الْمَعِيْزِ مِنَ الْأَرَامِ نَاطِرَةٍ  
 أَفْدِي ظُبَاءَ فَلَاحٍ مَا عَرَفْنَ بِهَا  
 وَلَا بَرَزْنَ مِنَ الْحَمَامِ مَائِلَةً  
 وَمِنْ هَوَى كُلِّ مَنْ لِيَسْتِ مَمُوَهَةً

ولآخر:

سَفِيْنَةُ الْحُسْنِ بِاسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا  
 فِي رَقْدَةِ الرُّقْبَا وَاللَّيْلِ يَغْشَاهَا  
 مَنِي وَقَدْ جَعَلَتْ فِي الْقَلْبِ مَأْوَاهَا  
 فَإِنَّمَا الشَّمْسُ جَزْءٌ مِنْ مَحْيَاهَا  
 لَوْلَا ضِيَاءُ صَبَاحِ الْفَرَقِ أَخْفَاهَا  
 عَلَى الْبَرِيَّةِ أَعْلَاهَا وَأَدْنَاهَا  
 مِنَ الْبِهَا قَبْلَمَا أَبْصَرْتُ مَعْنَاهَا  
 دَهْرٌ بِخَيْلٍ إِلَى تَقْبِيْلِ أَلْمَاهَا  
 عِقَارِبُ الصُّدْغِ تَحْمِي وَرَدَ مَجْنَاهَا  
 عَنْهَا وَمَا كُنْتُ أَرْضَى الْعِشْقَ لَوْلَاهَا  
 مِنَ الْوَدَاعِ فَمَا أَشْهَى وَأَحْلَاهَا

قَدْ أَنْقَدَتْ مِنْ بَحْرِ الْعِشْقِ مُضْنَاهَا  
 وَوَأَصَلَتْ بَعْدَ صَدِّ قَدْ فَنِيْتُ بِهِ  
 بَدِيْعَةَ الْحُسْنِ فِي الْأَحْشَاءِ مَسْكُنُهَا  
 فَلَا نَشْبَهُهَا بِالشَّمْسِ مُسْفِرَةً  
 تَبْرَقَعَتْ بِظِلَامِ الْفَرَعِ عَنْ نَظْرِي  
 إِنَّ الْمَحَاسِنَ مِنْ أَوْصَافِهَا اقْتَسَمَتْ  
 وَكُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّ الْبَدْرَ نَا شَرَفِ  
 وَمُنِيَّتِي قَدْ صَفَا وَقْتِي بِهَا وَوَفَى  
 لَثَمْتُ مِنْهَا خُدُودًا كَالرِّيَاضِ بِهَا  
 أَقْسَمْتُ بِاللَّهِ مَا إِنْ أَخَذْتُ بَدَلًا  
 حُلُوَ الزِّيَارَةِ لَوْلَا أَنْ يُمَازَجَهُ

يا ليلةٍ من شتات الدهر فُزْتُ بها  
فلم يكن عيبها إلا تقاصرها  
بمَن يُمَثِّلها فكري ويرعاها  
وَدِدْتُ أن لا ضياءَ الفجرِ وافاها

ولابن معتوق من قصيدة:

سل ضاحكَ البرق يوماً عن بناياها  
وهل درى كيف ربُّ الحسن رتَّلها  
وهل سُقاةُ الطَّلَا تَدْرِي إذا ابْتَسَمَتْ  
وسَل أراك الحمى عن طَعْم ريقَتها  
وهل رياض الرُّبَا تَدْرِي شَقَائِقُهَا  
وإن رَأَيْت بُدور الحَيِّ وهي بهم  
واقصِد لباناتِ نُعمانٍ وجيرتِها  
عَرِّجْ عليها عن الألبابِ نَنشُدُها  
وقِفْ على منزلٍ بالخيفِ نسألُه  
مَعاهدٌ كلما أَمْسَيْت عامِرها  
ورُبَّ ليلٍ به خُضت الظلام كما

فقد حكاها فهل يروي حكاياها؟  
والجوهر الفردُ منه كيف جَزَّأها؟  
أي الحيا بان عند الشرب أشهاها  
فليس يُدْرِي سواه في محياها  
في خدِّها أي خالٍ في سويداها؟  
فحَيِّ بالسرِّ عني وجهَ أحيائها  
واذكر لباناتِ قلبي عند لبناها  
فإننا منذ أيامٍ فقدناها  
عن أنفسٍ وقلوبٍ ثم مَثَواها  
ليلاً وأصبحت مجنوناً بليلاها  
يخوض في مَفْرِق العذراءِ مدرها

ومنها:

مَن لي بوصلِ فتاةٍ دون مطلبها  
عزيزةٌ هي شفَعُ الكيمياءِ لها  
فيها من الحُسنِ كنزٌ لا يرى وكذا  
تكاد ترشح نوراً كلما خَطَرَتْ  
كأنما الفجرُ ربَّاهَا فأرَضَعَهَا  
قد صاغها الله من نورِ فأبرَزَهَا  
محبوبةٌ لا ينال الوهمُ رؤيتها  
قد منعَتْها أسودٌ مثل أعينِها  
لو تَمَسَّك الريقُ كادوا حين تَقَطَّرُها  
إذا علي حَبَّهم مُزَن الحيا وقَعَتْ  
وإن تنفَسَ صبحٌ عن لظى شفقِ

طعنٌ يُصوِّرُ بالأجسامِ أفواها  
نَدْرِي وجودًا ولكن ما وجدناها  
تُخفي الكنوزِ المنايا في زواياها  
بالمشي لا عرقًا من كلِّ أعضائها  
حليبهُ وبقرصِ الشمسِ غذَّاهَا  
حتى تراها الورى يوماً ووارها  
ولا تَصيدِ شِراكِ النُّومِ رؤياها  
سيوفهم لا تنال البرءَ جَرَّحَها  
أن يَلْعَقوها فلم ترحلِ بريَّها  
لَفَّت على زفَرَاتِ الرعدِ أحشاهَا  
قاموا غَضابًا وظنُّوا الصبحَ يهواها

توهّمًا أن داء الحب أشجّاهها  
فيسّترون غيارها محيّاها  
أن لا تصحّ ولا تضحو سكارها  
أن لا تموت ولا تحيا أسارها  
كانت قصارًا وساءتني قصارها  
أو من صروف الليالي ما عرّفناها

حرصًا عليهم نوح الورق يسخطهم  
تهوي الفراش إليها كلما سقرت  
بين القلوب وعينيها مضى قسم  
وبالجمال على أهل الهوى حلفت  
لله أيام لهو بالعقيق وإن  
أوقات أنس كأن الدهر أغفلها

ولي في النظارات من المعنى الجديد:

حُشاشتي موارد الحنف  
ليس يقي بحصره وضي  
وضعتُها رغماً على أنفي

إن العيينات التي أوردت  
مع ما بها من ألم واضح  
من سهر الليل وطول البكا

ولإبراهيم أفندي الحوراني قوله في صباه من قصيدة:

أو مَطَّلِع الشمس فهو من محيّاها  
في ليل سهدك إن الزهر حصباها  
تلقي الضنى وخيام الوجد مأواها  
وغير دمع التصابي ما سقيناها  
وكم قضى قيس أشواق بليلاها؟  
حكنا مطارف وصل ما لبسناها؟  
للغيد لكن طلاها ما لمسناها  
حور الجنان ونور الله يغشاها  
في جنة الخلد نارًا ظل يصلها  
ليثًا من العرب إلا بين قتلاها  
إلا رمت بسهام الطرف مضاها  
منها كليم الحشى في طور سيناها  
أختال في مثل ما يشكوه جفناها  
وعند سفك دم العشاق أسخاها  
شرعًا وقد حللت قتلي بفتواها

سل عن سليمانى فؤادي فهو مغناها  
واسأل سماءك عن لألاء أربعها  
منازل لم تزل منا القلوب بها  
لذاك من غير نار الحب ما ظمئت  
لله كم ميئت أحياء شمائلها  
وكم لبسنا بها بزد السقام وكم  
وكم نظمنا عقودًا في خمائلها  
هذي حدائق رضوان بها سكنت  
ما حلها عاشق إلا رأى عجبًا  
في روضها ظيبات الترك ما تركت  
من كل عزتى وشاح ما دنت ورنت  
تظل نيران إبراهيم موقدة  
هيفاء ترفل في برد السن وأنا  
بالوصل أبخل غادات الورى خلقت  
فقيهة حرمت تقبيل وجنتها

للبرء والجرح الأحشاء عيناها  
 جاوزت شرع الهوى فاستغفر الله  
 من نَسْمَةِ الحب والأشواق سَوَاهَا  
 والموتُ وجدًا بها من خير نُعْمَاهَا  
 في مدفن العشق: هذا كان يَهْوَاهَا  
 فَإِنَّ لَحْظَ مَهَاةِ الخَدْرِ أمضَاهَا  
 يَدْرِيهِ مَنْ شاب في التوليه لولَاهَا  
 إذ صرْتُ بالساريات الأفقِ أدراها  
 كالنَّظْمِ أضحى عميدًا في ثناياها  
 يا طَبِيبِيَّةً وسوادُ القلبِ مَرْعَاهَا  
 جَمْرَ الغَضَا ونجوم الليل أَرعَاهَا  
 في ظلُّ أرض الصفا نَسْقَى حَمِيَّاهَا  
 تَسْقِي رُبَاهَا وباسم الله مَجْرَاهَا  
 لنا عبيرَ الهوى من طيب رِيَّاهَا  
 تَطْوِي إليها قَفَارًا ما عَهْدَنَاهَا  
 إذ كان يُطْرِبُهَا الحادي بِذِكْرَاهَا  
 تُسَابِقُ البرقَ ما يُحْدِي حُدْيَاهَا  
 وكل نَفْسٍ من الرُّكبانِ سَكْرَاهَا  
 فيها الملائك والرحمنُ أعلاها  
 إذ ضاع عقلي فلا أروي حَكَايَاهَا  
 ونازلات الصُّنَى حثَّتْ مَطَايَاهَا  
 أهلاً بِصَحْبٍ بِرَحْبِ القلبِ سُكْنَاهَا  
 بعد الظلام الذي في البُعدِ غَطَّاهَا  
 من يومِ فارقْتُمونا ما شَرِبْنَاهَا  
 واسقي سليمانَ شوقِ يا سُلَيْمَاهَا  
 ممزوجة بدم الأحشاء نُسْقَاهَا  
 أمسى يُدير شמושَ الكاسِ خَدَّاهَا

ولم تُجْزَ لجريحِ رَشْفِ ريقْتها  
 يا عادل العاشق الولهان في عدلي  
 لمعشر الحبِّ أرواحُ وأفئدةُ  
 فلا تَلْمَني بمن أهوى بها تَلْفِي  
 حسبي إذا متُّ فيها قولهم وأنا  
 هذا وهبْ عدلَكَ الأسيافَ يومَ وغي  
 ما بَتُّ في صَبوتي أدري الغرامَ كما  
 وأصبحتُ علماءَ النجمِ تخدمني  
 والنثرِ أمسى بدمعي مغرماً كَلِفًا  
 يا قَسُورًا مُهْجَةً العاني فريستُهُ  
 حتَّامَ أمسي غريقًا بالدموع على  
 ردَّ الإلهُ أُوَيْقَاتًا لنا سَلَفَتْ  
 حيث الصبابةُ والأشواق جاريةُ  
 والرَّيحُ تعبتُ بالأعصانِ حاملةُ  
 لله يومٍ به سارت ركائبُنا  
 كأنَّ فيهنَّ ما في القلبِ من ولِهِ  
 سَرْنَا عليها إلى أخت الصبحِ دُجِي  
 نَسْقَى رحيقَ الهوى مِنْ ذِكْرِ طَلْعَتِها  
 حتى بدتْ جنبهُ الخلد التي سَكَنْتْ  
 فلا تَسَلْ عن قلوبِ الرُّكْبِ حين بدتْ  
 جُرْنَا إليها وقبَلْنَا الثرى ولَهَا  
 وأقبلت راحة الأرواح تنشدنا  
 يا أهل ودِّي بكم ضاءت منازلنا  
 ثم انثنت وأنت بالكأسِ قائلَةٌ  
 فقلتُ: والآن طابت فاذهقي قَدْحِي  
 نحن الأولى بالنوى صَهْبًا ونا عبْرُ  
 فغادرت بَرَقَعِ البدرِ المنيرِ وقد

بِتُّنَا سَكَارَى بِلَا رَاحٍ لِبَهْجَتِهَا      حَتَّى سَقَتْنَا فَأَصْبَحْنَا أُسَارَاهَا  
وَمَا بَرِحْنَا بِصَفْوِ الْعَيْشِ نَنْهَبُهُ      حَتَّى أَتَى الْبَيْنُ أَبْكَانَا وَأَبْكَاهَا

ولي وهي مما نظمته عند قدوم حضرة العالم الفاضل إبراهيم أفندي الحوراني من مدينة طرابلس وكان قد ذهب إليها بدعوة خصوصية لتلاوة خطابٍ علمي في احتفال مدرسة عالية:

هَبَّ النَّسِيمُ عَلَيَّ مِنْ لُبْنَانٍ      فَاهْتَجَّ شَوْقِي فَاسْتَبَاحَ جَنَانِي  
وَسَرَى بِاللَّطْفِ نَفْحَةَ فُرُوقِي لَنَا      بُشِّرِي قَدُومَ شَبِيهَةِ الْغِزْلَانِ  
فَتَّانَةٌ مَلَكْتَ حَشَايَ وَغَادَرْتَ      قَلْبِي صَرِيحٌ تَذَلُّلٌ وَهَوَانِ  
أَهْوَى النَّسِيمُ وَقَدْ حَكَاهَا رِقَّةً      وَإِذَا انْتَثَتْ أَهْوَى غُصُونِ الْبَانِ  
مَا شَاقَنِي ذِكْرُ الرَّبُوعِ وَوَصَفُهَا      لَوْلَاكُمْ يَا سَاكِنِي لُبْنَانِ  
هَزَمَتْ جِيوشُ لُقَى الْحَبِيبَةِ بَغْتَةً      جَيْشَ الْبَعَادِ فذَلٌّ بِالْأَعْوَانِ  
هِيَ رَبَّةُ الْخَالَيْنِ مَا بَرِحَتْ عَلَيَّ      مَرَّ الزَّمَانِ وَجَوْرِهِ تَهَوَانِي  
هَيْفَاءُ فِي لُبْنَانَ أَرَعَى وَجْهَهَا      بَيْنَ النُّجُومِ وَحُبُّهَا يَرَعَانِي  
مَا فَاحَ نَشْرُ الْمَسْكِ مِنْ أَنْفَاسِهَا      إِلَّا وَأَحْيَا مُهْجَةَ الْوَلْهَانِ  
فَكَأَنَّهُ رِيًّا طَرَابُلُسٍ بَدَتْ      وَقَتِ الرَّبِيعِ بَرُوضَةَ الْبَسْتَانِ  
أَوْ مِثْلَ أَنْفَاسِ الرَّسُولِ مَبْشِرِي      بِقَدُومِ عَالِمِ عَصْرِنَا الْحُورَانِي  
مَلِكِ الْفِصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ مَطْلَقًا      رَبِّ الْقَرِيضِ وَكُلِّ بِكْرٍ مَعَانِ  
مَنْ بَاتَ رُوحًا لِلْمَكَارِمِ وَالْعَلَى      بِالْفَضْلِ أَصْبَحَ قَدُودَةَ الْأَعْيَانِ  
أَسْيَافُهُ آرَاؤُهُ، وَرِمَاحُهُ      أَقْلَامُهُ بِمِدَادِ كُلِّ بَيَانِ  
مَذْ قَامَ يَخْطُبُ قَصْرَتَ عَنْ سَبْقِهِ      طَرًّا فَوَارِسُ عَيْسَ مَعَ دُبْيَانِ  
فَلَكُمْ تَنَاثَرَ مِنْهُ دَرًّا صَاغَهُ      لِلأَذْنِ شَنْقًا وَاضِحَ الْبِرْهَانِ

ولفضيلتو الشيخ إبراهيم أفندي الأهدب يُهنئُ بها الحاجَّ محمد أفندي الطيارة  
بختان نجله مصطفى:

نُورُ زُهْرٍ يَلُوحُ أَمْ نُورُ زَهْرٍ      بِالتَّهَانِي يَفُوحُ فِي رَوْضِ نَشْرِ؟  
وَسْنَا الْبَدْرِ قَدْ تَجَلَّى عَلَيْنَا      أَمْ مَهَاةُ الْجَمَالِ فِي جُنْحِ شَعْرِ؟  
وَبَدَا جِيذُهَا بِهِ نَقَطُ مَسْكِ      أَمْ هَلَالٌ مُرَاقِبُ ضَوْءِ فَجْرِ؟

تحت قلب لها على وقد جمر  
بل لنصب الأسي بقلب وجر؟  
من مدام الغرام أقداح خمر  
حلّ فيها بالنفس في عقد سحر  
عينها عاني الغرام بأسري  
شبّ ناري به كما شاب شعري  
وليالٍ من الذوائب عشر  
لم تقابل بالجبر في الحب كسري  
دون بردٍ ثغرُها حرب بدر

وأرى عقرباً من الصُدغ يسعى  
أم هي الواو لم تَجِنّا لعطفٍ  
وعلينا أهداقها قد أدارت  
أم غدت بابلًا لها روت حتى  
من بني التُّرك غادة تركتني  
شبّ شعري في حب خد جلتُه  
لست أسلو منها صباح جبين  
حاسبتني منها سهام جفون  
وجلا وجهها لنا شمس حُسن

ومنها:

من غرامي وفرط وجدّي عذري  
أوقعتني ما بين بيض وسمر  
للغواني يُجيد حلّة شعري  
بمعاني محمدٍ رقّ شكري

بالعذاري أهيّم في كل وادٍ  
وعيون الظُّبا وأعطاف غيدٍ  
غزلي دائمٌ بغزل جفون  
وبها راقٍ وردٌ سُكري ولكن

وله أيضًا من قصيدة يمدح بها سعد الله بك حلابه:

ولا تخش زيدا في هواك ولا عمرا  
إذا ملأت كأس اللجين لنا تبراً  
فما العيش إلا أن تعيش به سُكراً  
فإنك قد أدركت من عشقي الخبرا  
نسيم الحيا توري لظى مهجتي الحرى  
وماست نسينا عندها البيض والسُمر  
تدير على عشاقٍ طلعتها خمر  
يطارحني معنى يسْمونه سحر  
غداة بها أصبحت منشرحاً صدرا  
لمن لام أعذاري بغرّتها الغرّ  
إلى الغور أصبو حينما أبصر الخُصرا

أدر شمس أفراحي وقابل بها البدر  
وفرغ لشمس الحُسن كيسك طائعا  
ولا تصح من خمر الصباية والجوى  
ودع خبراً عمّن مضى من أولي الهوى  
وشم وجنة حمراء فتّح وردّها  
لُهيفاء بيضاء الترائب إن رنت  
من الغيد عيناها براحة عشقها  
وفي ضمن إغضاء الجفون وغضها  
نبذت وراء الظهر من لم يهم بها  
وأمسيت عذري الصباية موضحاً  
ومن كان نجدّي الغرام فإنني

بَبَرْدِ تَنَائِيَا نَظْمِهَا أَرْخَصَ الدُّرًّا  
وَقَدْ بَعَثَتْ بِالنَّشْرِ مِنْ فَرَعِهَا شِعْرًا  
كَأَنَّ هَلَاكًا قَامَ يَنْتَظِرُ الْفَجْرًا

تَسَعَّرُ نِيرَانُ الْغُضَا فِي جَوَانِحِي  
جَلَّتْ بَرَقًا أُبْدَى لَنَا الشَّمْسَ فِي الدَّجَى  
وَقَدْ شِمْتُ قَرَبَ الْجِيدِ نَقْطَةَ عَنَبٍ

وللأمير نسيب أرسلان:

بِمَاءٍ مَعِينِ الْمَاءِ فِي جَنْبِهِ ثَمْدُ  
نَزِيلِ فَوَادِي لَا رَحِيلُ وَلَا شَدُّ  
بِهَا الْحَرُّ إِلَّا وَهُوَ مِنْ نَظَرَةِ عَبْدُ  
يَهونُ لَهُ فِي خِذْرِهِ الْأَسَدُ الْوَرْدُ  
نَعِمْتُ زَمَانًا لَا يُرْوِعُنِي الصَّدُّ

ولله يومَ البينِ عيناَيَ فاضتا  
يشدُّونَ أكوارَ الرَّحِيلِ ووُدُّهمُ  
وشادنةٌ في السَّرْبِ لم يَرَمْ طَرْفُهُ  
يهونُ لها في خِذْرِها كُلُّ فَاتِكِ  
لئن راعني منها الصدودُ فطالما

وله:

وَسَلَّ غَاةَ الْجَزَعِ كَمْ سَفَكَتَ دَمًا؟  
عَلَى الْبُعْدِ تُهْدِينِي خِيَالًا مُسَلِّمًا  
يَهونُ عَلَيْهَا أَنْ أُبَيْتَ مُتَيِّمًا  
عَلَى الْقَلْبِ إِلَّا كَانَ نَهَبًا مُقَسِّمًا

أَعَاذِلُ قَلَّ لِلْحَبِّ كَمْ شَفَّ مُغْرَمًا  
أَيَا مُنْتَحِي الْأَجْزَاعِ قَوْلُوا لَزِينِ  
شَكَّوتُ لها بَرْحَ الْفَوَادِ وَإِنَّمَا  
نَزِيْفَةٌ دَلَّ مَا أَغَارَتْ بِقَدِّهَا

ومما آثرتُه من بنات الأفكار وأطايب الأشعار ما أجادت به ربَّة الخِدر والأدب عريقةُ  
الفضل وشرف النسب: الخاتون عائشة عصمت هانم ابنة المرحوم إسماعيل باشا تيمور،  
أبيات تمتزج لركة مبانها بالنفوس، وتُشرب لطيب معانيها بالكئوس، وناهيك به من دُرِّ  
شعر يروي لنا حديث دُرِّ الثَّغر، ولها قصيدة فخرية رغبتُ في أن أجعلها فريدة في سَمَطِ  
عقد دُرِّها وهي:

وَبِعِصْمَتِي أَسْمُو عَلَى أَتْرَابِي  
نَقَّادَةٌ قَدْ كُمَّلَتْ آدَابِي  
قَبْلِي ذَوَاتِ الْخِذْرِ وَالْأَحْسَابِ  
يَهْوَى بِلَاغَةَ مَنْطِقِ وَكِتَابِ  
وَبِفِطْنَتِي أُعْطِيتُ فَضْلَ خَطَابِي  
نَسَجُ الْعِلَالِ لِعَوَانِسِ وَكِعَابِ  
خَنَسَاءُ فِي صَخْرِ وَجُوبِ صِعَابِ

بَيِّدِ الْعِفَافِ أَصُونُ عَزَّ حَجَابِي  
وَبِفِكْرَةٍ وَقَّادَةٍ وَقَرِيحَةٍ  
وَلَقَدْ نَظَّمْتُ الشَّعْرَ شَيْمَةَ مَعْشَرِ  
مَا قُلْتُهُ إِلَّا فُكَاهَةَ نَاطِقِ  
فَبِنْيَةِ الْمَهْدِيِّ وَلِيْلِي قُدُوتِي  
لِلَّهِ دُرُّ كَوَاعِبِ مَنُوالِهَا  
وُخْصِصْتُ بِالْأَدْرِ الثَّمِينِ وَحَامَتِ أَلِّ

فَجَعَلْتُ مِرَاتِي جَبِينًا دِفَاتِرِي  
 كَمْ زَخَرَفْتُ وَجَنَاتٍ طُرْسِي أَنْمَلِي  
 وَلَكَمْ زَهَا شَمْعُ الذِّكَا وَتَضَوَّعَتْ  
 مَنْطَقَتُ رَبَّاتِ الْبَهَا بِمَنَاطِقِ  
 وَحَلَلْتُ فِي نَادِي الشُّعُورِ ذَوَائِبًا  
 عَوَّدْتُ مِنْ فِكْرِي فَنُونََ بِلَاغَتِي  
 مَا ضَرَّنِي أَدْبِي وَحُسْنُ تَعْلُمِي  
 مَا سَاءَنِي خُدْرِي وَعَقْدُ عِصَابَتِي  
 مَا عَاقَنِي حَجَلِي عَنِ الْعَلْيَا وَلَا  
 عَنِ طَيِّ مِضْمَارِ الرَّهَانِ إِذَا اشْتَكَّتْ  
 بَلْ صَوْلَتِي فِي رَاحَتِي وَتَفَرُّسِي  
 نَاهِيكَ مِنْ سِرِّ مَصُونِ كَنْهُهُ  
 كَالْمَسْكَ مَخْتَوْمِ بَدْرَجِ خَزَائِنِ  
 أَوْ كَالْبِحَارِ حَوَتْ جَوَاهِرَ لَوْلُؤِ  
 دُرٍّ لَشَوْقِ نَوَالِهَا وَمَنَالِهَا  
 وَالْعَنْبَرِ الْمَشْهُودِ وَافَقَ صَوْنَهَا  
 فَأَنْرْتُ مِصْبَاحَ الْبِرَاعَةِ وَهِيَ لِي

وقالت:

مَنْشُورُ حُسْنِكَ فِي الْحِشَا سَطَّرْتُهُ  
 سَطْرَ الْعِذَارِ تَلَوْتُهُ فَوَجَدْتُهُ  
 وَأَنَا كُلُّ مَا يُرْضِي هَوَاكَ رَضِيَّتُهُ  
 وَأَقْضِيْتُ عَمْرِي فِي جَمَالِكَ مُغْرَمًا  
 وَتَرَكْتُ سُرِّي بِالْتَجَلْدِ مُبْهَمًا  
 حَتَّى اسْتَبَانَ لَدَيْكَ مَا وَارَيْتُهُ  
 وَمَذَاقُ عَيْشِي مَرٌّ وَالسُّهْدُ ارْتَقَى  
 وَالْقَلْبُ مِنْ نَارِ الْغِرَامِ تَحْرَقَا  
 كَيْفِي مِنَ التَّعْذِيبِ مَا لَاقَيْتُهُ

أفديك من غصنٍ وريقٍ بالحلى      تزهو بوجنات وريقٍ قد حلا  
وتغضُّ جفنًا بالنعاس معسلًا      فاسمَح برشْفٍ لي يفوق السلسلا  
لأن حتى في الكرى ما ذقتُهُ  
يا ظبيُّ في قلبي عليك حرارةٌ      تُطفي لظاها إن سمحت زيارةً  
حلو الرضاب أفي الوصال مرارةٌ      أم في التفاتك للشجى خسارةٌ  
وجميع ربحي في الهوى أنفقته  
من ذا الذي أغواك حتى خنتني      ونبتت عهدي بعدما قاسمتني؟  
يا مالِكا قلبي وما ملكتني      أين الوعود وأين ما بشرتني؟  
قد خاب من جدواك ما أمَلته  
جَه العوازلِ حالتي فجلوتها      خاضوا بسرِّ مدامعِ أطلقتها  
قالوا بمُهجته غرام قلتُ: ها      شكوى بسرِّ سريرتي أعلنتها  
لولاك ما أعلنت ما أخفيتُهُ  
قلبي بكلِّ مُشابهٍ لك قد صبا      حتى عَشقتُ لحسن لفتك الضبا  
ولكم رأيتُ من الهوى مستغربًا      أشدو لمن يغدو أمامي: مَرحبًا  
حتى الرقيب أقول إن قابلتهُ  
خاصمتُ فيك عَشيرتي وتركتهم      ورضيتُ حالة وحدتي وهجرتهم  
وإلى السُلُو دعوا فما لبينهم      نصحوا فلم أعبأ بهم وعصيتهم  
واخترتُ حبك مذهبي ورضيتهُ  
تالله ما هذا غزالٌ بل ملكٌ      أخذ القلوبَ بوجنتيه بل امتلكُ  
يا بدرُ ثمَّ الحسنُ والإحسان لكُ      عطفاً لصبكُ فالمتيمُ قد هلكُ  
والصبر فارقني كما فارقتهُ  
ما بال قلبك لا يرقُّ لحالتي      ولكم رثى اللاحي ورقُّ للوعتي  
قل لي بحقك هل أتيتُ بزلةً      حتى أقاسيَ في الحياة منيتي؟  
أو خنتُ عهدًا كنت قد راعيتهُ  
العبد يرجو في هواك عنايةً      ويودُّ يومًا لو سمعتَ شكايَةً  
ذهب الزمانُ وما أتيتُ جنايَةً      ووجدتُ مع هذا صدودك غايَةً  
هذا ملخص قصتي أنهيتُهُ

وقالت في صدر رسالة، وهو غاية في الملاحظة، وفيه تورية:

أرسلتُ في طيّ النسيم رسالةً  
عطّرتَ أرجاءَ النسيم كأنما  
ولبثتُ أنتظر الجواب فما أتى  
إني لأحسّدها على نيل المنى  
فرسائلِي البيضاء تحظى باللقى  
فعمسى تزور ديارهم وتروُدُ  
نُشِرتَ عليه من الرياض وُروُدُ  
ولكم ليكتّبي في الديار وُروُدُ  
فأنا ليكتّبي ما حييتُ حسودُ  
يا ليت سُودي باللقاء تَسودُ

وقالت في تشطير البيتين المشهورين:

وليلي ما كفهاها الهجر حتى  
وحيث تبينت آياتِ وجدي  
فقلت لها: ارحمي الأمي قالت:  
وهبني كنت أمك كيف أحنو  
أذاعت بعد كتمانٍ شجوني  
أباحت في الهوى عرّضي وديني  
جُنتُ وفي الهوى بعضُ الجنونِ  
وهل في الحبِّ يا أمي ارحميني!؟

وقالت مشطرةً لهذين البيتين وهما:

ومتّصفٍ بالنحو أعرب حسنه  
سقامي فعلٌ لازم وصدوده  
فأورد أشكالا غدا عنه مسئولا  
له فاعلٌ لم صير القلب مفعولا

وهذا هو التشطير:

ومتّصفٍ بالنحو أعرب حسنه  
وفي مبتدا حالي به جبل الهوى  
سقامي فعلٌ لازم وصدوده  
فيا ليت شعري ما جزائي وشرطه  
فأظهر وجداً في الضمائر موصولا  
فأورد أشكالا غدا عنه مسئولا  
تعدى فلم يحسن مع الحبّ تعليلا  
له فاعلٌ لم صير القلب مفعولا

وقالت:

مال الفؤادُ لغصن باللمى ثمل  
أمال جيد الطّبي من لينه شغفا  
وارت ذوائبه شمساً فغرّته  
من ميله لعبت أيدي النسيم به  
والميل في الطّبي من أقوى مذاهيه  
تحت الشعور كليل في غياهبه

فقمْتُ واللَّحْظُ يُصْمِي فِي مَضَارِبِهِ  
وزاد قلبي تَبْرِيحًا بِحَاجِبِهِ  
ومدَّ في صُدْغِهِ إِحْدَى عِقَارِبِهِ  
مُرْصَدٌ بِأَفْعٍ مِنْ ذَوَائِبِهِ  
وقال: إِنْ الْهُوَى يُودِي بِصَاحِبِهِ  
مَا بَالُ قَلْبِكَ لَا يَعْنُو لِوَاجِبِهِ؟

شَبَّ الْجَوَى بَيْنَ أَحْشَائِي لِرُؤْيَتِهِ  
سَأَلْتُهُ رَحْمَةً مِنْ لَحْظِهِ فَأَبَى  
مِنْ سِحْرِ أَجْفَانِهِ هَارُوتُ قَابِلْنِي  
وَكُنْزُ مَبْسَمِهِ الزَّاهِي وَلَوْلُوهُ  
لَمَّا رَأَى حَيْرَتِي فِيهِ انْتَنَى عَجَبًا  
فَقُلْتُ: يَا هَازِنًا بِالصَّبِّ تَعْرِفُ ذَا

وقالت:

وَفِي الْعِزَائِمِ مَحْلُولٌ وَمَعْقُودٌ  
وَلَا تَشَابُهُ، مَعْدُومٌ وَمَوْجُودٌ  
غَدَا لَهُمْ فِي جِيوشِ الْهَجْرِ تَجْرِيدٌ  
لِسُوءِ حِظِّي فِي الْإِعْرَاضِ تَرْيِيدٌ  
مَا كَانَ لِي سَاعِدٌ بِالطُّوقِ مَشْدُودٌ

عَقَدْتُ عِزْمِي وَهُمْ حُلُوا عِزَائِمَهُمْ  
مَا طَابَقُوا حِينَ لَمْ يُبْدُوا مُجَانِسَةً  
أُبْدِي انْتِلَافًا وَيُيَدُونَ الْخِلَافَ وَقَدْ  
وَكَمَ أَقَابِلُهُمْ مُسْتَنْجِرًا وَلَهُمْ  
لَوْ لِلسَّعَادَةِ عَيْنٌ فِي مُسَاعِدَتِي

وأجابت عن قول بعض الأدباء وهو:

وأقول للرحمن: هذا قاتلي؟

ماذا تقول إذا اجتمعنا في غدٍ

فقالت:

كَالنُّونِ أَوْ مِنْ سِحْرِ جَفْنِ ذَابِلِ  
كَاللَّيْلِ أَوْ مِنْ جَوْرِ قَدِّ عَادِلِ  
تَرَوِي لَنَا سَلْبَ الْمَهْيِ عَنْ بَابِلِ  
فَعَلْتَ فَكَيْفَ تَلُومُنِي يَا سَائِلِي؟  
فِي الْقَتْلِ فَاطْلُبْ إِنْ تَرُدُّ مِنْ قَاتِلِ  
هَلْ مِنْ سَمِيعٍ مِثْلَ ذَا أَوْ قَائِلِ؟  
هَيِّمُوا بِلَيِّنِ قَدِّهِ الْمَتَمَائِلِ  
نَظَرَ الْمِلَاحِ وَيَا جَمِيلَةَ وَاصِلِي  
زُورًا وَتَطْمَعِ فِي مُحَالٍ بَاطِلِ؟

إِنْ كَانَ مَوْتُكَ مِنْ قِسْيٍ حَوَاجِبِ  
أَوْ غُرَّةٍ مِثْلِ النَّهَارِ وَطُرَّةٍ  
أَوْ مِنْ لِحَاطِظِ تَسْحَرِ الْأَلْبَابِ إِذِ  
فَهِيَ الَّتِي فَعَلْتَ وَلَمْ أَشْعُرْ بِمَا  
أَنَا مَا قَتَلْتُ وَإِنَّمَا أَنَا آلَةٌ  
وَمَتَى أُرِيدُ قِصَاصَ سَيْفٍ أَوْ قَنَا  
وَاللَّهِ قَدْ خَلَقَ الْجَمِيلَ وَلَمْ يَقُلْ  
مَا قَالَ رَبِّكَ قَطُّ يَا عِبْدِي أَطْلُ  
فَعَلَامَ نَطْلَبُ بِالدَّمَاءِ وَتَدَّعِي

ولها في فن المواليا:

أنصار عيونك علينا رافعة الأعلام      أعزها الله كم أبدت لنا أعلام  
وغامز الطُرف شاهد للجوى علام      حرص على ورد وجناتك بلال الخال  
كاتب بخط العذار للعاشقين ميم لام

ولها:

ما لي بعبادل قوامك تايه الأفكار      أمسى وأصبح وتسهد الجفون لي كار  
وحق عينيك ما لي في هوك إنكار      دعني أبوس الأنامل وأشتري روعي  
وإن طال صدودك على عبدك تكون تذكار

ولها من المصري:

تعالى يا خيال بهجة جماله      وندخل عَ الرشيقي اليوم بحيله  
ونحكم ع الفؤاد يحمل دلاله      لأنه في الجمال واحد وحيله

دور

بتهجر ليه أسير حبك يا روعي      ولك أوصاف ترد الروح جميله  
بشوقك في أيادي الوجد روعي      وحق الحب شف صبحت ذليلة

دور

أنا ما أسلى غرامك لو سلوني      وروحي في رحاب حبك دخيله  
يعاب عَ الثغر لو أبسم لدوني      وعين الحب عن عيبه كليله

هذا ما اخترته مختصراً من منظومات هذه الدرّة الثمينة، ولها ديوان شعر مشهور  
«بحلية الطراز» لا تقل صفحاته عن المائة.

وقال القس لويس صابنجي من قصيدة مما اقترحه عليه أحد أصدقائه في قصة جرّت له مع فتاة من المحصّنات، وهما مسافران بقطار في لندرا:

مَهَاة تَصِيدُ العَاشِقِينَ بِلِخْظَةِ  
فِلاحِ سَناهِ البِدرِ من سَينِ طَرةِ  
تُمرِّقُ أَحشاءَ المَعنى بِرِميّةِ  
لِما خَطَّ قَوسًا شَبُهَ ذاكِ بِرِيشَةِ  
تَفوُّقِ سَهْمًا لا يُخِلُ بِرَشِقَةِ  
يَسودُ عَلى أَهلِ الغَرامِ بِسَطوَةِ  
إِذا مَسها المَسقُومُ فَازَ بِصَحّةِ  
وَتَسحِرُ عَقلاً مَتَعَتَهُ بِلِذّةِ  
كُورِقَافٍ تَشدُو فِوقَ غُصنِ أَرِيكَةِ  
وِوَجْهِكَ بِدَريِ في تَمامِ وِرفِعةِ

أَسيلَةَ خَدِّ أَفتِديها بِمُهجَتِي  
تَبدّى هِلالَ العَيدِ من بُرجِ فَرَقِها  
لِها حاجِبٌ كَالقَوسِ يَرسُقُ أَسهُمًا  
وَلِوِ أَفرغِ النَقّاشِ جَعِبَةً فِكرِهِ  
وَمَن ذَا رَأى قَوسًا تَكسّرُ قَابِها  
عَلى عَرشِ باهِى الخَدِّ خالٌ قَدِ اسْتوى  
لِها مَعصَمٌ مِثْلُ اللُّجَينِ وَأَنمَلُ  
فِباتِ تَسْلِينِي بِلِطَفِ حَدِيثِها  
وَعَنّتْ بِصَوتِ هَيِّجِ القَلبِ قَدُّهُ  
إِذا جَنَّ ليلِي كَنتَ لِي خَيرَ مُؤنِسِ

وله:

تَحَمَلُ شَذى الأَزهارِ واهِدِ حَبيبَتِي  
يَمينًا وَيُسرى في غَرامِ ولِوعَةِ  
يُحيي بِلُطفِ خَدِّ زَرعِ بِلِثْمَةِ  
يَكَادُ بَنورِ البِدرِ يَدُمى وَنَسْمَةِ  
لِطَافَةِ نورِ البِدرِ عَنها تَجَلَّتْ  
جَفونِ عَيونِي ظِلُّها كَلِّ سَاعَةِ  
زُلالِ مِياهِ لِاغْتَسالِ وَنِكْهَةِ  
تَذوِبِ هُيامًا في احْتِراقِ وَغَيرَةِ  
وَساغِ رَحيقِ المِاءِ رَشفاً لِغَلَّةِ  
مِنِ الشَّمسِ وَالرَمضاءِ تَحْتِ مَظِلَّةِ  
أَظَلُّ عَليها مِنِ شِعاغِ غِزالَةِ

نَسيمِ الصِبا يَومًا تَمرَ عَلى الرَبى  
وَقَبَّلَ وَرودَ الخَدِّ عَني نِيابَةَ  
حَباكِ هَبوبِ الرِيحِ فِوقِ سَنابِلِ  
وَإِيّاكَ مِنِ تَخديشِ خَدِّ مَنعَمِ  
مَهَاةِ بَراها رَبُّ لُطفِ مِنَ الهِبا  
أَخافُ عَليها مِنِ شِعاغِ غِزالَةِ  
وَيَرجِفُ قَلبِي حينَ يَلَمَسُ جِسمَها  
وِروحِي إِذا مَسَّ القَميصُ ضُلوعَها  
أَموتُ إِذا مَسَّ الزِجاجُ شِفاهاها  
وَأَحسدُ ظِلًّا قَدِ غَشَهاها صِيانَةَ  
فِيا لَيتُ أَني كَنتُ قَرصَ مَظِلَّةِ

واخترت من الديوان المشهور «بحديقة الورد» الأبيات الآتية، وهي من نَظْمِ حضرة السيدة الفاضلة: وردة كريمة المرحوم الشاعر اللغوي العالم العلامة الشيخ ناصيف اليازجي، وقد تمَّ بهذه الدرر الغوالِ هذا الديوان، فَمِنَ ذلك قولها في رسالَةٍ إلى إحدى صديقاتها:

مَنِّي السَّلامُ على ديارِ أَحَبَّتِي      كالمسكِ تَحْمَلُهُ الصَّبَا إِذْ هَبَّتِ  
مَنِي السَّلامُ على الَّذِي هَجَرَ الحِمَى      وله خيالٌ لا يَزَالُ بِمُقْلَتِي  
قَسَمًا بِذاك الرِّبْعِ قَلْبِي ما صَبَا      إِلا لِرَبْعِ فِي رُباهِ جَنَّتِي  
يا حَبِذاً تلكِ الدِيارِ وَإِنْ تَكُنْ      ذابَتْ عَلَيْها بالصَّبابةِ مُهْجَتِي  
باللهِ يا مَن زارِ أَكْنافَ الحِمَى      بَلِّغْ إِلَيْهِ أَلْفَ أَلْفِ تَحِيَّةِ  
وَسَلِّ الحَبِيبَ مَتى اللِقَاءُ فَإِنِّي      فِي الحَيِّ حَيٌّ ما بَرِحْتُ كَمِيَّتِ

ولها من قصيدة:

زارتِ بَجُنحِ الدُّجى والليلِ مُعْتَكِرُ      فقالتِ الدارُ ما قد أَشْرَقَ السَّحَرُ  
خودُ تَمِيسٍ بقدِّ كالقناةِ بدا      إِذا رَأَتْهُ غِصونِ البانِ تَنكَسِرُ  
قدُّ يَقدُّ قلوبَ العاشقينِ إِذا      ما اهْتَزَّ يوماً ترى الأكبَادَ تَنفِطِرُ  
خَطَّتْ لأهلِ الهوى سَطراً بوجنتِها      إياكمِ النارَ لا يُوذِيكمِ الشَّرُّ  
يَعُودُ مِن وِجْهِها ليلُ الظلامِ ضَحَى      والصَبْحُ مِن فرعِها ليلًا بهِ قَمَرُ  
رَأَيْتُ عِقدَ اللالِي في مقلِّدِها      فخلَّتْهُ نَظْمٌ مَن فِي نَظْمِهِ العَبْرُ

وقالت معارضةً قصيدة ابن زريق البغدادي وقد اقترح عليها ذلك:

صَبُّ جرتِ كَفؤادِي السُّحْبِ أَدْمَعُهُ      وَجَدًا وذابَتْ مِنَ الأَشْواقِ أَضْلَعُهُ  
له مِنَ الدَمعِ بَحْرٌ وَالْفؤادِ بِهِ      أَضْحى غَريقًا وَنارُ الحَبِّ تَلْدَعُهُ  
ما زالِ يَصْبوُ إِلى رُبْعِ أَقامَ بِهِ      قَلْبٌ لَه، ساقَهُ شَوْقٌ يُشِيعُهُ  
يُعَلِّلُ النَفْسَ فِي آمالِهِ طَمَعًا      مِنَ البَقاءِ وَلِكنْ خابَ مَطْمَعُهُ  
يَجْني ثِمارَ البُكا والسُّهدِ مِنَ شَجَرِ      للحَبِّ فِي القَلبِ لا فِي التُّرْبِ يَزْرَعُهُ  
عَجِبْتُ مِنَ أَدْمعِ كالسُّحْبِ هاطِلَةً      على غَليلِ فؤادٍ لَيسَ تَنقَعُهُ

واعجَبَ لصبِّ مَشوقٍ لم يَزَلْ أبداً      يشكو نَوَى شادينِ في القلبِ مرتعُه  
حدَّثَ ولا حَرَجَ عن حُسنِ طلعتِه      فسورة النور فيها جَلٌّ مُبدِعُه  
يَميسُ غصنًا ويبدو وجهُه قمرًا      بالكَرْخِ من فلِكَ الأزرارِ مَطْلَعُه

وغزَلها قليلٌ جدًّا؛ ولذلك قلَّ ما أوردناه لها.

### تفصيل إيقاع هارون الرشيد بالبرامكة

وَعَدْتُ في مقدمة هذا المجموع أن آتِي على ذكر تفصيل إيقاع الرشيد بالبرامكة، والسبب الذي كان من أجله ماثورًا عن أشهر مؤرّخي العرب، وهذا هو:  
قال صاحب الأعلام: القصة في ذلك على ما رواه إبراهيم بن إسحاق عن أبي ثور زاهر بن صقلاب، قال:

بلغني أنه كان لهارون الرشيد مجلسٌ بالليل مع جعفر البرمكي، فقال له يومًا: لا يَطيب لي ذلك إلا بمحضر أختي العباسة، ولكن لا يجوز إلا إن كتبتُ لك عليها؛ لإباحة النظر من غير أن تقرّبها، فاتفقا على ذلك وعقد له عليها، ثم أحضرها، فكانت تحضر ذلك المجلس، إلا أنه زاد غرامها وعشقها فيه. وكان لجعفر البرمكي امرأةٌ تزين له الجواري كلّ ليلة، فجاءتها العباسة ورشتها بمال فزينتها له وأدخلتها عليه، فظن أنها جارية، فلما أصبحوا قالت له: أنا العباسة، وقد كنتُ أسألك أن تُساعدني على مودتك، فتأبى، فلما آيستُ منك احتلتُ عليك بما رأيتُ في هذه الليلة، وإن لم تواظب لأكوننَّ سببًا في سلب نعمتك، وهل أنت إلا زوجي؟ فقال لها جعفر: ويحك! أهلكتني وأهلكتِ نفسك. وكان كما قال، ولم يَزرها حتى ظهر أمرها للرشيد، فهذا كان سببَ قتل البرامكة. انتهى ما رواه إبراهيم بن إسحاق.

ورأيتُ في الجزء الثالث من الجملة الثالثة من تاريخ الطبري رواية أخرى، قال:  
أما سبب غضبه على جعفر الذي قتله عنده فإنه مُختلف فيه؛ فمن ذلك ما ذكره بختيشوع بن جبريل عن أبيه أنه قال: إني لقاعدٌ في مجلس الرشيد إذ طلع يحيى بن خالد، وكان فيما مضى يدخل بلا إذن، فلما دخل وصار بالقرب من الرشيد وسلّم ردّ عليه ردًّا ضعيفًا، فعلم يحيى أن أمرهم قد تغَيّر، قال: ثم أقبل على الرشيد فقال: يا جبريل، يدخل عليك وأنت في منزلك أحدٌ بلا إذنك؟ فقلت: لا، ولا يُطمع في ذلك، قال: فما بالنا يُدخِل علينا بلا إذن؟! فقام يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، قدّمني الله قبلك، والله ما ابتدأتُ

ذلك الساعة، وما هو إلا شيء كان خصّني به أمير المؤمنين، ورفع به ذكري حتى إذا كنت لأدخل وهو في فراشه مجرداً حيناً، وحيناً في بعض إزاره، وما علمت أن أمير المؤمنين يكره ما كان يحب، وإذا قد علمت فإني أكون عنده في الطبقة الثانية من أهل الإذن، أو الثالثة إن أمرني سيدي بذلك، قال: فاستحي. قال: وكان من أرقّ الخلفاء وجهاً، وعيناها في الأرض ما يرفع إليه طرفه، ثم قال: ما أردت ما تكره، ولكن الناس يقولون، فظننت أنه لم يسنح له جوابٌ يرتضيه، فأجاب بهذا القول، ثم أمسك عنه، وخرج يحيى.

أما تفصيل نكبتهم فهي كما يأتي؛ قال المبرد: قال عبد الله المارستاني عن يحيى بن أكرم: قال: سألت إسماعيل بن يحيى الهاشمي عن سبب زوال نعمة البرامكة، قال: نعم، أعرف صحة الخبر وباطن القصة، كان سبب ذلك أنني كنت مع الرشيد يوماً من الأيام راكباً إلى الصيد، فبينما نحن نسير إذ نظرنا إلى موكب بالبعد اعترضنا، فقال لي: يا إسماعيل، لمن هذا؟ فقلت: هو لأخيك جعفر بن يحيى، فالتفت يميناً وشمالاً إلى من معه في موكبه، فإذا هو شرذمة يسيرة، ثم نظر إلى الموكب الذي فيه جعفر فلم يره، فقال: يا إسماعيل، ما فعل جعفر وموكبه؟ فقلت: يا سيدي، قد مضى أخوك في طريق، ولم يعلم بموضعك، فقال: ما رأنا أهلاً أن يزيننا بموكبه ويجمّلنا بجيشه، فقلت: العفو يا أمير المؤمنين، لو علم بمكانك ما تعدّك، وما سار إلا بين يديك، واعتذرت بما حضر لي من الكلام. ثم سرنا حتى انتهينا إلى ضيعة عامرة ومواش كثيرة، وكان الطريق يدور عليها، فدرنا حتى أتينا باب القرية، فنظر الرشيد إلى البيدر وإلى كثرة الغلال فيه والمواشي ويسار أهلها، فالتفت إليّ وقال: يا إسماعيل، لمن هذه الضيعة؟ قلت: لأخيك جعفر بن يحيى، فسكت، ثم تنفّس الصعداء، ثم سرنا، ولم يزل يمرُّ بكل ضيعةٍ أعمر من الأخرى، وكلّما مرّ وسألني عن ضيعةٍ قلت: لجعفر بن يحيى، حتى سرنا ووصلنا إلى المدينة، فلما أردت وداعه والانصراف إلى منزلي نظر إلى من كان حواله نظرة، فعلموا ما أراد، فتفرّقوا، وبقيت أنا وهو، فقال: يا إسماعيل، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين، فقال: انظر إلى البرامكة، أغنيانهم، وأفقرنا أولادنا وأغفلنا أمرهم، فقلت في نفسي: بليّة والله! ثم قلت: لماذا يا أمير المؤمنين؟ قال: نظرت لهؤلاء وغفلت عن هؤلاء؛ لأنني لا أعرف لأحد من أولادي ضيعةً من ضياع البرامكة على طريق واحد قرب هذه المدينة، فكيف بما هو لهم غير ذلك على غير هذا الطريق في سائر البلدان؟ فقلت: يا أمير المؤمنين، إنما البرامكة عبيدك وخدمك، والضياع وأموالهم وكلُّ ما يملكونه لك، فنظر إليّ نظرة جبار عنيد، ثم قال: ما عدّ البرامكة بني هاشم إلا عبيدهم، وأنهم هم الدولة وأن لا نعمة لبني العباس إلا والبرامكة أنعموا

عليهم بها، فقلت: أمير المؤمنين أبصر من غيره بخدمة ومواليه، فقال: والله يا إسماعيل، إنك لتعلم أنني قلتُ هذا وكأني أراك أن تُعلمهم بكلامي فتتخذ لك عندهم يدًا، وإنني أمرتُ أن تكتم هذا الأمر؛ فإنه ما علم به أحدٌ غيرك، ومتى بلغهم شيء مما جرى علمتُ أنه ما أفشاه إلا أنت، فقلت: يا أمير المؤمنين، أعوذ بالله أن يكون مثلي يُفشي سرَّك! قال: وكان هذا القول أول ما ظهر من أمر البرامكة، ثم ودعته وانصرفت متفكرًا في إيقاع الحيلة عليهم، فلما كان من الغد بكرتُ إليه، وجلستُ بين يديه، وكان في محلٍّ يُشرف على دجلة من شرق مدينة باب السلام، وبإزائه منزلُ جعفرٍ من الجانب الغربي، وكانت المواكب من جميع الأصناف من قائد وأمير وعامل يردون في كل يوم إلى قصر جعفر، فالتفت إليَّ وقال: يا إسماعيل، هذا ما كنا فيه بالأمس، انظر كم على باب جعفرٍ من الجيوش والغلمان والمواكب، وأنا ما على باب داري أحد، فقلت: يا أمير المؤمنين، ناشدتك الله أن لا تُعلق نفسك بفكرك هذا، وإن جعفرًا إنما هو عبدك وخادمك ووزيرك وصاحبُ جيوشك إذا لم يكن الجيش على بابهِ فعلى باب من يكون؟ وإنما بابُه بابٌ من أبوابك، فقال: يا إسماعيل، انظر إلى دوابهم، ألسنت ترى أعجازهم إلى قصري وتروث بإزائنا ونحن ننظر إليها؟! والله هذا هو الاستخفاف بعينه، والله لا أصبرن على ذلك. ثم غضب غضبًا شديدًا، وامتلاً غيظًا فأمسكتُ عن الكلام، وقلت: والله هذا قضاءٌ من الله سابق، وحكم لا محالة واقع، ثم استأذنته في الانصراف، ورجعتُ إلى منزلي، فلقيني جعفر في الطريق يريد الرشيد فتواريتُ عنه حتى مضى، فدخل إليه وسلم عليه، فأجلسه عن يمينه وأكرمه غاية الإكرام، وبش في وجهه وحادثه ساعة، ووهب له خادمًا من خاصة خدمه وأنبلهم، وأوضحهم وجهًا، وأكملهم ظرفًا، كاتبًا حاسبًا لبيبا، فسرَّ جعفرُ سرورًا كاملًا، ووقع في قلبه أجلٌ موقع، وكان دسيسًا عليه وبليةً لديه، يرفع أخباره إلى الرشيد، ويحصي عليه أنفاسه ساعةً بساعة ووقتًا بوقت، فخلا به جعفرُ يومه ذلك وليلته واحتجب من أجله عن الناس، فلما كان بعد ثلاثة أيام سرَّت إلى جعفر، فسلمت عليه، فلما خلا مجلسه ولم يبق عنده غيري، وذلك الخادم واقف، فعلمتُ أن الخادم يُحصي علينا أخبارنا، فقلت: أيها الوزير، نصيحة أفتأذن لي في الكلام، وكان الرشيد ولأه كورة خراسان كلها وما يُضاف إليها، ويُنسب لها قبل هذا الكلام بأيام، وخلع عليه وعقد له لواءً وعسكرًا بالنهروان، وضرب الناس مَضارِبهم بها، وهم متأهبون للسفر، فقلت: يا سيدي، أنت عازم على الخروج إلى بلدة كثيرة الخير واسعة الأقطار عظيمة المملكة، فلو صيرت بعض ضياعك لولد أمير المؤمنين لكان أحظى لمنزلتك عنده، فلما قلتُ هذا نظر إليَّ مغضبًا وقال: والله

يا إسماعيل ما أكل الخبزَ ابنُ عمك — أو قال: صاحبك — إلا بفضلي، ولا قامت هذه الدولة إلا بنا، أما كفى أني تركته لا يهتم بأمر شيء من نفسه وولده وحاشيته ورعيته، وقد ملأت بيوت أمواله أموالاً، ولا زلتُ للأُمور الجليلة أدبرها حتى يمدَّ عينه إلى ما أدخرته واخترته لولدي وعقبِي من بعدي، وداخله حسدُ بني هاشم ودبُّ فيه الطمع، والله لئن سألتني شيئاً من ذلك ليكوننَّ وبالأعلى عليه سريعاً، فقلت: والله يا سيدي، ما كان مما ظننتُ شيء، ولا تكلمَّ أمير المؤمنين بحرف، قال: فما هذا الفضول منك؟! فقعدتُ بعدها هنيهةً، ثم قمتُ إلى منزلي، ولم أركب إليه ولا إلى الرشيد؛ لأنني صرتُ بينهما في حال شُبْهة، وقلت في نفسي: هذا الخليفة وهذا وزيره، وأي شيء لي بالدخول بينهما؟! ولا شك في زوال نعمة البرامكة، وأن أمورهم قد انكلمت. قال: وحدثني خادمٌ أمَّ جعفر أن الخادم الذي وهبه الرشيد لجعفر كتب إلى الرشيد بما كان بيني وبينه، وما تكلمَّ به من الكلام الغليظ.

قال: فلما قرأ الكتاب وفهم الخبر احتجب ثلاثة أيام متفكراً في إيقاع الحيلة على البرامكة، فدخل في اليوم الرابع على زبيدة، فخلا بها، وشكا لها ما في قلبه، وأطلعها على الكتاب الذي رفعه إليه الخادم، وكان بين جعفر وزبيدة شرٌّ وعداوة قديمة، فلما تملكت الحجة عليه بالغت في المكر بهم، واجتهدت في هلاكهم، وكان الرشيد يتبرك بمشورتها، فقال: أشيري عليَّ برأيك الموافق الرشيد؛ فإنني خائفٌ أن يخرج الأمر من يدي إن تمكنا من خراسان وتغلبوا عليها، فقالت: يا أمير المؤمنين، مثلك مع البرامكة كمثل رجل سكران غريق في بحر عميق، فإن كنت قد أفقت من سكرتك وتخلصت من غرقتك أخبرتك بما هو أصعب عليك وأعظم من هذا بكثير، وإن كنت على الحالة الأولى تركتك، فقال لها: قد كان ما كان، والآن أسمع منك، فقالت: إن هذا الأمر أخفاه عنك ووزيرك، وهو أصعب مما أنت فيه وأقبح وأشنع، فقال لها: ويحك! ما هو؟ فقالت: أنا أجلُّ من أن أحاطبك به، ولكن تُحضر أرجوان الخادم، وتشدُّد عليه وتوهنه ضرباً؛ فإنه يُعرفك الخبر، وكان الرشيد قد أحلَّ جعفرًا محلاً لم يحلَّه أخوه ولا أبوه، وأمره سوى امرأته زبيدة، فإنه لم يكن رآها ولا دخل عليها، ولا قضى لها حاجة، ولا هي تستقصيه حاجة، فلما فسد قلب الرشيد، وعزم على هلاك البرامكة وجدت عليهم سبيلاً، ومالت على جعفر، وكان جعفرٌ يدخل إلى الحريم في غياب الرشيد يقضي حوائجهم؛ لأنهنَّ لا يستترنَّ منه، وكان ذلك بأمر الرشيد، ولم يعلم الرشيد ما حدث من جعفر.

وفي رواية أن العباسية كانت الساعية في التقرب من جعفر وهو غير عالم؛ بدليل ما ورد في ابن خلّكان. قال: ثم اتفق أن أحببت العباسية جعفرًا، وراودته، فأبى وخاف، فلما

أعيتها الحيلة عدلت إلى الخديعة، فبعثت إلى عتابة أم جعفر أن أرسليني إلى جعفر كأني جارية من جواريك اللاتي تُرسلن إليه، وكانت أمه ترسل إليه كل يوم جمعة جارية بكرًا عذراء وهو يمل بالخمير، فأبت عليها أم جعفر، فقالت: لئن لم تفعلني لأذكرن لأخي أنك خاطبتني بكيت وكيت، ولئن اشملت من ابنك على ولد يكونن لكم الشرف، وما عسى أخي يفعل لو علم أمرنا؟ فأجابتها أم جعفر، وجعلت تعد ابنها أن سنهدي إليه جارية عندها حسناء، من هيئتها ومن صفتها كيت وكيت، وهو يُطالبها بالعدة المرة بعد المرة، فلما علمت أنه قد اشتاق إليها أرسلت إلى العباسة أن تهيني الليلة، ففعلت العباسة، ودخلت على جعفر وكان لم يثبت صورتها؛ لأنه لم يكن رآها إلا عند الرشيد، وكان لا يرفع طرفه إليها مخافة، فلما أصبح الصباح قالت له: كيف رأيت خديعة بنات الملوك؟ فقال: وأي بنت ملك أنت؟ فقالت: أنا مولاتك العباسة! فطار السكر من رأسه، وذهب إلى أمه وقال: يا أماه، بعيني والله رخيصًا. اهـ.

فلما بلغ الرشيد الخبر خرج واستدعى بأرجوان الخادم، وأحضر السيف والنطع، وقال: برئت من المنصور إن لم تصدقني حديث جعفر لأقتلنك، فقال: الأمان يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم، لك الأمان، قال: أعلم أن جعفرًا قد خانك في أحتك العباسة، وقد دخل بها منذ سبع سنين، وولدت منه ثلاث بنين: الأول له ست سنين، والآخر له خمس سنين، والثالث ثلاث سنين ومات قريبًا، والاثنان قد أنفذهما إلى مدينة الرسول ﷺ وهي حامل بالربيع، وأنت أذنت له بالدخول على أهل بيتك، وأمرتني أن لا أمنعه في أي وقت شاء ليلاً ونهارًا، قال: أمرتك أن لا تحجبه، فحين حدثت هذه الحادثة لم لا أخبرتني أول مرة؟! ثم أمر بضرب عنقه، وقام من وقته على الفور ودخل على زبيدة، وقال لها: رأيت ما عاملني به جعفر، وما ارتكب من هتك سرتي ونكس رأسي، وفضحني بين العرب والعجم؟ فقالت: هذه شهوتك وإرادتك، عمدت إلى شاب جميل الوجه حسن الثياب طيب الرائحة، جبار في نفسه، أدخلته على ابنة خليفة من خلفاء الله، وهي أحسن منه وجهًا وأنظف منه ثوبًا وأطيب منه رائحة، لكنها لم تر رجلاً قط غيره، فهذا جزء من جمع بين النار والحطب! فخرج من عندها مكروبًا، فدعا بخادمه مسرور، وكان قاسي القلب فظًا غليظًا، قد نزع الله الرحمة من قلبه، فقال: يا مسرور، إذا كان الليلة بعد العتمة فأتني بعشرة من أقوىاء الفعلة ومعهم خادمان، قال: نعم. فلما كان بعد العتمة جاء مسرور ومع الفعلة والخادمان، فقام الرشيد وهم بين يديه حتى أتى المقصورة التي فيها أخته، فنظر إليها وهي حامل فلم يكلمها بشيء، ولم يُعاتبها على ما فعلت، وأمر

الخادَمين بإدخالها في صندوق كبير في مقصورتها بعد قتلها ووضعها بحيلها وثيابها كما هي، وقفل عليها، وقد علمت أنها بعد قتل أرجوان لاحقاً به. فلما علم أنه استوثق بها دعا الفعلة ومعهم المعاول والزناويل، فحَفَرُوا وسط تلك المقصورة حتى بلغوا الماء وهو قاعد على كرسي، ثم قال: حسبكم هاتوا الصندوق فدلُّوه إلى تلك الحفرة. ثم قال: ردُّوا التراب عليه، ففعلوا وسدُّوا الموضع كما كان، ثم أخرجهم وقفل الباب، وأخذ المفتاح معه، وجلس في موضعه والفعلة والخادمان بين يديه، ثم قال: يا مسرور، خذ هؤلاء القوم وأعطهم أجرتهم، فأخذهم مسرور وجعلهم في حدِّ السيف، وضبط عليهم بعد أن ثقلهم بالصخر والحصى، ورماهم في وسط دجلة، ورجع من وقته فوقف بين يديه، فقال: يا مسرور، فعلت ما أمرتُك به؟ قال: دفعت لهم أجورهم، فدفعت إليه مفتاح البيت، وقال: احفظه حتى أسألك عنه، وامض الآن، وانصب في المحل القبة التركية، ففعل ذلك، ووافاه قبل الصبح، ولم يعلم أحد ما يريد.

فلما جلس في مجلسه — وكان عصرَ الخميس يوم موكب جعفر — قال: يا مسرور، لا تتباعد عني، ودخل الناس فسلموا عليه، ووقفوا على مراتبهم، ودخل جعفر بن يحيى البرمكي، فسلم عليه، فردَّ عليه السلام أحسنَ رد، ورحبَ به، وضحك في وجهه، وجلس في مرتبته. وكانت مرتبته أقربَ المراتب إلى أمير المؤمنين، ثم حدَّته ساعةً وضاحكه، فأخرج جعفرُ الكتب الواردة عليه من النواحي، فقرأها عليه، وأمر ونهى، ومنع وأنفذ الأمور، وقضى حوائج الناس، ثم استأذنه جعفرُ في الخروج إلى خراسان في يومه ذلك، فدعا الرشيد بالمنجم وهو جالسٌ بحضرته، فقال الرشيد: كم مضى من النهار؟ قال: ثلاث ساعات ونصف، وحسب له الرشيد بنفسه ونظر في نجمه، فقال: يا أخي، هذا يوم نحوسك، وهذه ساعة نحس، ولا أرى إلا أنه يحدث فيها حادث، ولكن تصلي الجمعة، وترحل في سعودك، وتبيت في النهروان، وتبكر يوم السبت، وتستقبل الطريق بالنهار؛ فإنه أصلح من اليوم، فما رضي جعفر بما قاله الرشيد حتى أخذ الأَصْطُرْلَاب من يد المنجم، وقام فأخذ الطالع وحسب الطالع لنفسه، وقال: والله صدقت يا أمير المؤمنين، إن هذه الساعة ساعة نحس، وما رأيت نجماً أشدَّ احتراقاً ولا أضيّق مجرى من البروج في مثل هذا اليوم، ثم قام وانصرف إلى منزله، والناس والقواد والخاص والعام من كل جانب يُعظّمونه ويُبجلونه، إلى أن وصل إلى قصره في جيش عظيم، وأمر ونهى، وانصرف الناس، فلم يستقرَّ به المجلس حتى بعث إليه الرشيدُ مسروراً، وقال له: امض إلى جعفر وأنتي به الساعة، وقل له: وردت كتبُ خراسان، فإذا دخل الباب الأول أوقف الجند، وإذا

دخل الباب الثاني أوقف الغلمان، وإذا دخل الباب الثالث فلا تدعُ أحدًا يدخل معه من غلمانه، بل يدخله وحده، فإذا دخل في صحن الدار فمِلْ به إلى القبة التركية التي أمرتُك بنصّبها فاضرب عنقه وأنتي برأسه، ولا توقف أحدًا من خلق الله على ما أمرتُك به، ولا تُراجِعني في أمره، وإن لم تفعل أمرتُ مَنْ يضرب عنقك، ويأتيني برأسك ورأسه جملة، وفي دون هذا كفايةً وأنت أعلم، وتبادر قبل أن يبلغه الخبر من غيرك، فمضى مسرورٌ واستأذن على جعفر، فدخل عليه وقد نزع ثيابه وطرح نفسه ليستريح، فقال: سيدي، أجب أمير المؤمنين، قال: فانزعج وارتاب منه، وقال: ويك يا مسرور! أنا في هذه الساعة خرجتُ من عنده، فما الخبر؟ قال: وردتُ كتبٌ من خراسان يحتاج تقرأها، فطابت نفسه، ودعا بثيابه فلبسها، وتقلد بسيفه وذهب معه، فلما دخل من الباب الأول أوقف الجند، وفي الثاني أوقف الغلمان، فلما دخل في الباب الثالث التفت فلم يرَ أحدًا من غلمانه ولا الخادم الفرد، فندم على ركوبه تلك الساعة، ولم يُمكنه الرجوع، فلما صار بإزاء تلك القبة المضروبة في صحن الدار مال به إليها وأنزله عن دابته، وأدخله القبة فلم يرَ فيها أحدًا. وفي رواية: رأى فيها سيفًا ونطعًا فاستحسَّ بالبلاء، وقال لمسرور: يا أخي، ما الخبر؟ فقال له مسرور: أنا الساعة أخوك، وفي منزلك، تقول لي: ويك! أنت تدري ما القضية، وما كان الله ليُهلك ولا لينفك، فقد أمرني أمير المؤمنين بضرب عنقك وحمل رأسك إليه الساعة، فبكى جعفرٌ وجعل يُقبّل يدي مسرور ورجليه، ويقول: يا أخي يا مسرور، قد علمتَ كرامتي لك، دون جميع الغلمان والحاشية، وأن حوائجك عندي مقضية في سائر الأوقات، وأنت تعرف موضعي ومحلي من أمير المؤمنين، وما يوحيه إليّ من الأسرار، ولعل أن يكونوا بلغوه عني باطلاً وهذه مائة ألف دينار أحضرها لك الساعة قبل أن أقوم من موضعي هذا، ودعني أهيّم على وجهي، فقال: لا سبيل إلى الحياة أبدًا! قال: توقّف عني ساعة وارجع إليه، وقل له: قد فرغتُ مما أمرتني به وسمع ما يقول، وعدّ فافعل ما تريد، فإن فعلتَ ذلك وحصلتَ لي السلامة فإني أشهد الله وملائكته أنني أشاطرك في نعمتي مما ملكته يدي، وأجعلك أمير الجيش وأملاك أمر الدنيا، ولم يزل به وهو يبكي حتى طمع في الحياة، فقال له مسرور: ربما يكون ذلك، وحلّ سيفه ومنطقته وأخذهما، ووكل به أربعين غلامًا من السودان يحفظونه، ومضى مسرورٌ ووقف بين يدي الرشيد وهو جالس يقطر غضبًا، وفي يده قضيب الولع ينكت به في الأرض، فلما رآه قال له: ثكلتك أمك! ما فعلتَ في أمر جعفر؟ فقال: يا أمير المؤمنين، قد أنفذتُ أمرك فيه، فقال: فأين رأسه؟ فقال: في القبة، قال: فأنتي برأسه الساعة، فرجع مسرور وجعفر يصلي وقد ركع ركعة

فلم يُمهله أن يُصليَ الثانية حتى سلَّ سيفه الذي أخذه منه وضرب عنقه، وأخذ رأسه بلحيته، فطرحة بين يدي أمير المؤمنين وهو يشخب دماً.

وفي رواية ابن خُلَكان أن الذي بعثه الرشيد لقتل جعفر كان ياسراً المغنّي، وأنه بعد أن عاد برأسه قال له: يا ياسر، جئني بفلان وفلان، فلما أتاه بهما قال لهما: اضربا عنق ياسر، فلا أقدر أن أرى قاتلَ جعفر. ثم تنفَّس الصُّعداء، وبكى بكاءً شديداً، وجعل يَنكُت في الأرض أثناء كل كلمة، ويقرع أسنانه بالقضيب ويخاطبه، ويقول: يا جعفر، ألم أُحلك محلَّ نفسي؟ يا جعفر، ما كافأتنني ولا عرفتَ حقي، ولا حفظتَ عهدي، ولا ذكرتَ نعمتي، ولا نظرتَ في عواقب الأمور، ولا تفكرتَ في صروف الدهر، ولا حسبتَ تقلُّب الأيام واختلاف أحوالها! يا جعفر، خننتني في أهلي وفضحتني بين العرب والعجم، يا جعفر، أسأت إليَّ وإلى نفسك، وما تفكرتَ في عواقب أمرك. قال مسرور: وأنا واقف بين يديه وهو يَنكُت في الأرض إثر كل كلمة، ولم يزل كذلك إلى أن أُذنَّ لصلاة الظهر، فدعا بماء فتوضأ للصلاة، وخرج للجامع فصلَّى بالناس جماعة، ثم التفتَ بوجهه لقصور جعفر ودوره، وأقبل على أبيه وأخيه، وجميع أولاد البرامكة ومواليهم وغلمانهم، واستباح ما لهم، ووجَّه مسروراً إلى المعسكر، فأخذ جميع ما فيه من مضاربٍ وخيامٍ وسلاح وغير ذلك، فلما أصبح يوم السبت إذا هو قد قتل من البرامكة وحاشيتهم نحو ألف إنسان، وترك من بقي منهم لا يرجع إلى وطنه، وشتت شملهم في البلاد، ولم يقدر أحدٌ منهم على كِسرة خبز.

ثم وجَّه إلى مدينة الرسول ﷺ فأتى بالصبيين ولدي جعفر من أخته العباسية، فأُدخِلا عليه في بيته، فلما رأهما أُعجب بهما، وكانا في نهاية من الحسن والجمال، فاستنطقهما فوجد لغتهما مدنيَّة، وفصاحتهما هاشمية، وفي ألفاظهما عذوبةً وبلاغة، فقال لكبيرهما: ما اسمك يا قرّة عيني؟ قال: الحسن، وقال للصغير: ما اسمك يا حبيبي؟ قال: الحسين، فنظر إليهما، وبكى بكاءً شديداً، ثم قال: يعز عليَّ حُسُنكما وجمالكما، لا رحم الله من ظلمكما! ولم يدريا ما أراد بهما، ثم قال: يا مسرور، ما فعلَ بالمفتاح الذي دفعته لك وأمرتُك بحفظه؟ قال: هو حاضرٌ يا أمير المؤمنين، قال: فأتني به، ثم دعا بجماعة من الغلمان والخدم، وأمرهم أن يحفروا في البيت حفرة عميقة، ودعا مسروراً وأمره بقتلها ودفنهما مع أمهما في الحفرة رحمهم الله جميعاً، وهو مع ذلك يبكي بكاءً شديداً، حتى ظننتُ أنه قد رحمهما، ثم مسح عينيَّه من الدموع، وأمر أن لا تُذكر البرامكة في مجلس.

وشاهد عَظْم مصيبتهم وما صاروا إليه من الذل ما قاله محمد بن غَسَّان صاحب ولاية الكوفة وقاضيتها، قال: دخلتُ على أُمِّي في يوم عيد أضْحَى، فرأيتُ عندها عَجُوزًا في أطْمَارِ رَثَّةٍ، وإذا لها بيانٌ ولسان، فقلتُ لأُمِّي: مَنْ هذه؟ قالت: هذه خالِتك عتَّابَة أُم جعفرِ البرمكيِّ ابن يحيى، فسَلَّمْتُ عليها وقلتُ لها: أصار بك الدهر إلى ما أرى؟ قالت: نعم، يا بني إن الذي كنا فيه كان عاريَّةً ارتجعها الدهرُ منا، قال: فقلت: حدِّثيني ببعض شأنك؟ قالت: خُذْه جملة، لقد مضى عليَّ عيدٌ أضْحَى مثلُ هذا منذ ثلاث سنوات، وعلى رأسي أربعمائة وصيفة، وأنا أزعَم أن ابني عاقٌ لي، وقد جئتُكم اليوم أطلب جِلدي شاة أجعل أحدهما شعارًا والآخَرَ دثارًا. قال: فغمَّني ذلك وأبكاني، فوهبتُ لها بعض دنانير كانت عندي، وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر: يا بني، ما دام قلمك يرفع، فأمطره معروفًا. اهـ. وحسب الناس فعل الرشيد غلظةً وحماقةً فأكثر الشعراء من التورية في ذلك، منه قول أبي نواس:

ألا قل لأمين الله      وابن القادة الساسة  
إذا ما ناكثُ سرًّا      ك أن تُفقدَه رأسه  
فلا تقتله بالسيف      وزوجه بعباسة

وعن الطبري قال: ذكر أبو محمد اليزيدي — وكان فيما قيل من أعلم الناس بأخبار القوم — قال: مَنْ قال: إن الرشيد قتل جعفر بن يحيى بغير سبب يحيى بن عبد الله بن حسن فلا تُصدِّقه؛ وذلك أن الرشيد دفع يحيى إلى جعفر فحبسه، ثم دعا به ليلة من الليالي فسأله عن شيء من أمره، فأجابه، إلى أن قال: اتَّق الله في أمري، ولا تتعرَّض أن يكون خصمك غدًا محمدًا ﷺ، فوالله ما أحدثتُ حدثًا ولا أويتُ مُحدثًا! فرقَّ عليه وقال له: اذهب حيث شئت من بلاد الله، قال: وكيف أذهب ولا آمن أن أُؤخذ بعد قليل فأردَّ إليك أو إلى غيرك؟ فوجه معه من أداه إلى مأمته. وبلغ الخبر الفضل بن الربيع من عبدة كانت له عليه من خاصِّ خدمه، فدخل على الرشيد فأخبره، فأراه أنه لا يعبأ بخبره، وقال: ما أنت وهذا لا أم لك! فلعلَّ ذلك عن أمري، فانكسر الفضل، وجاءه جعفر فدعا بالغذاء فأكلا، وجعل يلقمه ويحادثه، إلى أن كان آخر ما دار بينهما أن قال: ما فعل يحيى بن عبد الله؟ قال: باقي يا أمير المؤمنين في الحبس الضيق والأكبال، قال: بحياتي؟ فأحجم جعفر وكان من أرق الخلق نهنًا وأصحهم فكرًا، فهجس في نفسه أنه قد علم بشيء من أمره، فقال: لا وحياتك يا سيدي، ولكن أطلقتُه، وعلمتُ أنه لا حياة له ولا مكروه عنده، قال: نعم ما

فعلت، ما عدوت ما كان في نفسي. فلما خرج أتبعه بصره حتى كاد أن يتوارى عن وجهه، ثم قال: قتلني الله بسيف الهدى على عمل الضلالة إن لم أقتلك! فكان من أمره ما كان. وأكثر الشعراء من المراثي فيهم بما لو جُمع لأتى بمجلد ضخم، فمن ذلك قول الرقاشي، ويروى أنه لأبي نواس:

وَأَمْسَكَ مَنْ يَجْزِي وَمَنْ كَانَ يَجْتَدِي	أَلَنْ اسْتَرَحْنَا وَاسْتَرَاخَتْ رِكَابُنَا
وِطِيِّ الْفِيَا فِي فَدْفَدًا بَعْدَ فَدْفِدِ	فَقُلْ لِلْمَطَايَا: قَدْ أَمِنْتَ مِنَ السُّرَى
وَلَنْ تَظْفِرِي مِنْ بَعْدِهِ بِمُسْوَدِ	وَقُلْ لِلْمَنَايَا: قَدْ ظَفِرْتَ بِجَعْفَرِ
وَقُلْ لِلرِّزَايَا كُلِّ يَوْمٍ تَجَدَّدِي	وَقُلْ لِلْعَطَايَا بَعْدَ فَضْلِ تَعَطَّلِي
أُصِيبَ بِسَيْفِ هَاشِمِيٍّ مَهْنَدِ	وَدُونَكَ سَيْفًا بِرَمَكِيًّا مَهْنَدًا

وكان قتل جعفر بن يحيى في ليلة السبت أول ليلة من صفر سنة ١٨٧ وهو ابن سبع وثلاثين سنة وكانت الوزارة إليهم سبع عشرة سنة.

## خاتمة

وبعد أن بلغت من مجموعي هذا الحد رأيت الاعتراف بفضل من رشحت أقلامه بالآيات البيّنات تتجلى بأنوار الحق اليقين: حضرة العالم الفاضل واللغوي الشاعر إبراهيم أفندي الحوراني الذي تكرم فاطلع على مسودات هذا المجموع، فغدا بعد رمقه بنظره الكريم شامة في وجنة الجامع، وقد زينته بدرر قصائده الغوالي من شعر صباه؛ تحلية لكتابي ورفعة لمقامه في أعين الأدباء الذين يقدرون الشعر حق قدره، ولما كان حق الشعر بالشعر يُقضى، ولبنات النفوس بغير القريض لا تُنال؛ رأيت — مع جمود القريحة — أن أرضح لحكم ما تدفني إليه نفسي التي أبت إلا إظهار الفضل وأربابه، فنظمت قصيدة ذكرت في أبياتها بعض صفاته؛ أضي بذلك واجب الحمد، وإنما الأعمال بالنيات، ولا تكلف النفس فوق طاقتها، فأقول:

غزاة مهجتي يا قوم مرعاها  
حتى أدارت عليّ الراخ يسراها  
من وجنتي ليس من كرم عصرناها  
وحارس الأفق وافى وهو يهواها  
بوفده إذ بدا ليلاً محياها  
فإن نفسك حسني اليوم ناجاها  
فتاة عرب لكم أودت بقتلاها  
تقول في وجنتي النيران تلقاها  
على اللظى وهي في حق وصفناها

وافت إلينا وعين الصب ترعاها  
ضمت قوامي بيمنها وما لبثت  
تقول: ذق طعم راحي وهي قد عصرت  
في ليلة كانت الأملاك تحسدنا  
فما شعرت به كلاً ولا عرفت  
تقول: صفني إذا ما كنت تعشقني  
فقلت: غصن فقالت: لا وربك بل  
فقلت: خذاك ورد فانتنت عجباً  
وهل سمعت بورٍ كان منبته

فالوردُ من فوقه قد يَحْمَدُ اللّهَ  
فقلتُ: هل قُبِلَتْ يا رُوحَ ألقاها  
جيشًا من الزَّنجِ إن يَسْمَحَ مَنْحَها  
فلا تكن يا فتى بالغِيِّ تلقاها  
يغشى العيونَ فيخشى الطرفُ رؤياها  
يَقْظان طرفٍ وجَدنا حول مَغْناها  
ماذا على البدر لو وافى فحياها؟  
حرى تَذوبُ ولي قلبًا به تاهَا  
وشاحنا ولكم قَبِلْتُ يَمْناها  
نفسِي به عِزَّةٌ واللّه لولاها  
تَسْمَحُ بها لسوى إبراهيمَ مولاها  
في مدحه كم ليالٍ قد قَضيناها  
إذا نكّرنا مباديه شكرناها  
نور يقين وآيات تنبأها  
يرقى إلى ذرّوةٍ بالحقِّ عليها  
فيسترقُّ قلوبَ الناس معناها  
وإنني قاصرٌ عن ذكر قُصّواها  
ما قد نكرتُ براهينَ لأسمائها  
أبو فرائسٍ لما وفى وضاهها

فقلت: ماءُ الحيا يُطْفِي اللظى أبدًا  
وهيَّجتني بألحاظٍ مَمازِحَةً  
قالت: أقمْتُ على خَدَي لِيَحْرُسَهُ  
من كلِّ خالٍ لقد عمَّ الجمال به  
من لي بها ذات خالٍ فوق وجنتها  
نعسانةُ الطرفِ في حيٍّ يُمنّعه  
لولا مخافةُ إمامِ الخسوفِ به  
أستودع اللّه في لُبنانٍ لي كَبِدًا  
فيه اجتمعتُ بخودٍ والعفافُ غدا  
قَبِلْتُها والهوى ذلٌّ وما حسبتُ  
تملّكتُ مهجةَ الصبِّ السليم ولم  
مولى إذا حدّثوا عنه فلا حرجُ  
كأنما ليلنا تُطوى غياهبُهُ  
فكم له في عباد الله موعظةٌ  
شهمٌ إذا جال في مضمارِ مآثرةٍ  
يخطُ في الرقِّ أقالًا يُنظّمُها  
أستغفر الله إلا عن مدائحه  
يُبدي القريضُ له رسمَ الخضوعِ وفي  
من كلِّ بكرٍ قريضٍ لو يُعارضها

هذا وقد قيل: إن كل تصنيف ينبغي أن يحتوي على ثمانية أشياء: معدوم قد اخترع، ومفرّق قد جُمع، وناقص قد كُمل، ومُجمل قد فُصل، ومُسهّب قد هُدّب، ومُخلط قد رُتّب، ومُبهم قد عُين، وخطأ قد بُين.

فأما المعدوم الذي اخترع فهو: أولاً ما في هذا الندى من منظوماتٍ بعض أدباء العصر الذين ما بَجَلوا علينا ببعض ما لديهم مما يَنطوي تحت الموضوع. ثانياً: ما في مجموعنا من القصائد والمقاطيع التي أطلع الإفرنجُ دُررها من بحور مكاتبهم، فأهدوها إلينا بالأثمان الغالية، ونحن قد حُرِمنا منها. أما المفرّق الذي جُمع فهو شتات الأبيات، ولفيف المعاني، ضمها هذا المنزل الرحب. والناقص الذي كمل فهو ما تصرفت به أيدي النُّسّاخ على تَمادي الأيام، صرّفنا الجهد في الاطلاع على أصله، أو إعادته إلى مثاله. أما

المجمل الذي فُصل فما كان لمتجر الكتب من رواج في بلادنا، يُجرِّئنا للإقدام على حلِّ مُعقَّدها. أما المسهب الذي هُذَّب والمخلَّط الذي قد رُتَّب ... إلخ فهو ظاهرٌ للعيان، لا يحتاج إلى زيادة بيان.

ورُبَّ معترض يقول: هذا كتاب صغير الحجم، غيرُ وافٍ بالمطلوب! فأقول: لو تحرَّيت ذَكَرَ جميع أبيات العرب في هذا الموضوع لضاق دونها القِرطاس، ولكن رُمتُ جَمَعَ ما تفرَّق لا غير، وما لم تتناقله الألسُن، وإلا لزدنا فوق المائة ألوفاً.

ولا أغفل عن الإشارة إلى عدم تعرُّضي لذكر الألقاب والرُّتب التي كثيراً ما توقع المؤلِّف في التعقيد بين تقديم ذاك وتأخير هذا، لا سيما وفي رجال العصر قوم حَسبوا أن حصولهم على لقب العالم والفيلسوف أو غيره من الألقاب هو الفوز الحقيقي المتبادل بين أهل الأدب، كما أن التأخير لا يَحْفِضُ من قدر المؤخَّر، خصوصاً والكتابُ مقتطفٌ من كتب ومؤلِّفات متعددة لا تسمح لنا بتبويبه. وأملي أن لا يكون قد أخطأ سهمي الغرض في تحرِّي ذِكْر ما لا يمَسُّ الآداب؛ فقد نبذتُ ظَهْرِيًّا جميع ما علمته واطلعتُ عليه من الأبيات التي تَكْفِي الإشارة إليها عن الإسهاب.

ثم إنه إذا تَمَّت الأمانِي أَرَدْتُ كتابي هذا بمجموع آخر في الحِكم، وغيره في غيره من سائر أبواب الشعر مما يَحْتَاج إليه الكاتب، فيكون مجموعة معانٍ نَصَرُفُ قصارى الجهد في تهذيبها إلى أن تَجِيءَ كاملة الإتقان، والحمد لله على كلِّ حال.

سليم

وأهم الأغلاط التي من الضروري إصلاحها للعلامة المرحوم الشيخ ناصيف اليازجي، فإننا اعتمدنا في النقل على رواية البعض ولم نصب المرمى، وإصلاحها مذكور في ما يلي مع بعض أغلاط أحر غير جوهرية وأسبابها سقم الكتابة التي اعتمدنا في نقلنا عليها كثيراً، وأهمها:

- «يا ليته ترك الذي هو مبصر» صوابه «يا ليته ترك الذي أنا مبصر».
- «تمنعت بين البيض والشوس» صوابه «تمنعت بين الشوس والبيض».
- «وكان بودي لو برزت إلى الحمى» صوابه «وما كان يجدي لو برزت من الحمى».
- «أيا دارهم بالواديين قريبة نراك ولكن ما إليك وصول» صوابه «أيا دارها بالواديين قريبة نراك ولكن ما إليك سبيل».

- «نعم كل من يهوى الجميل ذليل» صوابه «نعم كل من يهوى الجمال ذليل».
- «بكت فاسنهلّ الدمع في صحن خدها» صوابه «بكت فاسنهلّ الكحل في صحن خدها».
- «منها غلا ظمأ الغليل وما شفى» صوابه «منها غلا ظمأ العليل وما شفا».
- «وإنك لا تدري غريماً مطلته» صوابه «وإنك لا تدريين صباً مطلته».
- «خاليك زينب أحرقا قلبي جوى» صوابه «خالاك زينب أحرقا قلبي جوى».
- «وتأملن صنح الهوى بغريقه» صوابه «وتأملن صنح الهوى بغريقه».
- «محبتي صورت لي جسمًا» صوابه «حبه حبه صورت لي جسمًا».
- «نحجت وأنى تنجح الظلام» صوابه «نحجت وأنى تنجح الظلام».
- «وله في محنّي» صوابه «محنّي».
- «قالوا به جربٌ فقلت قفوا» صوابه «قالوا بها جربٌ فقلت قفوا».
- «مقيرح الجفون من السهير» صوابه «مقيرح الجفين من السهير».
- «بكل شيء فيه مستحسن» صوابه «بل كل شيء فيه مستحسن».
- «طلعنا منكما الأنوار تهدينا» صوابه «طلعنا منكما الأنوار تآتينا».
- «يا عابتًا بعدة الوصل يخلفها» صوابه «يا عابتًا بعدات الوصل يخلفها».
- «مضع الكلام ولا صبغ الأحاجيب» صوابه «مضع الكلام ولا صبغ الحواجيب».

ولما كنت قد علقت اسم سيدي الخليل عوذة في جبين الكتاب وجب عليّ أن أعقد عليه في الخاتمة عناصر المديح ثناء الوفاء:

فجميل فضلك سابق أقوالي	إن كنت تمدح بالمقال العالي
لا خط في صفحاتها آمالي	أو كنت أتخذ السماء عريضة
عن أن أفي لسوابق الإفضال	لصرفت دهري ساعياً ومقصراً
جمّ الفضائل زادك المتعالي	يا مفرداً جمعت شمائل شخصه
وحباك كل مناك دون ملال	ووقاك من عثرات دهر خائن
يممت وهو على المدى مشعالي	وأدام عزك فهو عزي أينما
وذكوت حتى حسنت أحوالي	فبعظم فضلك يا خليل أنرتني
حمد وشكر كنت فيه أغالي	ما خط فوق الطرس لي قلم له

خاتمة

بل كان مرآة القريض وفضله      عنه نقلت بشمسه أغزالي  
ما إن مدحت سوى الخليل بجوده      خوفًا على شاني من الإذلال  
إن أمسك الغيث النزول فإن لي      عنه غنى سحرًا وفي الأصال  
وأضن في نظمي يعيب عقوده      طلبي وعندي جوده المتوالي

(تم)

سليم

